الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
SOCIETE EGYPTIENNE D'ETUDES HISTORIQUES

كريت تحت الحكم المصرى

١٨٣٠ — ١٨٤٠

تأليف
الدكتورة زينب عصمت راشد
عميدة كلية البنات الإسلامية — جامعة الأزهر

القاهرة — ١٩٦٤


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين



إهـــداء

إلى ذكرى أستاذى المغفور له محمد شفيق غربال

طيب الله ثراه


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

تمهيـــد

لهذا الكتاب قصة تعود بى ذكراها إلى ما قبل أعوام وأعوام . أيام كنت أسعد بطلب العلم بين يدى أستاذ جليل مضى إلى رحمة الله منذ أكثر من عامين . هو المغفور له محمد شفيق غربال ففقد العالم العربى ، بل فقدت مدرسة التاريخ والمؤرخين فى العالم أجمع — بموته — إماماً ورائداً قل أن يجود الزمن بمثله .

ما زلت أذكر تلك الأيام البيض ، أيام كنا نجلس فى قاعة البحث لنستمع إليه ونأتم به وكأنى به وقد أدرك بفراسته الصادقة ميلى إلى كريت ، وشغفى بتاريخها ، فإذا به يحيلنى إلى مختلف الكتب والمراجع والبحوث لا أكاد أخلص من النظر فيها حتى أطلب المزيد منها فأجدها دائماً عنده ، بل أجد فوق ذلك كله — بإرشاده — ما لم أكن أعرف ، حين أوصانى رحمه الله بالاطلاع على وثائق عابدين ، وحين انتهيت من ترتيبها وتبويبها بين يديه أنبأنى رحمه الله بأن موضوع بحثى فى تاريخ الجزيرة قد تحدد فيما أسميناه «الحكم المصرى فى كريت».

ولما أخذت أعد نفسى للمضى فى هذا البحث شاء الله أن أوفد فى بعثة إلى أوربا للتخصص فى التاريخ الحديث ، هنالك نصح لى أستاذى الراحل أن أرجىء النظر فى كريت ، وأن أتجه إلى دراسة تاريخ أوربا الحديث — ولقد أسعدنى الله فأعاننى على تلبية هذه الرغبة — فكتبت رسالة عن « صلح باريس ١٧٦٣ » "The Peace of Paris 1763" وحصلت بها على إجازة الدكتوراة من جامعة لفربول بانجلترا .

وأتيحت لى الفرصة خلال دراستى فى أوربا لزيارة كثير من المعاهد ودور الكتب والوثائق فجمعت منها ما لم أتمكن من جمعه فى مصر وأخص منها بالذكر

الوثائق الفرنسية فى باريس والانجليز فى لندن وكتاب قديم ألفه الرحالة الانجليزى روبرت باشلى Robert Pashley عن رحلاته فى كريت فى عام ١٨٣٤ أى أثناء الحكم المصرى فى الجزيرة والكتاب عنوانه Travels in Crete, Cambridge, 1837.

وكنت أود أن يخرج هذا البحث قبل أن يودع أستاذى دنيانا إلى عالم الخلد ، ولكنها إرادة الله . فلقد كان رحمه الله حريصاً على أن يراه منشوراً ، وحريصاً على أن يعرف رأى الناس فيه .

ترى ماذا أملك اليوم غير دموع حارة ترسلها العين كلما مر بالخاطر ذكراه ، وغير الدعاء المتصل بالرحمة ، وغير الشكر المتصل والعرفان بالجميل ما امتدت بى أيام الحياة . وأخيراً هذا البحث أهديه إلى ذكراه . وكم كنت حريصة على أن أسمع رأيه فيه .

وأرى من الحق على أن أتوجه بأصدق الشكر إلى كل من عاون بالرأى والنصح والإرشاد من الأساتذة ، ورجال الهيئات والمعاهد ودور الكتب والوثائق وأذكر منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر — الدكتور أحمد عزت عبد الكريم عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس ، والمرحوم السيد / محمد نافع رئيس قسم ترجمة الوثائق التركية فى مكتبة عابدين ، والعاملين فى مكتبة الوثائق الرسمية بلندن Public Record Office ومكتبة المتحف البريطانى بلندن British Museum ومكتبة جمعية الدراسات التاريخية بلندن Institute of Historical Research وفى مكتبة وزارة الخارجية فى باريس Bibliothèque des affaires Etrangères, Quai d'Orsay وفى المكتبة الوطنية بباريس Bibliothèque Nationale

ولا يفوتنى أن أشكر السيد أحمد عيسى أمين مكتبة جامعة القاهرة على

حسن معاونته فى الإشراف على طبع الكتاب ، والسيد خورى أمين مكتبة جمعية الدراسات التاريخية بالقاهرة .

ولست أعرف آخر الأمر كيف أوفى جمعية الدراسات التاريخية حقها من الشكر والاعتراف بالجميل على ما كان من فضلها ، ووفائها لرئيسها الأسبق ، وأستاذنا الراحل ، الذى أوصى بأن يكون هذا البحث من مطبوعاتها .

زينب عصمت راشد

محتويات الكتاب

عشر سنوات من الحكم المصرى فى جزيرة كريت

١٨٣٠ ـ ١٨٤٠

الملاحق

الفصل الأول

نبذة جغرافية عن كريت وأهم حاصلاتها وسكانها

موقعها : تقع كريت فى قلب البحر المتوسط بين الخطين ٥٠ر٣٤°، ٤٠ر٣٥° من خطوط العرض الشمالية . والخطين ٣٠ر٢٣°، ٦٠ر٢٦° من خطوط الطول الشرقية . وهى بذلك تتوسط القارات الثلاث أوربا وآسيا وأفريقيا ، وتكاد تتساوى فى البعد عنها ، كما تعد مرقباً لما يجاورها من ممالك هذا البحر(١) .

ويبلغ طولها من الشرق إلى الغرب ١٦٠ ميلاً ، ويتراوح عرضها بين ٧ ½ ، ٣٥ ميلاً ، وتبلغ مساحة مسطحها ١٩٩ر٣ ميلاً مربعاً ، فهى إذا قورنت بنظائرها من جزائر البحر من حيث المساحة تختلف عن صقلية وعن سردنيا ، وتكاد تعادل قبرص أو قورسيقا . ثم أن موقعها جنوبى الأرخبيل يدنيها من ساحل الأناضول شرقاً عبر طائفة من الجزائر أكبرها « رودس » ومن جنوب شبه جزيرة المورة غرباً عبر جزيرة « سريجيفو » ، وهى بذلك تفصل بحر الأرخبيل عن بقية البحر المتوسط .

طبيعتها : وليست طبيعتها بالسهلة المعبدة ، ولكنها صخرية معقدة ، تتخللها من الشرق إلى الغرب سلسلة من جبال مختلفة الارتفاع حتى تبدو وكأنها تتقطع ولا تكاد تتصل(٢) وتجرى سفوحها نحو الساحل شمالاً وجنوباً

---

(١) J.P.S. Pendelbury, *the Archaeology of Crete*, London, 1st. ed. 1958, p. 1

(٢) أعلى جبال السلسلة ثلاثة تكاد لارتفاعها أن تقسم الجزيرة طولا أقساماً أربعة تقع أعلى هذه الجبال وأشهرها فى قلب الجزيرة حيث يبلغ عرضها أقصاه وهو جبل « إيدا » ويسمونه « بسيلوريتى » Psiloriti ويبلغ إرتفاع قمه (ستاڤروس Stavros) ١٩٣ر٨ قدماً ومن قنه التى يكسوها الثلج معظم أوقات العام يمكن مشاهدة سواحل اليونان والأناضول . وأما الثانى فيقع فى غرب الجزيرة« بين » سلنه « وخانية » و« أبو قرونا ». ويسمونه « اسبروفونو» Asprovouno أى الجبل الأبيض ، ويبلغ ارتفاع أعلى قمه » هاجيوس ثيودوروس =

فى غير استواء ، فهى تنبسط تارة وترتفع تارة أخرى مما جعل سواحلها تتعرج ولا تكاد تستقيم .

والأراضى الواقعة بين هذه الجبال معقدة غير مستوية تتقاسمها التلال والمستنقعات ، ولا تكاد تستثنى من ذلك غير بعض البقاع حيث تجرى الأودية الصغيرة ، وتمتد السهول الضيقة وأكبر هذه السهول سهل « كيدونية » فى الشمال وسهل « مونافستى » Monafesti و« مسارا » Messara فى الجنوب وهى سهول خصبة تمتد بين جبال « بسيلوريتى » و « كوفينو » ، ويبلغ طولها حوالى ٣٧ ميلاً وعرضها عشرة أميال . وأصغر هذه السهول أو بالأحرى المنحدرات فيتصل بجانبه وسهل « اليكيانو » Alikianu .

سواحلها : سواحل الجزيرة كثيرة التعاريج ، تتقاسمها الرءوس والخلجان وأشهر الرءوس فى ساحلها الشمالى «بوزا» و « كربوزا » و «اسبادا» و «تريبتى» و «ليتنوس» فى وسط الساحل الجنوبى أقصى امتداد للجزيرة ، وهو يحمى خليج مسارة من جهة الغرب ، ومن الخلجان فى شمالها « ميرابللا » Mirabella . «وسيتيا» Setia ، وأكبر خلجان ساحلها الجنوبى خليج « مسارة » ، والساحل الجنوبى أقل تعاريجاً من الشمالى وليس به ثغور طبيعية لأن الجبال ترتفع فى غالبية أجزائه مكونة ما يشبه الأسوار على حين يوجد على الساحل الشمالى ثغر «سوده» الطبيعى العظيم ، ويبلغ عمقه ثمانية أميال ونصف ميل مربع ، وهو المرفأ الوحيد الذى يتميز بصلاحيته لايواء السفن الكبيرة .

= Hagios Theodorus ٧٫٨٨٢ قدماً . والجبل بعد ذلك وعر تتخلله الكهوف الموحشة والمغاور المخيفة . ولما كان امتداده ينتهى عند البحر إلى قضاء أسفاكيه أسماه الكريتيون جبل أسفاكيه . وثالث هذه الجبال يقع فى شرق الجزيرة ويسمونه جبل « لاشيد » Lassithi ، لأنه يكتنف نواحى لاشيد ويحتضنها ، يبلغ أقصى ارتفاع له (عند قة أفنتى كريستوس) Aphenti Christos ٧٫١٦٥ قدماً . أما جبال « كوفينو » Kophino (٣٫٨٨٨ قدماً) تنفصل ساحل مساراً الأوسط عن الساحل الجنوبى . وتوجد قه « يوكتاس » Yuktas (حوالى ٢٧٠٠ قدماً) جنوبى قنديه ، وكان لها مكانة خاصة فى نفوس القدماء على اعتبار أنها المكان للذى دفن فيه الإله « زوس » Zeus .

ومن الجزائر المجاورة لسواحل كريت جزيرة « جفدو » Gavdo وهى أكبرها ، وتقع على بعد ٢٥ ميلا من الساحل الجنوبى لأسفاكية ، وكانت فى العصور الوسطى مركزاً لأحد أساقفة الجزيرة وعلى مقربة من الساحل الشمالى وعلى بعد ثمانية أميال من قندية تقع جزيرة « ديا » Dia الصغيرة أو « ستانديا » Standia . وتوجد كذلك ثلاث جزائر صغيرة وهى « كرابوزا » عند الطرف الشمالى الغربى ، و « سوده » عند مدخل خليج سوده و « سبينا لونجا » Spina Longa فى خليج ميرابللا ، وقد استمرت هذه الجزائر الثلاث بعض الوقت فى حوزة البندقية حتى بعد غزو الأتراك للجزيرة . فلم تسلم « كرابوزا » للأتراك إلا فى ١٦٩٢ ، ولم تسلم سوده ، وسبينا لونجا إلا فى ١٧١٥ .

أنهار كريت وبحيراتها وكهوفها :

وظاهر بعد الذى قدمنا أن طبيعة الجزيرة من حيث تكوينها وضيق وقتها لم تتسع لمجارى الأنهار الكبرى ، وإنما هى نهيرات صغيرة تجرى من سفوح الجبال إلى السواحل جنوباً وشمالاً وتتوافر منابعها من مياه الأمطار وذوب الثلوج التى تغطى جبالها العالية ، فإذا كان الصيف شحت مياهها أوجفت تماماً . ومن أنهارها التى تجرى إلى الشمال نهر « بلاطاموس » Platamos ويصب فى خليج خانية ، ونهر « ميلوبوطامو » Mylopotamo ، ويتجه من جبال « بسيلوريتى » إلى البحر شرقى « رسمو » . أما الأنهار التى تجرى نحو الجنوب فهى « مترپولى بوتموس » Metropoli Potamos و « وأنا بوثيارى » Ana Pothiari وهى تروى سهل « منوفستى » Monofasti وتصب فى البحر الجنوبى فى الشرق والغرب من جبال « كوفينو » Kophino .

وبالجبال كهوف عديدة ومن أشهرها كهف « إيدا » المشهور فى جبل « بسيلوريتى » ، وكهوف « مليدونى » Melidoni فى « ميلوبوطامو » ، و « سارشو » Sarchu فى « ملفيزى » Malvesi وإليها لجأت مئات من

الهاربين بعد ثورة الـكريتيين فى ١٨٦٦ على حكم الأتراك . وكهف « ديكتا » Dicata فى لاشيد ويعدونه المـكان الذى ولد فيه المعبود زيوس . فأما اللابرنت ويقع على مقربة من « جورتينا » Gortyna فقد قدت منه الأحجار التى بنيت بها مرافق المدينة .

وفى الجزيرة بحيرة واحدة يسمونها « خرمة » ويطلق عليها الرحالة باشلى « قورنه » Kurna[١] ويبلغ طولها كيلو مترين على مقربة من ساحل أرميرو . ويضاف إلى كل ما ذكرنا كثير من المستنقعات بين « سوده » و « أرميرو » .

التربة والمحاصيل :

وكان للأرض الزراعية فى الجزيرة على ضيق رقعتها من الجودة والصلاحية مايعينها على إنتاج بعض المحاصيل والثمار كقصب السكر والنيلة والبن وبعض الحبوب كالحنطة والشعير والذرة . ولـكنها مع ذلك قليلة لاتفى بحاجة السكان ، ولو وجه سكان الجزيرة إلى الزراعة عناية أكبر لجاز أن يكون لديهم من الحبوب مايكفيهم ولما اضطروا إلى الاستيراد من الخارج[٢] .

وتغشى سهولها غابات الزيتون وهو أكبر محاصيلها وفرةوأجودها قيمةوثماره تختلف ألوانها منها الـكبير فى حجم البلح ومنها العادى ومنها دون ذلك . ومنها تعصر كميات وفيرة من الزيت تـكفى حاجة السكان ويصدر الفائض منها إلى

(١) R. Pashley, *Travels in Crete*, Vol. I, p. 72.
زار الرحالة « روبروت باشلى » Robert Pashley جزيرة كريت أثناء الحكم المصرى بها (أى فى عام ١٨٣٤) وتجول بين ربوعها مايزيد على سبعة أشهر ونشرت مذكراته عن هذه الزيارة فى كتاب من جزئين عنوانه *Travels in Crete* (London 1837) ولهذا المؤلف قيمته التاريخية فى دراسة الحكم المصرى بالجزيرة ، لاهتمام صاحبه بأحوال الجزيرة من كافة النواحى الإدارية والاقتصادية إلى جانب اهتمامه بعدد السكان وأنواع المحاصيل والآثار القديمة الماثلة فى أنحائها وعنايته بوصف ميزاتها الجغرافية (*see* preface pp. VII-XI) .

(٢) حسين كامى الخانيوى . تاريخ كريد ، الجزء الأول : ص ٦٨ — ٧١ .

الخارج ، وعلى الزيت تقوم فى الجزيرة صناعة الصابون وأشهر أنواعه صابون قنديه ، وتختلف الكمية المصدرة منه اختلافاً بيناً من سنة لأخرى لأن محصول الزيوت تختلف من سنة لأخرى[١] كما يتضح ذلك فى خلال الحكم المصرى للجزيرة .

ومن أشجار الفاكهة التوت وينتشر فى كافة أنحاء الجزيرة ، ولو توافرت لدى الشعب طرق استغلاله فى تربية دود القز لاستطاع إذن أن ينتج كميات من الحرير الذى جاد صنعه فى قضائى « سلنه » و « وريزو »[٢] فأما الموالح وبخاصة البرتقال فأكثرها فى قضاء « خانيه » وأجودها فى قرية « فوده لسى » بقضاء ميلوبوطامو « ويوجد شجر اللوز فى سائر أنحاء الجزيرة وكذلك الجوز ، ويكثر فى قضاء « ميرابيلا » ومن أشجارها أيضاً القسطل ويكثر فى كيسامو ، والخروب وأجود أنواعه فى قرية « ماليا » بقضاء « يديا » وتنمو كروم العنب فى الجزيرة وأشهر أعنابها وأكثرها انتشاراً العنب الأسود ، ومحصوله وفير ، يعصر أكثره

---

(١) ولكن هناك اتفاقاً عاماً على أن مايصدر من الزيت سنوياً من كافة ثغور الجزيرة لايقل عن ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ أقة ومن الصابون حوالى ١٫٨٠٠و٠٠٠ أقة ، وإذا أضفنا الصابون إلى الزيت فاننا نجد أن مايصدر منها سنوياً يبلغ حوالى ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ أقة وإذا عرفنا مقدار ما يستهلك فى الجزيرة من الزيت أمكننا معرفة مقدار الزيت كله .

ولما كانت هناك حوالى ٢٦٫٠٠٠ أسرة فى الجزيرة تستهلك كل منها على الأقل حوالى ١٠٠ أقة سنوياً فإن معنى هذا أن الاستهلاك المحلى سنوياً يصل إلى ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ أقة فاذا أضيفت هذه الكمية إلى ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ أقة أصبح الانتاج السنوى حوالى ٧٫٦٠٠٫٠٠٠ وذلك بعد دفع ضريبة السبع للحكومة التى تقدم دائماً عيناً وترسل فى العادة إلى الأسكندرية ويختتم باشلى هذا البيان بالتوضيح التالى :

استهلاك محلى	٢٫٦٠٠٫٠٠٠ أقة
زيت مصدر	٦٫٠٠٠٫٠٠٠ أقة
ضريبة السبع	١٫٢٦٦٫٦٦٦ أقة
الجملة =	٨٫٨٦٦٫٦٦٦ أقة

Pashley, Vol. II, p. 305

(٢) ومع ذلك فقد كانت صناعة رائجة ولكنها تدهورت فى القرن العشرين على الرغم من الجهود التى بذلك فى هذا السبيل .

نبيذاً يمتاز بصفائه وقوة أثره ، وأحسن أنواعه من دير « أرسانى »ومن « مالويز » و « يديا » و كيسامو . وزبيبه أسود حلو الطعم وأ كثره فى « ملويز »[١] .

ومن فواكها الجيـدة الـكمثرى والتفاح والـكريز والوشـنة والسفرجل والتين والخوخ والبشملة والعناب ، والبرقوق مختلف ألوانه والموز والبلح . ومن النخل أنواع لا تثمر ، يكثر نباتها عند رأس « سيدرو » فى الشرق الأقصى من الجزيرة .

وعسل كريت ذائع الشهرة وأجوده فى قرى « أقروطور » بقضاء خانية كما ينتج منه أحسن أنواع الشمع .

ومن أشجارها الخشبية البلوط ويكثر فى المناطق الوسطى من الجزيرة والصنوبر فى جبال أسفاكيا . وتزدان الجبال بما ينبت عليها من ألوان الزهر .

وتزكو فى الجزيرة ألوان من الخضر والحشائش يقبل الشعب على أ كلها بعد خلطها بالزيت . وفيها بعد ذلك من النباتات والأعشاب الطبية ماعرف العلماء القدامى قيمته ، واستخرجوا منه كثيراً من ألوان العقار ، وكانت بشهرتها مطمح أنظار العلماء يبعث بهم قياصرة الروم للحصول عليها فى كل عام ، وأشهرها الزعفران وبقلة الغزال .

---

(١) وللنبيذ الكريتى شهرته التى تغنى بها الشعراء والكتاب القدماء ، وأجوده ماجاء من « هاجيوميرو » Highio Myro ومن « ساركو » Sarko (Pashley, Vol. II, p. 51) ودير « اركادى » Arkadhi المقام على جبل « ايدا » (بسيلوريتى) ، المصدر السابق جزء ١ ، ص ١١٥) . وكان طبيعياً أن تتدهور صنـاعة النبيذ ويتضاءل محصوله عندما فتح المسلمون الجزيرة وسيطروا عليها خلال القرنين التاسع والعاشر . ولكنها لم تلبث أن انتعشت بعد ذلك ؛ وفى ظل الحـكم العثمانى استعاد النبيذ الحلو شهرته فشق طريقه إلى بقاع أوروبا . وتشير كثير من المخطوطات المحفوظة بمكتبة سان مارك والتى لم تنشر بعد إلى أن نبيذ الجزيرة قد كان بمثابة المحصول الأول من محاصيلها خلال ثورة المستعمرين البنادقة عام ١٣٦٢ أو إلى ما يقرب من قرن من الزمن بعد وقوعها حتى ليقال أن الأمير هنرى الملاح قد استنبت أعناب كريت فى جزيرة ماديرا التى كانت أول مستعمرة برتغالية فى عام ١٤٢١ ، المصدر السابق ، جزء ثان ، ص ٥٢ — ٥٣ .
وتكثر الكروم فى مقاطعة (ميزوخيا) Mesoghia (المصدر السابق) جزء ثانى ، ص ٥٦) .

المعادن والأحجار :

يروون أن بعض المعادن كالذهب والفضة والنحاس والحديد قد عرفت قديماً في صخور الجزيرة على أنه بعد ذلك لم يعرف منها غير نوع من حجر المسمن مشهور بجودته ، والكلس والصلصال الجيد الذى تصنع منه بعض أدوات التدخين (رءوس الغلايين) ويتوافر الجبس فى أماكن كثيرة وأحسنه ما يوجد قرب مغارة التيه ، المعروفة باسم اللابرنت . ومن شواطئها يستخرج المرجان والأسفنج وعند سواحلها توجد بعض الملاحات[1] على أن الأبحاث والتجارب الحديثة قد أثبتت وفرة الحديد والصلب والمنجنيز والكبريت فى الجزيرة كما عثر على النحاس والزنك بها . وفى نهاية الحكم المصرى بالجزيرة فى عهد محمد على اكتشفت بعض مناجم للفحم .

حيواناتها:

وتكاد أرض الجزيرة تخلو من كواسر الوحش وكبار الزواحف ، وإن كان بها ضرب من الحيات السامة والعناكب الضارة . ومن حيواناتها الأليفة الضأن والمعز والخنزير والأرنب ، وكلها ضامرة هزيلة لقلة المراعى وتذبح عادة فى موسم الصيف حين يشتد الحر وتقل مواد الغذاء .

وأصواف الغنم عادية ، وإن كانت ألبان الماشية وفيرة على كل حال[2] ومن دواب الحمل فيها الخيل والبغال والحمير . وخيولها وأن تلك صغيرة الحجم إلا أنها

---

(١) حسين كامى الخانيوى ، تاريخ كريد ، الجزء الأول ، ٦٨ — ٧١ .

(٢) ولا يعرف سكان الجزيرة من استغلال الثروة الحيوانية فوق ماذكرنا غير بعض المنسوجات الصوفية وقلة من المنسوجات الحريرية ، كما يوجد بها بعض المدابغ . ومن مستخرجات الألبان فيها نوع جيد من الجبن تصل حصيلته إلى نحو مليونى أقة سنوياً (أنظر قاموس الأعلام ص ٣٨٥١/٥٧) .

سريعة العدو ، كما أن بغالها قوية وسريعة فى وقت معاً . وهى والخيل والحمير تستخدم جميعاً فى أعمال الزراعة .

سكان كريت :

وسكان الجزيرة أخلاط من الترك واليونان ، تتابعت عليهم الحرب فكانو ينقصون ولا يزيدون ، كان عددهم فى عام ١٧٧٩ يبلغ ٣٨٠٫٠٠٠ نسمة ، فلما كان عام ١٨٣٣ نزل عددهم إلى ٩٨٫٠٠٠ نسمة منهم ٥٨٫٠٠٠ من اليونان ، ٤٠٫٠٠٠ من الترك ، على حين تراوح عدد الذين هاجروا منها بين ١٢ و ١٥ ألفاً . ولقد كان لحرب الاستقلال اليونانية ومشاركة الكريتيين فيها أكبر الأثر فى انخفاض عدد سكان الجزيرة بسبب ماينتج عن الحروب من محن وبخاصة انتشار الأوبئة الفتاكة(١) .

على أن عدد السكان قد ازداد فى العهود التالية ، ففى عام ١٨٦٥ وصل إلى ٢١٠٫٠٠٠ نسمة ووفقاً للتعداد الذى تم فى ١٨٨١ بلغ ١٦٥ و ٣٧٩ نسمة أى بنسبة ٣٥٫٧٨ للكيلومتر مربع . وفى ١٩٣٨ بلغ عددهم ٤٤١٫٦٨٧ .

لغة الناس :

يتكلم سكان الجزيرة المسلمون منهم والمسيحيون لغة يونانية ، ولكنها غير صافية نظراً لما دخل عليها من لسان الأتراك حين سكن حكامهم مدنها الرئيسية

---

(١) أنظر ملحق (٢) لتتبين توزيع السكان ونسبة عدد المسيحيين إلى المسلمين أثناء الحكم المصرى . كما ذكرها كل من الرحالة « باشلى » (الجزء الثانى ، ص ٣٠٨ — ٣٢٤ ، ٣٢٥) وكما جاءت فى نهاية تقرير « باورنج » عن كريت ص ١٨٤ .

ويذكر باشلى فى الجزء الثانى ص ٢٨٦ كذلك تفصيلا لما كان عليه عدد سكان كريت فى النصف الثانى من القرن السادس عشر وفقاً لقرارات فوسكاريني Foscarine وجارزوني Garzoni لمجلس شيوخ البندقية (ص ٢٨٤ مما بعدها) وهو ٢٧١٫٤٨٩ نسمة .

الثلاث ، وأقام رعاياهم على مقربة منها[١] . ولم يعرف التركية من سكان الجزيرة غير طائفة الأعيان ومرجع ذلك إلى إقامتهم فى المدن الرئيسية واستعانة الحكام الأتراك بخدماتهم .

وليس غريباً أن يتكلم سكان الجزيرة لساناً يونانياً ، وذلك لأن الريفيين منهم قد دانوا دين المسيح منذ أيام العصور الوسطى . وإذا كان عدد كبير منهم قد اعتنق الإسلام فى نهاية القرن السابع عشر تحت حكم العثمانين إلاأن إسلامهم لم يغير من لغتهم وشىء ظاهر أن إسلام الكريتيين لم يكمل ولم يصح . وقد احتفظ الكريتيون الذين دخلوا فى الإسلام بكثير من عاداتهم السابقة ، فهم قد ظلوا يشربون الخمر كباراً وصغاراً . وإذا كان المسلمون من أهل الجزيرة قداستباحوا لأنفسهم ولأولادهم شرب الخمر فإنهم قد حرموها على نسائهم واعتبروها من كبائر الإثم ، وأكبر الظن أن ذلك لم يكن مبعثه العقيدة وإنما كان مبعثه الخوف على العرض[٢] ولم ير المسلمون كذلك من حرج على أنفسهم فى أن يشهدوا تعميد أطفال النصارى وأن يتبنوهم فى هذه الاحتفالات[٤] .

مميزات وعادات الأهالى :

يمتاز الكريتيون بحبهم الشديد لبلادهم وتشبثهم بأرضها . وإلى ذلك يشير من كتب عن كريت من قدماء الكتاب أمثال أفلاطون وبلوتارخ وغيرهما[٥]

---

(١) ومن العجيب أن يشيع مثل ذلك فى لغة الأسفاكيين وهم الذين خلت ديارهم من الأتراك وقل اختلاطهم بأهل المدن — أنظر . Pashley, Vol., II. p.192

(٢) *Ibid.*, Vol. I, pp. 8-9

(٣) *Ibid.*, Vol. I, p. 316

(٤) لم يكن ذلك من الأمور الشائعة قبل الثورة اليونانية ومن أظهر الأمثلة لذلك النوع من الرباط الاجتماعى بين مسلمى الجزيرة ونصاراها ماكان من ارتباطات مماثلة بين أسرة المسلم « أجريوليدس » Agriolidhes من بلدة « ديباكى » Dibaki فى سهل « مساراً » ، وأسرة النصرانى « روسوس » Russos من بلدة « أسكيفو » Askyfo فى « أسفاكية » أنظر *Ibid.*, Vol. I, p. 10

(٥) *Ibid.*, Vol. I, p. 308.

وهم كشعوب الشرق يقسمون بالعيش الذى يأكلون ، وبرفات الآباء[١] ثم هم بعد ذلك كغيرهم من شعوب الأرض يعتقدون فى قوة أرواح الشر[٢] كما يؤمنون بظهور كرامات الأولياء والصالحين[٣] .

ويمارس أهل كريت ضروباً من الألعاب البهلوانية يسلون بها أنفسهم ولوناً من الرقص القومى يشارك فيه رجالهم ونساؤهم ، وهو لون أغلب الظن موروث من حياتهم قبل آلاف السنين . وغناؤهم كذلك موروث ، يجيدون منه بخاصة مقطوعات قصيرة يسمونها « مدينادس » Madhinadhes [٤] يغلب عليها طابع الغزل ، يعدد فيها المغنى محاسن الحبيبة ومفاتنها ، مشبهاً إياها بالعذراء « Panghia » فى الحسن والطهر وجاعلاً قدها فى امتشاقه واستقامته كعود السرو[٥] وأغانى الكريتيين تحمل فى طياتها آمالهم ، وأهدافهم الوطنية ونزعتهم الصادقة إلى الحرية ، وإلى تحقيق الاستقلال أياً كان ثمنه وكيفما كانت السبيل إليه[٦] على أنهم كرهوا إباحة الغنـاء للمرأة ، فهو محرم عليها ، كذلك حرم الرقص على الاسفاكيات من نساء الجزيرة ، لايمارسنه إلا أن يكون دينياً ومع الخاصة من الأرحام وذوى القربى والأسفاكيون وهم أشد أهل الجزيرة محافظة لم يكرهوا لنسائهم ممارسة الرقص والغناء وحسب بل كرهوا ذلك لكافة نساء الجزيرة ، يرون فيه مايسىء إلى سمعة المرأة ويجرح كرامتها .

---

(١) *Ibid.*, Vol. II, p. 189.

(٢) ويسمونها « كاتاخناس » Katakhanas ، وقد أفرد الرحالة Pashley للحديث من ذلك فصلا فى كتابه الجزء الثانى ص ١٩٧ وما بعدها .

(٣) *Ibid.*, Vol. II, pp. 235-241.

(٤) *Ibid.*, Vol. I, pp. 244-255.

(٥) *Ibid.*, Vol. I, p. 252.

(٦) *Ibid.*, Vol. I, pp. 255-256.

الزى :

للرجال فى كريت زى خاص[١] وللنساء فيها زى ترتديه المسلمات منهن والمسيحيات على السواء وهو لباس يختلف بعض الشىء عن لباس اليونانيات[٢] وإذا كان الحجاب أظهر مايميز زى المرأة فى كريت ، فليس معنى هذا أنه مأخوذ عن الترك ذلك لأن المرأة الكريتية كانت تتبرقع قبل الفتح العثمانى بزمن طويل ولم تكن تغادر دراها لتغشى المجتمعات . ولم يبح لها ذلك إلا لتشهد حفلا دينياً فى عهد البنادقة . فلم يضف الأتراك على أهل الجزيرة شيئاً جديداً فيما عدا أن حكمهم قد زاد من عدد مسلمى الجزيرة . ولم يورثوهم من عاداتهم وتقاليدهم شيئاً وإنما وجدوا عندهم مايلائم طباعهم ويرضى مزاجهم وبخاصة حرصهم على النظافة[٣] .

---

(١) أنظر صور ذلك مفصلة عند Pashley ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ — ٢٥٥ .

(٢) *Ibid.*, Vol. II, pp. 195-196.

(٣) *Ibid.*, Vol. II, pp. 181-185.

الفصل الثانى

كريت تحت حكم العرب (٨٢٣ ، ٨٢٥ — ٩٦١م)

كان لموقع الجزيرة الممتاز فى قلب البحر أثره القوى فى تحريك أطماع الغزاه يهوون إليها من كل فج وفى كل عصر ، فيبلغها الرومان ويسيطرون عليها دهراً ويقفوهم العرب فالبيزنطيون فالبنادقة ثم الأتراك العثمانيون ، حين رفعوا رايتهم عليها عند منتصف القرن السابع عشر الميلادى .

وكانت دولة « مينوس » Minos أول دولة يونانية عرفت بالجزيرة ، بلغت فى عهدها كريت مبلغاً عظيماً من الحضارة ومن أشهر آثارها « قصر مينوس » فى « كنوسوس .. »[1] ويعتبر من عجائب فن العمارة فى العالم القديم كشف عنه البريطانيون أوائل هذا القرن كما كشفوا عن أطلال كثير من المنشئات والمنازل وآثار تخطيط مدينة بأسرها . ويقسم العلماء عصور الحضارة المينوية ثلاثة عصور :

العصر المبكر ويمتد زمانه من حوالى ٢٨٠٠ إلى ١٨٠٠ ق. م ، وفيه ازداد عدد سكان الجزيرة ازدياداً ملحوظاً ، ونشأت مدن هامة على الساحل . وكانت أكثر المناطق رفاهية وازدهارا ما كان منها فى شرق الجزيرة ، على أن سهل مسارا فى الجنوب قد أصبح آهلاً بالسكان أيضاً . وترتب على تركيز السكان فى المدن والقرى تكوين طبقة من العمال المهرة المحترفين مما أدى إلى ازدهار الفنون ولا سيما صناعة الفخار .

---

(١) عندما زار الرحالة « باشلى » كريت عام ١٨٣٤ (أى أثناء الحكم المصرى فيها) وجد أن « كنوسوس » قد أصبحت تعرف بالحائط الطويل Makro-Teikho نسبة للحائط الأثرى الموجود بها (أنظر .(Pashley, Vol. I, p. 204) .

فتيسرت أمور الحياة ، وتحسنت طرق المواصلات ، وقويت صلات كريت بما جاورها من البلدان فتوثقت بمصر وليبيا ولئن كانت حياة الجزيرة قد دخلت فى طور التصنيع ، إلا أن الصناعة لم تعد الفخار ، فنحن لا نلحظ فى هذا العصر تقدماً فى الصناعات المدنية ، كما كان فن النحت ما يزال فى المهد ، وكانت الجزيرة فى ذلك العهد مقسمة ثلاثة أقسام موزعة بين الشرق والجنوب والوسط من أرضها وقد بدأ كل منها مستقلاً عن نظيريه . فأما العصر المينوى الوسيط (وزمانه من حوال ١٨٠٠ — ١٥٥٠ ق. م) فيتميز بميزتين على جانب عظيم من الأهمية ، نشأة القصور ووحدة الثقافة مع بعض الاختلافات المحلية الناشئة عن صعوبة الاتصال بين أنحاء الجزيرة . وفى خلال هذين القرنين المزدهرين ، بدأ التقسيم الثلاثى يتلاشى . وأخذ السكان ينتشرون فى المناطق الواقعة غربى جبل « إيدا » Ida وكانت « كنوسوس » على الرغم من تعدد الولايات القائمة فى الجزيرة تقوم منها مقام المركز السياسى الأول . ومن المحتمل أن تكون « فايستوس » Phaestos وكانت موطن الحضارة فى جنوب الجزيرة قد احتفظت فى ذلك العهد باستقلالها وتشابهت طرق البناء فى أنحاء الجزيرة المختلفة مما يشير إلى أن الثقافة المينوية قد أصبحت وحدة متماسكة ، وظهرت العجلة المستعملة فى صناعة الفخار وازدهرت صناعة تلوين أوانى الزهور الفخارية ازدهاراً عظيماً ، وزاد الثراء فى أنحاء الجزيرة نتيجة لازدهار التجارة ، ونجح المينويون — لبعدهم عن أخطار الحروب ، ويقيهم البحر شرها ويحميهم من أطماع المغيرين — فى السيطرة على امبراطورية تجارية واسعة النطاق . وكانوا فى طريقة تكوينها يشبهون بريطانيا فيما اتبعته من وسائل لبناء امبراطوريتها . وفى مطلع العهد المينوى المتأخر حوالى (١٥٥٠ — ١١٠٠ ق. م) أصبحت كريت قوة عالمية ، وكادت من هذه الناحية تتساوى مع مصر ومملكة الحيثيين . ومن ثم أصبحت « كنوسوس » مركزاً لنظام بيروقراطى واسع النطاق ، واستطاع صاحب كريت من عاصمة مملكة « كنوسوس » أن يمد سلطانه على شعوب كثيرة عبر البحار وأضحى « قصر

مينوس » مقاماً للملك وداراً للادارة المركزية فى وقت معاً وفى منتصف الألف الثانية بلغت هذه الأمبراطورية أوج عظمتها ، وهنالك بدأت سنة الزمن والتاريخ تتضح فى حياة الأمبراطورية فأقبلت عليها كقطع الليل يدافع بعضها بعضا ، تسكالبت عليها المصائب من كل جانب ، وبدأ الخراب يدب فى بنائها ، فاندكت القصور وعمت الحرائق فى مختلف أنحاء الجزيرة وبخاصة فى « كنوسوس » . و « فايستوس » والمؤرخون يختلفون فى أسباب هذا الخراب[١] وإن كان من المرجح أنه لم يكن نتيجة غزو خارجى ، وإنما هى فترة فتن واضطرابات داخلية أشبه ماتكون بتلك التى أدت إلى إنهيار الدولة القديمة فى تاريخ الفراعنة .

ومهما يكن من شىء فإن حضارة كريت لم يقدر لها الموت ، فلم تلبث حتى ازدهرت من جديد بين يدى أسرة جديدة نجحت فى السيطرة على تل « كنوسوس »[٢] .

على أن شياطين الفتنة لم تكن قد نامت فى المدينة ، وجذور الخلاف لم يكن قد قضى عليها تماماً ، مما هيأ الرومان الطريق إلى التدخل فى شئون الجزيرة ومن قبل كانوا منذ أوائل القرن الثانى قبل الميلاد قد سيطروا على مقدونية وسورية تارة بسلاح الحرب وأخرى بأساليب السياسة ثم ازداد تدخلهم فى أمور كريت واتضحت آثاره ، ولا أدل على ذلك من أنهم نجحوا فى أيام القرن الثانى نجاحاً مكن لهم من التدخل فى شئون الجزيرة الداخلية مستغلين نفوذهم فى خدمة مصالحهم ، وأعانهم على ذلك النضال المتصل بين Gortyna و Cnossos ولما كانت الحرب المقدونية الثانية (١٧١ — ١٨٦ ق.م) أعلنت مدائن الجزيرة حيادها ثم أخذت بعد ذلك تعلن تحررها من النفوذ الرومانى ، وبانت آثار ذلك فى تحيز فريق منها لأحد الخصمين المتحاربين ، وتحيز الفريق الثانى للخصم الآخر . وباتت جميعاً تحترف القرصنة واتهمت فى تزويد الخصمين المتحاربين بالجنود المرتزقة .

---

(١) L. Cottrell, *The Bull of Minos*, pp. 184-186 (3rd ed. 1960).

(٢) J. B. Bury, *History of Greece*, p. 9 (London 1938)

أما السبب المباشر الذى دفع الرومان إلى محاربة الكريتيين فهو مابدا لهم من ممالأة الكريتيين « لمثرديت » Mithridates ملك « بارثيا » وامداده بالجنود المرتزقة ، والتشجيع على أعمال القرصنة ، واستمات أهل الجزيرة فى رد عدوان الرومان ، ونجحوا آخر الأمر فى عقد صلح لم يكن مرضياً للرومان وكان ذلك فى عام ٧١ ق. م ونقض العهد حين تقدم الرومان بمطالب لم يرض الكريتيون بقبولها .

هنالك غضب الرومان وبعثوا على الجزيرة بجيش عقدوا إمارته « لمتيلاس » Mettellus الذى استطاع بوسائل العنف أن يحقق أغراض أمته فى احتلال الجزيرة فى عام ٦٧ ق. م ، وذلك بعد نضال وحشى مرير دام ثلاثة أعوام كاملة وقام فيه الكريتيون مقاومة الأبطال(١) ومنذ ذلك الوقت عدت كريت ولاية رومانية ، ثم هان أمرها على الرومان فلم تلبث غير قليل حتى ألحقت إدارياً بإمارة برقة ، ثم انتقلت بعد ذلك أيام الأمبراطور قسطنطين فألحقت بولاية « ايلليريا » وظلت جزءاً من الأمبراطورية الرومانية حتى أخذها العرب المسلمون فى عام ٨٢٣م قعدت منذ ذلك الوقت وكراً للقرصنة ، وسوقاً لتجارة الرقيق ، وظلت تتصدى لكافة الجهود التى بذلتها الأمبراطورية البيزنطية بغية استخلاصها من أيدى العرب أكثر من أربعة أجيال . وفى عام ٩٦٠م استطاع نقفور فوقاس « أن يأخذها من أيدى العرب وظلت تحت سلطان بيزنطة إلى أن أخذها البنادقة فى عام ١٢٠٤م فبسطوا عليها سلطانهم أكثر من أربعة قرون . ثم أخذ العثمانيون

---

(١) R. F. Willetts, *Aristocratic Society in Ancient Crete*, pp. 237-241 (London 1955).

كانت مقاومة الكريتيين عنيفة وصادقة وليس أدل على ذلك من أن الجزيرة حين سقطت فى أيدى الرومان وجدوها وقد كادت تخلو من سكانها ، كما أن الرومان أنفسهم عدوا انتصارهم على الكريتيين شيئاً عظيماً فنحوا قائدهم الفاتح لقب Creticus (الكريتى) كما فعلوا من قبل عندما أسموا قائدهم Scipio الذى غلب هانيبال فى موقعة زاما سنة ٢٠٢ ق. م Africanus (الأفريقى) أنظر Finlay, Vol. I, p. 22.

see also A. Softazadé, *La Crète sous la domination et suzeraineté Ottomanes* (Paris, 1902), pp. 1-2.

فى عام ١٦٦٩ ، ورفعوا رايتهم عليها قرنين ونصف قرن . ثم آلت من ذلك إلى اليونان .

قصة استيلاء العـرب على كريت

كان لظهور الإسلام أثر فى تغيير مجرى التاريخ فى حوض البحر المتوسط ، فبسقوط الإسكندرية تحت راية المسلمين عام ٦٤١ م تبدل الحال غير الحال ، وبدأت فى تاريخ البحر مرحلة جديدة ذلك لأن انتشار الإسلام فى الأقطار الواقعة على سواحل البحر قد أيقظ فى الشعوب وعياً جديداً وبخاصة فى سورية وفلسطين ومصر وشمال أفريقيـة ، وما زالت آثار ذلك الوعى — على الرغم من كافة المحاولات التى بذلتها دول الاستعمار للقضاء عليها بمختلف الوسائل — تمثل الحقيقة الواقعة فى الفـكر العربى والعنصر الأساسى فى الحياة العربية كافة فى تلك الرقعة العريضة من العالم اليوم .

كانت حاجة العرب إلى تأمين حياتهم الجديدة ، والدفاع عما كسبت أيديهم من ملك تدفعهم إلى البحر دفعاً قوياً فإذا كان وعيهم الجديد قد أمكنهم من زمام ما ملـكوا فى البر فقد كان زمامه البحرى ما يزال فى قبضة بيزنطة . ومن المرجح أنهم لم يدركوا عواقب هـذا الخطر إدراكاً كاملاً حتى عام ٦٤٥ م ذلك عندما يبعث البيزنطيون بحملة بحرية إلى شواطىء مصر استطاعت أن تسترد الاسكندرية . وكان على العرب أن يقاتلوا فى سبيل إجلاء البيزنطيين عنها قتالا عنيفاً .

لقد كان معاوية أول من بنى أسطولاً عربياً ، ثم ساقه فى البحر على جزيرة قبرص عام ٦٤٨م فاستولى عليها فى سهولة ويسر . وكان هذا أول الحلقة فى سلسلة الانتصارات البحرية التى أحرزها العرب . وفى عام ٦٥٢ أغارت حملة بحرية من سورية على تلك الجزيرة وعادت منها بغنائم عظيمة ، وفى نفس العام أغارت حملة

أخرى على جـزيرة رودوس وكان نصيبها النصر . وبعد ذلك بعامين حمل العرب مرة أخرى على جزيرة قبرص واحتلوها احتلالاً كاملاً .

وفى منتصف القرن الثامن الميلادى ، على وجه التحديد فى عام ٧٤٧م ، تنكر الحظ للعرب فى البحر وأدار وجهه لبيزنطة حتى جرت بين الفريقين على مقربة من قبرص معركة من المعارك الحاسمة أحاط فيها أسطول كريت البيزنطى بأسطول العرب وكان ضخماً قوامه ألف سفينة فهزمه هزيمة منكرة بحيث لم تنج من سفنه العديدة غير ثلاث لاذات بالفرار ، وهكذا انتهى أمر النضال البحرى بين بيزنطة والعرب ، كما اختفت قوة مصر البحرية أكثر من قرن وسكتت الأيام فلم تذكر من أخبار البحرية السورية نحو ربع قرن . ثم بدأت الأيام تتحدث بذكر الأسطول العربى السورى وتشير إلى نشاطه فى أواخر القرن التاسع الميلادى بين يدى ليو الطرابلسى[١] أما بيزنطة فقد احتفظت بسيادتها البحرية فى البحر الأبيض والأسود لمدة نصف قرن تبدأ بعد عام ٧٥٢ ، وبسطت نفوذها خلال ذلك على جزر صقلية ، وكريت وقبرص وسردينيه ، وجزر البليار ، كما استطاعت أن تتحكم فى المضايق ذات القيمة البحرية الهامة الواقعة على طريق التجارة البحرى بين الشرق والغرب . وفى مطلع القرن التاسع الميلادى أخذت الأمور تتغير حتى عجزت بيزنطة عن السيطرة على البحر ، وأهملت شأن أسطولها ، فى وقت أخذت فيه أقاليم لا صلة لها ببيزنطة تقوى أساطيلها وتدعم قواتها فى البحر ومنها الأندلس وسورية ، وشمال أفريقية والأمبراطورية الكارولنجية[٢] .

ومن الطريف أن أعظم مغامرات الأسطول الأندلسى فى شرق البحر المتوسط قد وقعت حوالى عام ٨١٤ عندما اضطر فريق من العرب الأسبان يبلغ عددهم حوالى ١٥,٠٠٠ إلى الهجرة على أثر ثورة عارمة وقعت فى ضواحى قرطبة

---

(١) أنظر أرشيبالد ر. لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى (فصل الغزو العربى ٦٤١ — ٧٥٢م) ص ٨٧ وما بعدها .

(٢) أنظر نفس المرجع ، ص ١٥٨ ، ١٦٢ .

فى عهد الخليفة الأموى الحكم ، ويظهر أن هؤلاء اللاجئين قد وصلوا بأسطولهم إلى مصر دون أن يعترض طريقهم أحد من البيزنطيين أو العباسيين وبلغ أكثرهم الاسكندرية واستقروا فيها ، وهنالك اشتعلت نيران الحرب الأهلية فى مصر فشاركوا فيها وكانت الفوضى التى سادت مصر فى هذه الفترة مما ساعد هؤلاء على الاحتفاظ بسلطتهم والبقاء فى الاسكندرية ما يزيد على عشرة أعوام . ولكنهم طردوا منها فى النهاية بعد معركة برية بينهم وبين الوالى العباسى الذى هزمهم وصادف ذلك عهد تدهور فى أحوال الدولة البيزنطية التى حلت بها فى ذلك الوقت المصائب من كل جانب ، وفقدت مركزها البحرى فى حوض البحر المتوسط ، وقد تسبب هذا كله عن ثورة « توماس » الصقلبى بين عامى ٨٢١، ٨٢٣ التى كانت إيذاناً باندلاع الحرب الأهلية . أصابت هذه الحرب قوة القسطنطينية فى البحار بالضعف البين وقد استمرت تعانى نتائجه على الرغم من هزيمة ذلك الثائر فى النهاية فى عام ٨٢٣ . تنبه العرب الوافدون على الاسكندرية من الأندلس لهذه الحقيقة ، فعبروا البحر على أثر هزيمتهم على يد الوالى العباسى إلى كريت ، فنزلوها دون مقاومة ، واتخذوا منها مستقراً فى عام ٨٢٣ . ولم يستطع امبراطور بيزنطة أن يزحزحهم عنها ولما نجح المأمون فى إطفاء نيران الفتنة الأهلية فى مصر ، بعث ببقية المهاجرين إلى الجزيرة ، فبلغوها عام ٨٢٥ تحت قيادة أبى حفص(١) وكان قد جمع لنقلهم أربعين سفينة هنالك أظلتها راية المسلمين الذين قرروا منذ ذلك الوقت أن يتخذوا منها موطناً(٢) .

---

(١) أبو حفص عمر البلوطى البطروجى الأقريطشى من بطروج فى « فحص البلوط » (وهى فى شمال قرطبة فى جبال سيرا مورينا) شيخ الريفيين الذين طردهم الحكم الأول الربضى عام ٨١٤م من ضاحية ربض فى الجنوب الغربى من قرطبة « واستوطنوا مصر مدة طويلة وخاصة الأسكندرية ولما أجلاهم العباسيون من هذه المدينة أخضعوا أقريطش عام ٩٦١م . دائرة المعارف الإسلامية ، جزء أول ص ٣٢٦ — ٣٢٧ (ترجمة ١٩٣٣ طبعة ٢) .

(٢) وتوجد قصة الغزو العربى لكريت فى عدة مراجع منها .

Finlay, *History of Greece*, Vol. II, pp. 135-136.

وفى ارشيبالد الترجمة) ص ١٦٤ ، ١٦٨ — ١٦٩ (فى فصل السيادة البيزنطية ٧٥٣ — ٨٢٧م) . وفى دائرة المعارف الإسلامية ، الجزء الثانى ص ٤٦٦ — ٤٦٧ .

ويزعم الكتاب البيزنطيون أن العرب عندما بلغوا شواطىء الجزيرة ونزلوا بها عمدوا إلى تحطيم أسطولهم[١] . وأقاموا لهم معسكراً ، وأمنوا جوانبه وحصنوه بالخندقة من حوله . ومن ذلك اليوم عرف المكان ، وما حوله باسم الخندق ، الذى حرفته السنة الغربيين إلى « قنديا » وظل الخندق ومن فيه مبعث رعب وفزع يرهب بحر إيجه ويزعج عرش بيزنطة طيلة قرن ونصف قرن[٢] ، يزيده قوة ما للجزيرة بحكم موقعها من مكان حربى ممتاز[٣] .

على أن العرب لم يلقوا من المقاومة يومئذ ما يقلقهم ، فأساطيل بيزنطة الأقليمية قد دمرت أثناء ثورة «توماس الصقلبي» قبل غزو العرب بأعوام قلائل ، وسكان الجزيرة كانوا يكرهون سادتهم فى القسطنطينية بسبب اختلاف المذاهب الدينية[٤] .

وواضح من ظروف هذا الغزو أن الذين قاموا به لم يكونوا قراصنة ولا هواة حرب ، وإنما كانوا قوماً شردتهم الفتن وأجلتهم عن ديارهم فى الأندلس فراحوا يطلبون وطناً جديداً يبغون فيه حياة مستقرة شأنهم فى ذلك شأن من تضطره

---

(١) إذا صح هذا الزعم — وليس بمستبعد ان يكون صحيحاً — فأغلب الظن أن العرب إنما فعلوا ذلك تيمناً بمافعله أسلافهم من قبل عندما بلغوا الأندلس تحت إمرة طارق بن زياد— ويؤيد هذا الرأى La Roche, *La Crète Ancienne et Moderne*, Paris, 1898, p. 44.
فهو يشير أنه عندما وطئت قدما أبى حفص أرض الجزيرة صاح فى جنده « ها هى الأرض الطيبة التى وصفها النبى بالبلد الذى يتدفق فيه اللبن والعسل . ثم أنزل بعد ذلك كافة قواته بالجزيرة فيما عدا عشرين جندياً فى كل سفينة وأصدر إليهم أوامره باحراق كافة السفن وعندما سأله ضباطه عن السبب اكتفى بأن ذكر لهم « انى أمدكم بوطن تجدون فيه زوجات يحللن محل أولئك اللاتى تركتموهن ، وما عليكم إلا أن تتكاثروا وتمدونا بالخلف » .

(٢) كان بناء تلك الحصون التى غدت مع الزمن عواصم للحكم العربى من السنن المتبعة فى سياسة المسلمين إذا ما فتحوا فى الأرض فتحاً جديداً فهكذا فعلوا عندما فتحوا مصر على يد عمرو بن العاص وعندما فتحها الفاطميون أيام المعز ، وعندما فتحوا المغرب فشيدوا القيروان وفاس ، ومن قبل ذلك كله الكوفة وبغداد وإلى هذه الحقيقة يشير كذلك المؤرخ Finlay فى كتابه المذكور آنفاً ، الجزء الثانى ص ١٣٥ — ١٣٦ .

(٣) *Cambridge Medieval History*, Vol. IV, p. 36.

(٤) أنظر الارشيبالد لويس ، ١٦٩ — ١٧٠ .

ظروف العيش إلى الهجرة . وكان أكثرهم من الشباب فكافحوا فى سبيل العيش كفاحاً صادقاً وكونوا أسراً ، وجمعوا ثروات وأقبل عظماؤهم على الزواج من سكان الجزيرة فاتصلت الأنساب ، وتوثقت روابط الدم ، وعمت المساواة ، وسادت الناس علاقات من الود والتعاون أدت إلى ازدهار الحياة فى الجزيرة إزدهاراً كان من شأنه أن يؤدى إلى طراوة العيش وازدياد عدد السكان بعد الذى أصابها من انحلال وتدهور ثم فقر ونقص بالغ فى عدد السكان[1] .

وكان لاستيلاء العرب على كريت وما تقدمه من إغارتهم على صقلية أثره الواضح فى تغيير وجه التاريخ فى حوض البحر المتوسط ، فقد أخذت السيادة على البحر تنتقل إلى أيدى المسلمين الذين انتشروا على سواحله الجنوبية من جبال طوروس إلى جبال البرانس ، وانتهت سيطرتهم على جزائر البحر ذات المواقع الهامة إلى تحقيق أغراض دفاعية فغدت كريت مرقباً وحصناً يرد منه العدوان عن مصر ، كما غدت صقلية حصناً لحماية شمال أفريقية ، فإذا شواطىء المسلمين تصبح فى أواخر القرن التاسع ولأول مرة منذ عام ٦٤٥ فى مأمن من كل عدوان . فلم يكد يمضى على استيلاء العرب على كريت خمسة أعوام حتى تم إخماد نار الفتن الداخلية فى مصر عام ٨٣٢م أى بعد اندلاعها أكثر من قرن من الزمان[2] . وهكذا أصبحت كريت أقوى مراكز العرب البحرية فى شرقى البحر المتوسط[3].

وقد بذلت بيزنطة جهوداً متصلة لاسترداد الجزيرة فباءت جميعها بالفشل . حاول ميخائيل الثانى ذلك عقب هزيمة « توماس » فلم يفلح ، وفشلت الحملة التى قادها « فوتينوس » وفشلت حملة أخرى بقيادة كراتيراس حاكم إقليم « كبير هايوت » وكان قد جمع لها سبعين سفينة حربية من ولايته ومن بلاد اليونان ،

---

(١) Finlay, Vol. II, p. 136.

(٢) أنظر ارشيبالد لويس ، ص ٢١١و٢٤٩ و ٢٥٦ .

(٣) Astrogorskey, *History of the Byzantine State*, (Oxford, 1956), Translated by Joan Huss, p. 252.

وبحر إيجه — واستطاع المسلمون رد هذه الحملات فاشلة كما قابلوها بإغارات على ساحل تراقية وجزر السيكلاديز . وفى عام ٨٣٩ أحرز مسلمو كريت نصراً عظيماً على بيزنطة حين تمكنوا من تدمير أسطولها على مقربة من جزيرة فاسوس .

هنالك ذعر البيزنطيون ذعراً شديداً ، فجدوا فى تجهيز عمارة بحرية جديدة ضخمة لإخضاع المسلمين فى كريت الذين أصبحوا مصدر قلق وخطر شديدين على كيان بيزنطة ، وجعلوا إمارة هذا الأسطول لقائد يقال له « تيوكستوس » إلا أن التدابير المحكمة والمؤامرات التى قام بها أهل كريت قد عوقت ذلك الأسطول حتى من مغادرة موانيه .

وانتعشت البحرية البيزنطية فى زمان « فاسيل الأول » انتعاشاً بان أثره فى مياه بحر إيجه ، وفى مياه البحر المتوسط . فلما كان عام ٨٧٩ وجهت بيزنطة أسطولاً من أساطيلها الضخمة بقيادة أمير البحر « نيكتاس » فظفر بالأسطول العربى الكريتى فى خليج كورنث وحطمه . وكان من أثر ذلك أن استقر السلام فى بحر إيجه مدة تزيد على عشرين عاماً . وظلت عواصف الحرب والغارة ساكنة فى جو غرب كريت حتى عام ٩٠١م .

وفى هدوء العاصفة يستجمع عرب كريت قواهم يستعدون للحرب من جديد فإذا ما أظلهم عام ٩٠٤ استطاعوا أن يوجهوا أشد ضرباتهم إلى سالونيك ثانى مدن الأمبراطورية البيزنطية وعاونهم فى ذلك « ليو الطرابلسى » وأسروا من البيزنطيين ٢٢٠٠٠ ساقوهم إلى مختلف الأقطار الإسلامية ولما أرجعت هذه الضربة قلب بيزنطة عزمت على الانتقام لنفسها فبعثت على كريت عام ٩١٠ بقوة بحرية ضخمة ، كان مصيرها الفشل .

وباتت قندية مصدر قلق دائم ، وخطر دائم وظل الأمر يهدد كيان بيزنطة كذلك حتى عام ٩٢٣ حين ظفر القائد البيزنطى « رومانوس ليكابينوس »

بالمغامر الطرابلسى « ليو » فحطم أسطوله على مقربة من جزيرة لمنوس[١] فحرر هذا الانتصار العظيم منطقة بحر إيجه من هجمات العرب مدة تزيد على عشرين عاماً ؛ وحوالى منتصف القرن العاشر (٩٤٩) عاود الأمل بيزنطة فى القضاء على المسلمين ، فبعثت على كريت بحملة ضخمة بغية الاستيلاء على « قندية » قلعة المسلمين العتيدة ، فباءت بالفشل[٢] وبقيت كريت فى قبضة المسلمين . وهكذا أثبت المسلمون فى كريت أنهم أصلب عوداً ، وأشد بأساً وألد عداوة وأصبر على القتال مما قدر لهم البيزنطيون .

وهكذا نجح العرب على قلتهم بفضل قوتهم وشجاعتهم ، وصبرهم على الشدائد وحبهم الملاحة وميلهم إلى العدل والمساواة فى الاحتفاظ بأغلى درتين فى تاج الأمبراطورية البيزنطية « كريت » و « صقلية » . ولم يجد سكان الجزيرتين وكلهم من اليونانيين ، ودينهم المسيحية ، وكثرتهم من أهل اليسار فى وجودهم تحت راية المسلمين غضاضة أو حرجاً . وذلك لأن التاريخ يعرف للعرب تسامحهم الكريم ، ويشهد أنهم ماغزوا قوماً ليذلوهم ، وما فتحوا من بلاد المسيحية بلداً دون أن يكون ذلك لاستغاثة من ظلم أواستعانة على محنة[٣] وهذا مؤرخ مسيحى يرى فى سيرة بعض الحكومات المسيحية من الظلم والجور والعسف ، والبعد عن العدل والمساواة وإهمال الكرامة الإنسانية عاراً لايستطيع تاريخ الدنيا على مر العصور أن ينساه . وإذا كان التاريخ لم يستطع أن ينسى ذلك ، فهو لم ينسى للعرب تسامحهم ووفاءهم بالعهد ، وصفاء نفوسهم من التعصب[٤] ويرجع احتفاظ العرب بجزيرة كريت هذا المدى الطويل إلى عجز الامبراطورية البيزنطية عن

---

(١) أنظر ارشيبالد لويس ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

(٢) أنظر المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٣) كان ذلك شأنهم عند فتح مصر على يد عمرو بن العاص ، وعند فتح الأندلس بين يدى طارق بن زياد .

(٤) Finlay, Vol. II, p. 134

تدبير أمورها فلم تكن ظروف الأمن فيها لتسمح لها بالاستغناء عن جزء من قواتها المرابطة بالعاصمة وما حولها لتهاجم به الجزيرة وتحميها إن هى نجحت فى استردادها ، ثم إلى عوامل أخرى تعللت بها الأمبراطورية تغطية لعجزها ، وهى عدم اهتمام ساستها بجزيرتى كريت وصقلية ، نظراً لضآلة الفائض من مواردهما ، وثالث الأسباب سماحة العرب وسخاؤهم فيما أعطوا لأهل الجزيرة من حرية التصرف فى أموالهم على نحو لم يعرفوه تحت سلطان بيزنطة[1] .

نهاية سلطان العرب وقيام الحكم البيزنطى :

ولما كانت تجارة الرقيق إذ ذاك أشد ألوان التجارة رواجاً ، وأوفرها ربحاً فى حوض البحر المتوسط ، لم يجد العرب بدا من النزول إلى سوقها ، فكانوا أكثر التجار نشاطاً وأوفرهم حظاً من الربح ، وغدت الجزيرة بين أيديهم أكبر أسواق الرقيق ، وانتظمت تجارة الرقيق بين أيدى من أسلم من أهل الجزيرة الذين استطاعوا إقامة علاقاتهم التجارية مع أمثالهم من تجار الرقيق المسيحيين فى بيزنطة يردون عليهم الأسرى من أبناء الأسر الموسرة ، عن طريق البيع والبدل بغية الربح والتحرير[2] . واقتضى احتراف هذا اللون من التجارة أن يكون بين العرب قراصنة مهرة دوخوا البيزنطيين بكثرة ماشنوا من غارات على ثغورها المختلفة حتى عوّقوا تجارتها ، وحتى بات سكان جزر الأرخبيل فى رعب دائم من سطوة قراصنة العرب ، وحتى اضطروا آخر الأمر إلى دفع أتاوة منظمة لحكام كريت من المسلمين ابتغاء مرضاتهم وتأميناً لتجارتهم .

وتنظر القسطنطينية فإذا تجارتها بائرة وأسواقها معطلة نتيجة لنشاط قراصنة الجزيرة[3] وترى بين يديها قوة بحرية تم بناؤها أيام « رومانوس ليكابينوس » ، ففكرت فى مهاجمة معاقل القراصنة العربية فى كريت . فلما كان الصيف من

(١) *Ibid.*, Vol. II, p. 139.
(٢) *Ibid.*, Vol. II, p. 276.
(٣) *Ibid.*, Vol. II, p. 315.

عام ٩٦٠ بعثت على كريت بأسطول ضخم قوامه ألفان من سفن الحرب وألف وثلثمائة وستون سفينة تحمل المؤن والذخائر . واحتاطت بيزنطة فبعثت ببعض أساطيلها إلى شرق البحر لتحول دون وصول أى عون يتحمل أن يتلقاه العرب من أعوانهم فى سورية بخاصة ، وفى الشرق العربى بعامه[١] . وحملت الأساطيل على قندية فلقى البيزنطيون من العرب مقاومة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها خلعت على قائد الروم المنتصر « نقفور فوكاس "Nicephorus Phocas" صفة البطولة ، وتسقط عاصمة الجزيرة فى ٧ مايو ٩٦١ ، ويضع الروم أيديهم عليها بما توافر فيها من ثروات ضخمة من المال والرقيق جمعها القراصنة العرب بجهودهم المتصلة ، فحملت جميعها إلى القسطنطينية[٢] . ولم يرى الروم مكاناً يحكمون منه الجزيرة خيراً من ذلك المكان الذى اختاره العرب كما رأوا أن السيطرة على الجزيرة تقتضيهم الخلاص من العرب بالقضاء على البقية الباقية منهم ، فخربوا ديارهم ، وهدموا كافة معاقلهم فى قندية ، واختاروا إلى جوارها ربوة أقاموا عليها قلعة أسموها « تيمنوس » Temenos (٣) . وكانت قلعة حصينة منيعة بما كان حولها من أخاديد وأنهار ، كما كانت مزودة بينابيع تمدها بالماء ويجرى إليها من غير انقطاع .

وهكذا زالت دولة العرب فى الجزيرة ، وثبت الروم أقدامهم فيها ، يمدون عليها سلطانهم من قلعتهم تلك التى شاء القدر أن يجعلها ملجأ لدوق قندية أيام البنادقة عندما أعلن « ماركوسنودو » Marco Sanudo عصيانه على البندقية وتمكن من السيطرة على كبرى المدائن فى الجزيرة[٤] ثم تبقى آخر الأمر بقية

---

(١) ارشيبالد لويس ، ترجمة أحمد عيسى ص ٣٩٥ — ٣٩٦ .

(٢) Finlay, Vol. II, p. 318.

(٣) *Ibid.*, Vol. II, p. 318.

(٤) وهذا وقد أسمى البنادقة هذه القلعة « روكا » "Rhoka" أى الحصن ، وظلت تحمل هذا الاسم حتى زارها الرحالة باشلى أيام الحكم المصرى . أنظر الجزء الأول من كتاب باشلى ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

هزيلة من العرب مغلوبة على أمرها ، مسلوبة الحول والقوة لتحيي حياة منكرة سداها الرق ولحمتها الذل والهوان . وينصرف عنهم أهـل الجزيرة عن آخرهم فى الدين أربعة أجيال كاملة حين يرتدون إلى المسيحية بين يدى واحد من كهنتها يدعى نيكون Nikon(١) ويشعر سكان الجزيرة بمرارة الندم على استسلامهم لسلطان الروم ، وتمر أيام حياتهم حسرات على أيام العرب حين يشتد عليهم ضغط الروم فيطالبونهم بما لا قبل لهم به من المـال ، وتتكرر ثورتهم على الروم ويتزعمهم آخر الأمر زعيم لهم يقـال له كاريكاس Karykas فيحضهم على استئناف الجهاد بغية الحصول على الاستقلال . وإذ يبلغ أسطول الروم شواطىء الجزيرة يتخلى عنه أعوانه فيقع فى أيدى الروم ليحكموا عليه بالموت(٢) .

---

(١) عندما وقعت الجزيرة تحت حكم العرب فى القرن التاسع الميلادى تحول غالبية سكانها إلى الإسلام وظلوا كذلك حتى سقوطها فى يد البيزنطيين فى ٩٦١ على أن بعض الأسر الموسرة من سكان قندية قد احتفظت سراً بالمسيحية على الرغم من جهرها بالإسلام فى ظل حكم العرب ومنها أسرة «كرموليدس » Kormulidhes من «كوزيه » Khuse فى سهل ، «مسارا» الخصيب
Pashley, Vol. I, pp. 104-105.

(٢) Finlay, Vol. III, pp. 50-60.

الفصل الثالث

كريت تحت حكم البنادقة (١٢٠٤ — ١٦٦٩)

هيأت الظروف للبندقية فى بداية القرن الثالث عشر حظاً من النجاح السياسى لم تكن لتحلم به من قبل فاحتلت فى الشرق مكاناً سياسياً واقتصادياً حسدتها عليه كافة الشعوب الإسلامية والمسيحية على السواء .

فهى قد بصرت بأمبراطورية البيزنطيين فرأتها تتدهور وتهوى بسرعة ، فمدت أطماعها إليها وانتهزت قيام الحرب الصليبية فأسهمت فيها أملاً فى توسيع أملاكها على حسابها ، وبغية تقوية مركزها التجارى فى الشرق[١] وحققت الظروف آمال البنادقة باتفاق أكتوبر ١٢٠٤ الذى جعل من نصيبهم خير ما كان تحت سلطان البيزنطيين من ملك[٢] .

وارتبط مصير جزيرة كريت فى ذلك الوقت أى فى بداية القرن الثالث عشر بحروب الصليب وبخاصة تلك التى وجهها الصليبيون — وضمت يومئذ أخلاط من البنادقة والفرنسيين والايطاليين والألمان — ضد بيزنطة . وكان من نتائجها سقوط عاصمتها القسطنطينية فى أيديهم ، فلما أرادوا اقتسام أملاكها بينهم ، كان نصيب بونيفاس منفرات[٣] إقطاعيات فى بعض الأقاليم الأسيوية إثر استبدال

---

(١) Finlay, Vol. IV, pp. 271-272.

(٢) أنظر مدى اتساع هذه الأملاك وتوزيعها فى شارل ديل ، البندقية جمهورية ارستقراطية ، تعريب الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، وتوفيق اسكندر ، ص ٤٣—٤٤ .

(٣) Montferrat أرض فى إيطاليا تقع جنوبى نهر البو . وشرق تورينو ، تملكها أسرة كانت من أكبر الأسرات فى لمبارديا فى القرن الثانى عشر ، واشترك أفراد منها فى الحروب الصليبية وكان « بونيفاس » Boniface قائد الحملة الصليبية الرابعة فى سنة ١٢٠١ وهى الحملة التى تحولت إلى القسطنطينية ثم أعطى حكم مقدونية وشمال تساليا وكريد ، وفى سنة ١٢٠٧ قتل بينما كان يحارب البلغاريين ، شارل ديل ، المرجع السابق ، ص ٤٤ .

غيرها بها نظراً لبعدها عن أملاكه الموروثة فى إيطاليا ، فاستبدل بها مقدونية وقبل أن يتقرر نصيبه من أملاك الأمبراطورية البيزنطية التى سقطت كلها فى يد الغزاة ، أجرى مع البنادقة مفاوضات انتهت بتنازله لهم عن جزيرة كريت التى ادعى أن الكسيوس Alexius الرابع (الصغير) كان قد وعده بها ، وعن سالونيك التى ادعى أن الأمبراطور مانويل كان قد وعد بها أباه ، كما تنازل لهم عن أملاك أخرى كان قد حصل عليها من الأمبراطورية لقاء تعويض قدره ألف مارك من الفضة بالإضافة إلى جزء من نصيبهم يقع فى الجزء الغربى من الأمبراطورية(١).

وهكذا أتاحت الظروف السياسية للبنادقة إقامة أمبراطورية كبرى من الأمبراطوريات الاستعمارية فى الشرق . وظل دوج البندقية يتربع على عرشها مزهواً بكونه صاحب ربع ونصف ربع الأمبراطورية البيزنطية حتى عام (١٣٤٦)(٢) .

وكانت كريت التى صارت فى حوزة البندقية نتيجة للحرب الصليبية الرابعة أغلى درة فى تاجها نظراً لموقعها الممتاز الذى جعل منها محطة صالحة لاستقبال سفن التجارة فى طريقها إلى مصر وفلسطين وقبرص وآسية الصغرى والقسطنطينية وشواطىء البحر الأسود حتى طرابيزون(٣) وفيها وجد البنادقة خير قاعدة يمدون منها سلطانهم على الشرق ، وليس غريباً أن يصفها أحد دوجاتهم بأنها « عماد الأمبراطورية ، ومركز قوتها فإن نزلت بها نازلة فقدنا الأمل فى كل ما عداها » وليس أدل على مكان الجزيرة من امبراطورية البنادقة وحرصهم عليها من أنها كانت آخر ما تبقى لهم من أملاكهم فى الشرق(٤) . وتعرضت الجزيرة إبان استيلاء البنادقة عليها لهجوم المغامرين من رجال الحرب ، فقصد إليها أحدهم ويدعى « هنريكو

(١) Finlay, Vol. IV, pp. 97-98.
(٢) شارل ديل ، ص ٤٤ .
(٣) Finlay, Vol. IV, p. 272.
(٤) أنظر شارل ديل ص ٤٦ — ٤٧ .

بسكاتورى » Enrico Pescatore (هنرى حاكم مالطة) غازياً عام ١٢٠٦ ونجح فى الاستيلاء على جزء كبير منها . وحاول بمعاونة جمهورية جنوه أن يستقل بها ويجعل نفسه أميراً عليها ، ولكن البنادقة نجحوا فى طرد هذا المغامر وأعوانه من الجزيرة بعد أن استقر فى الجزيرة ستة أعوام كاملة(١) .

واستفاد البنادقة من هذه التجربة التى مرت بهم فى بداية عهدهم بحكم كريت ، إذ أثبتت لهم قدرة الكريتيين على تحمل الشدائد وإقدامهم على الحرب ونزعتهم الحادة إلى الاستقلال وثباتهم فى الدفاع عن ديارهم ، كما وضحت طمع أهل جنوة فى السيطرة على الجزيرة ، وهنالك صمموا على ضرورة العمل على تنظيم شئون الجزيرة وتأمين حياتهم ومصالحهم فيها . كان ذلك عام ١٢١٢ ، وهو العام الذى خلصوا فيه الجزيرة من ذلك المغامر الذى مر ذكره ، واستطاعوا بالتالى أن يهادنوا أهل جنوة ليتمكنوا من اتخاذ إجراءاتهم نحو تنظيم استعمارهم للجزيرة . فأقطعوا فيها الجند من فرسان ومشاه ، كما أقطعوا النبلاء من المستعمرين البنادقة . ولم يكن المقطعون سواء فيما نالهم من أرزاق . وكان على صاحب النصيب الأكبر أن يزود الحكومة فى زمن الحرب بفارس وتابعين ، مزودين جميعاً بالخيل والسلاح ، وعلى صاحب النصيب الأصغر أن يقدم عشرة من المشاه . ثم قسمت الجزيرة إلى ستة أقسام إدارية ليتمكنوا من إدارتها على نحو ما تجرى الأمور فى البندقية . وعلى رأس الحكومة نائب للدوج بلقب دوج ، جعلوا مقره قندية ، يعاونه مستشاران ومجلسان أحدهما كبير والثانى صغير(٢) .

وبفضل تلك الطوائف من رجال الحرب الذين أنزلهم البنادقة فى مختلف أنحاء الجزيرة ، وأقطعوهم من أرزاقها ما يضمن لهم حياة مستقرة ، استطاعوا أن يثبتوا فيها أقدامهم ، ويمكنوا فيها لسلطانهم من ١٢٠٤ إلى أن استولى عليها الأتراك

---

(١) Finlay, Vol. IV. p. 272.

(٢) أنظر شارل ديل ، ص ٤٦ ، و Cambridge Medieval History, Vol. IV, p. 434.

العثمانيون فى ١٦٦٩ ، خمسة قرون إلا نصف قرن . واجهوا الثورة خلال قرنين منها خمسة عشرة مرة ، يقوم بها الكريتيون وهم من اليونانيين الأرثوذكس الذين يكرهون الشعوب اللاتينية ويمقتون مذهبهم الكاثوليكى أشد المقت(١) وفى إحداها تمكن الكريتيون من الاستيلاء على قلعتى « ميرابللا » Mirabella « وسيتيا » Setia فاستنجد حاكم الجزيرة « تيبولو » Tiepolo بمواطنه « ماركو سانودو » Marco Sanudo الحاكم على جزائر الأرخبيل من قبل البندقيـة فبادر إلى نجدته على رأس قوة مكنت البنادقة من قمع الثورة . وهنالك طمع حاكم الأرخبيل فى أن يجعل الجزيرة خالصة له ، وفر تيبولو فالتجأ إلى قلعة «تمنوس» Temenos وأخذ يستعد للقضاء على مواطنه الذى غدر به فى ساعة الشدة ، وكان هذا قد أخذ يغزو سائر أنحاء الجزيرة. فلما وصلت النجدة من البندقية تحت امرة « كيرينى » Quirini استطاع « تيبولو » أن يسترد قندية وأن يزج برجال سانودو وبالثائرين من أهل الجزيرة فى السجون ، ولم تخلص الجزيرة من آثار الثورة سريعاً وإنما اقتضاها ذلك وقتاً طويلاً ، ذلك لأن الثوار كانوا ما يزالون يسيطرون على سهل من أخصب بقاع كريت يمتـد بين « ميلو بوطامو » Mylopotamé ورأس « سبادا » Spada ولم يرى حاكم الجزيرة يومئـذ أن يأخذ ذلك السهل عنوة خشية ما قد يترتب على ذلك من تخريب وتدمير ، وتجنباً للقضاء على سكانه ، فبادر بالعفو عن « ماركو سانودو » وعاهده على تأمين سلامته وسلامة حلفائه إن هم غادروا الجزيرة ، كما منحهم مبلغاً من المال لقاء تنازلهم عما كان فى أيديهم من قلاع الجزيرة ثم أكدت البندقيـة هذا العفو نظراً لحاجتها إلى تأييـد « سانودو » فى جعل أملاكه ضمن منطقة الاحتكار التجارى التى كانت تتطلع إليها وتطمع فى تحقيقها بعد إخراج الجنو بين والبيزنطيين منها (٢) .

---

(١) A. Softazadé, *La Crète sous la domination et Suzeraineté Ottomanes*, pp. 2-3.
(٢) Finlay, Vol. IV, pp. 279-280.

وفى عام ١٢٧٤ واجه البنادقة ثورة قتل فيها حاكم الجزيرة مع نخبة من نبلاء البندقية ، وبعد ذلك بثلاثة أعوام تمكن الثوار من محاصرة العاصمة وظلت الفتن تعكر صفو السلام فى الجزيرة ستة عشر عاماً (من ١٢٨٣ — ١٢٩٩) — ولما كان عام ١٣٤١ تقلص حكم البنادقة فلم يعد قندية وبعض قلاع أخرى . فإذا ما حل عام ١٣٦٣ واجه البنادقة ثورة عرفها تاريخهم فى كريت ، فقد ثارت جاليات البنادقة معلنين سخطهم مما فرض عليهم من الضرائب الباهظة وهددوا حاكم الجزيرة ، وأسقطوا علم القديس مرقص المرفوع على دار الحكومة ، وأقاموا حكومة جديدة ، وأهانوا مبعوثى السناتو الذين جاءوا لإصلاح الحال وإعادة النظام وبدت الجزيرة وكأنها انسلخت من كيان الأمبراطورية . ولكن سرعان ما وقع الانقسام بين صفوف الثوار فأتيحت الفرصة لأسطول البندقية أن يسترد قندية ويخمد نار الثورة . وكان من جراء هذه المغامرة أن قضى على النظام الإقطاعى فى الجزيرة ، وانحلت جمعياتها ، وفقد السكان حقهم فى انتخاب رؤسائهم . واستتب الأمر للبنادقة ، ومكنوا لسلطانهم فى الجزيرة أكثر من أى وقت مضى[1] .

الاستعمار البندقى :

هدأت الحياة فى الجزيرة بعد إخماد تلك الثورة التى قامت بها جاليات البنادقة وظل الهدوء يسود أنحاء الجزيرة حتى مطلع القرن السادس عشر حين أجمع الكريتيون من سكان « سلينو » Selino « واسفاكية » Sfakia « وريزو » Rhizo وبعض القرى فى سهل خانيه على عصيان أوامر المستعمرين يقودهم فى ذلك زعيم لهم يدعى « جورج جاد انول » George Gadhanole وكان مديراً لتلك الأقاليم ، وكان من سلطته تعيين بعض من يعاونه على إدارة

(١) شارل ديل ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .

شئونها ، فكان يختارهم من صفوة الثقاة من أنصاره . وكان من جراء ذلك وجود سلطتين مختلفتين تتضارب أعمالها ولا تكاد تستقيم ، ويضيق البنادقة بما كان للمواطنين من سلطان وبخاصة جباية الضرائب . ويفكر زعيم الوطنيين فى إصلاح ذات البين ، ويخطو فى سبيل ذلك خطوة فيقصد إلى أحد نبلاء البنادقة ويدعى « فرنشيسكو موليني » Francesco Molini فيخطب وده ويطلب يد ابنته ليزوجها من ابنه الفارس الشجاع ، ويرضى النبيل بذلك وتقام الأفراح بعقد القران بالزعيم الوطنى وأولاده وكافة ضيفانه فيأمر بشنقهم جميعاً فى أنحاء متفرقة من الجزيرة ثم قبض على إثنى عشر مطراناً من الوطنيين فيفعل بهم مثل ذلك ، وهكذا تتم تلك الجريمة من جرائم الاستعمار ، ممثلة أبشع ألوان الغدر والخيانة ، وليت الأمر يقف بذلك الجزار القادر عند هذا الحد ، فهو لا يكاد ينتهى من فعلته النكراء حتى يتبعها بأخرى أكثر بشاعة وأشد نكراً ، أنه يقبض على أربع حوامل من زوجات مشاهير الأعيان الوطنيين ثم يأمر بشق بطونهن ، بما فيها من أجنة ليقتلها ولما تتم آجالها فى الأرحام . ويرى بذلك أنه قضى على الثورة فى النفوس بما أثار فيها من فزع ولما انتهت تلك المأساة الدامية طلب المستعمرون من الوطنيين فى « كاستيل فرانكو » Kastel Franco « وأبوكرونا » Apokorona و « إسفاكية » « وسلينو » Selino « وكيسامو » Kisamos أن يأتوا مهطعين مقنعى رءوسهم تائبين ليقدموا فرائض الطاعة والخضوع . فيقتل منهم المستضعفون ، ويأبى ذلك الحريصون من أهل الأسر الكبيرة وسكان المناطق الجبلية فتصادر أملاكهم ، وتستباح دماؤهم ويعلن على الملأ ألا أمل لأحدهم فى الحياة ، ولا مفر له من الموت إلا أن يجىء كل من المستعمرين وبيده رأس ولده أو أخيه أو أحد من أبناء عمومته ويظل سيف المنايا مشرعاً بيد هذا الطاغية من رجال الاستعمار حتى يأتيه أسقف من أسرة « بتيرى زابا » Pateri Zapa ومعه إثنان من ولده ومثلهما من إخوته يحمل كل منهم رأس واحد من ذوى القربى فيرفعونها إليه دامية وسط غمرة من الدم

والهم والذل والدموع ، هنالك يتفضل طاغية القوم فيعلن أنه اكتفى بذلك جاعلاً من هذا الفصل خاتمة المأساة التي لعب فيها دور البطل الذى حرمته الطبيعة من نور العقل ، وقضت على ضميره بالموت[١] .

إنهيار حكم البنادقة فى كريت :

بدأ سلطان البنادقة يحتضر ، ورأى شبح الموت يواجهه عندما زال ظله عن قبرص عام ١٥٧١ وكان البنادقة منذ استيلائهم عليها فى ١٤٨٩ يرونها درعاً يحمى لهم كريت من كل عدوان يحتمل أن يصيبها من أمام . وهنالك بات البنادقة يشعرون بضعف مركزهم فى الجزيرة . وبادرت حكومة البندقيـة بإرسال بعثتها السياسية برئاسة « فوسكاريني » Foscarini للنظر فى أحوال الجزيرة ، ومحاولة إصلاح أمورها بعد الذى اعتورها من فساد وسوء نظام[٢] . اهتمت البعثة بالنظر فى مظالم الأهالى ، وحاولت رفع الحيف عنهم ، ورد الطمأنينة إلى قلوبهم بعـد الذى ثبت لها من سوء أحوالهم ، وشـدة نفورهم من البنادقة ، وتطلعهم إلى العثمانيين استجارة بهم من الظلم وأملاً فى أن يجدوا فى ظلهم حياة أفضل . كذلك اهتمت البعثة بإحياء النظام العسكرى بعد الذى أصابه من الوهن والانحلال[٣] .

على أن قضاء الأيام قد كان أقوى من جهود البعثة التي جاءت متأخرة ، فعلى الرغم من كل ما بذلتـه من جهود لإرضاء الفلاحين الذين رأوا فى مقدمها بصيصاً من نور الأمل ، فقد رأى فيها المستغلون غير ذلك ، وباتوا يضيقون بها ،

---

(١) أنظر تفاصيل المأساة كما وصفها الرحالة باشلى : Pashley, Vol. II, pp. 151-156.

(٢) كانت هذه البعثة فى نهاية القرن السادس عشر ، وكان ضمن أعضائها Gazoni أحد أعضاء مجلس السناتو لوضع تقرير عن أحوال الجزيرة ، أنظر : Pashley, Vol. II, p. 284.

(٣) كان من سياسة البنادقة أن يفرضوا سلطانهم الدينى على كل ما يحكمون من شعوب . وكان أكثر رجال الدين فى الجزيرة قد هربوا فوراً بدينهم ودنياهم من وجه البنادقة الذين شطوا ففرضوا طقوسهم الدينية اللاتينية على أهل كريت فأثاروهم حتى أدى الأمر إلى حدوث مذبحة كريت عام ١٣٦٤ *Cambridge Medieval History*, Vol. IV, pp. 606-616.

ويحاولون احباط تدبيرها . ولم ييئس الكريتيون بعامة مالقوا ولقى أسلافهم على على أيدى طغاة المستعمرين من ألوان الظلم والعسف ، وصنوف الذل والهوان فى كافة أمور دينهم على السواء[1] . ولم تكن كريت بين أيدى البنادقة سوى ضيعة من ضياع الاستغلال ، مثلها فى ذلك كمثل كافة ماوقع تحت حكم الرومان أيام سلطانهم من بقاع رزئت بذئاب المستعمرين وأذنابهم ، يعبثون فى أرضها باسم السلطان فساداً ، ويسخرون أبناءها لخدمة شهواتهم ، وحمل كنوزها وأرزاقها إلى البنادقة . ولم يكف البنادقة كل ذلك ، ولم يكفهم أن يبعثوا بالموت على الناس تحت حبال المشانق ، بل بعثوا به بين يدى الجوع فخربوا مدناً وقرى ومحوا أسراً كاملة ، وذلك عندما حرموا على أهل اسفاكية وأهل لاشيد زراعة القمح حتى بارت الأرض ، وبقيت قطعة من الصحراء مدى قرن من الزمان .

ويؤكد كتاب التاريخ ممن زاروا الجزيرة وسمعوا من أهلها أن فلاحى الجزيرة الذين شربوا من مر الحياة بين أيدى البنادقة ولقوا من أهوالها ماجعل الموت خيراً منها ، قد تذوقوا طعمها ونعموا بها بعد الفتح العثمانى سواء منهم من اعتنق الإسلام ومن بقى على دينه ويعزون ذلك إلى تسامح المسلمين ويخطئ بعضهم حين يؤكد مثل ذلك ويعزوه إلى ما تميزت به سياسة الحكم عند البنادقة من الدقة والمهارة اللتين خلت منهما سياسة العثمانيون بحيث استطاع الكريتيون بين أيديهم أن يصلوا بالخداع إلى ما لم يصلوا إليه عند البنادقة[2] .

ومن الآثار التى ترتبت على مساوىء حكم البنادقة وسياستهم الخرقاء فى معاملة أهلها اضطرار عدد كبير من الأسر المسيحية إلى الهجرة إلى مصر فراراً بدينهم ودنياهم من ظلم البنادقة يأوون إلى ظل الإسلام فى مصر ، فينعمون فيه بالبر والرحمة والاستقرار والطمأنينة ، ويتجرون فيما كان يصل من صادرات الجزيرة

---

(١) Pashley, Vol. I, p. 117.

(٢) Perrot, *L'Ile de la Crète*, pp. 149-152.

إلى القاهرة والاسكندرية من الأنبذة[١] . ويثير أمرهم قنصل البندقية فى القاهرة فيتقدم بشكواه إلى أولى الأمر من البنادقة فى كريت[٢] .

وليس أدل على طغيان البنادقة وقسوة سياستهم الاستعمارية من ذوبان العنصر اليونانى فى غمرات الأحداث التى وقعت بين سقوط قبرص فى أيدى العثمانيين عام ١٥٧١ وبدأ محاصرتهم مدينة قندية عام ١٦٤٥ بحيث خفت صوتهم ورق لونهم حتى كاد ينمحى تماماً . وكان البنادقة قد سلكوا أنكر السبل واستخدموا أبشع الوسائل لإخضاع الوطنيين وإذلالهم خلال الثورات التى قاموا بها بين ١٢١١ — ١٣٦٣ .

وإذا كان البنادقة قد واجهوا شيئاً من ثورات الوطنيين بعد ذلك فلم تكن هذه بذات خطر عليهم إذ لم يكن هدف من قاموا بها تحقيق غرض قومى من شأنه أن يرفع عنهم ظلماً ، أو يخفف عنهم بعض ما لا يطيقون من أعباء الضرائب أو يرد عليهم بعض حقوقهم فى حرية العيش والتمتع باستقامة أمور القضاء والإدارة ، وإنما كانت كلها بتحريض من أصحاب المصالح من أثرياء المواطنين الذين قصدوا من ورائها إلى تحقيق مصالحهم فى الاحتفاظ بما رأوا لأنفسهم من حقوق فى الضرائب التى فرضت على الزراع فى أقاليمهم[٣] .

---

(١) كان النبيذ من أهم محاصيل الجزيرة ، ولم يقتصر تصديره على مصر وحدها بل أسواق ورويا جميعاً يصل إليها عن طريق إيطاليا ، ويصدره الكريتيون إلى انجلترا ويستوردون لقاءه الأقشة الصوفية بخاصة ، أنظر : Pashley, Vol. II, pp. 53-54.

(٢) *Ibid.*, Vol. I, pp. 318-319.

(٣) Finlay, Vol. V, p. 87.

الفصل الرابع

كريت تحت الحكم العثمانى الأول (١٦٦٩ — ١٨٢١)

استيلاء العثمانيين على كريت :

لم يكد القرن السابع عشر يطلع على الدنيا حتى كان ظل البنادقة قد انحسر عن سائر ما كان تحته من أملاك الأمبراطورية ، ولم يبق لها غير كريت وبعض جزائر الأرخبيل . فاشتد حرص البنادقة عليها وبدا لهم أن الخطر على مركزهم فى الجزيرة يتمثل فى نشاط القراصنة من الترك والبربر فى بحر الأدرياتيك ، وكان العثمانيون يعتمدون على نشاط أولئك القراصنة ، ويرون فيه درعاً واقية يدرأون بها شر قراصنة الغرب فى مصالحهم فى الشرق ، وأنه أولى بالبنادقة أن يلزموا قراصنتهم من المسيحيين بالكف عن العدوان على مصالح العثمانيين فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، الذين أثاروا سخط العثمانيين حتى تصدى منهم فرسان مالطة لإحدى سفائن بنى عثمان ، وكانت تحمل حجاجهم إلى بيت الله الحرام ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ،وساقوا من بقى منهم أسارى وسبايا ، فلجأوا بهم وبما غنموا من أرزاقهم إلى ثغر « كاليزمين » Kalismene على ساحل كريت الجنوبى وكان من بين من سبوا من حجاج العثمانيين مرضع ابن السلطان العثمانى فاشتد غضبه وصمم على الانتقام(١) ولم تكن هذه أول مرة يفكر فيها العثمانيون فى الأخذ بالثأر عن طريق الاستيلاء على كريت ، فقد كانت محاولتهم الأولى عندما وجهوا أسطولهم تحت إمرة كنعان باشا ، فتصدى له أسطول البنادقة بقيادة أمير البحر « موتشنجو » Mocenigo ، وظفر به عند مدخل الدردنيل ، حيث فقد العثمانيون سبعين سفينة منها ما ابتلعه البحر ومنها ما وقع بأيدى البنادقة .

---

(١) Finlay, Vol. V, pp. 109-110

وكان لهذه الهزيمة أثرها الفعال فى إيقاظ الشعور القومى عند الأتراك وشعورهم بمرارة الهزيمة فذكروا ماضيهم وما حققت لهم قواتهم البحرية من نصر وأكسبتهم بين شعوب العالم من مجد ، فكان حافزاً لهم على تحقيق أعظم انتصاراتهم البحرية وآخرها فى تاريخهم البحرى وهو الاستيلاء على كريت .

"The conquest of Crete was the last, the most important, and the most glorious naval conquest of the Othomans"(١)

ذلك أنه عند ما صح عزم العثمانيين على الانتقام مدوا أبصارهم إلى كريت . بعد ما استعصت عليهم مالطـة فاستعدوا لغزوهـا ، وأرادوا تضليل البنادقة فأذاعوا أنهم قاصدون إلى مالطة ومع أن البنادقة لم يصدقوا ما أذاعه العثمانيون فإنهم حرصوا على أن يتقوا الحرب مهما كلفهم ذلك من تضحية(٢) .

ولم تكن الحال فى الجزيرة لتطمئنهم على الاحتفاظ بها ، وتمكين سلطانهم فيها ، فهم يدركون ما كان يضمره لهم أهلها من بغض ، ونبلاء البنادقة فى الجزيرة لم يكن يعنيهم أن يدافعوا عنها بسيوفهم ما داموا ينعمون بما كان لهم فيها من امتيازات تضمن لهم حيـاة الدعة والعيش الخفيض وكذلك كان موقف الموسرين من الوطنيين . يضـاف إلى ذلك ما كان يضـمره أكثر الوطنيين من مقت شديد لرجال الدين . وإزاء هذا كله شعر البنادقة بما كان يسود أهل الجزيرة من روح التذمر المشفوع بالتراخى وعدم المبالاة ، فأخذوا فى تدعيم أسطولهم

---

(١) *Ibid.*, Vol. V, p. 103.

وتتمثل هذه اليقظة القومية فى أحد موظفى البحرية العثمانية ويدعى « حاجى خليفة » Hadji Khalifa

— وهو صاحب (كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون) .

— عندما يضع مؤلفاً مفصلا عن تاريخ البحـرية العثمانية ، وعن أعمالها الباهرة وبطولة رجالها وشجاعتهم النادرة ، ولكن جاء أجله ، فمات قبل أن يرى أثر كتابه هذا على مواطنيه وكيف صمدوا لقتال المقاومين من قوات البنادقة فى حصار قنـدية حتى هزموا قائدهم الباسل « موروسينى » Morosini ووضعوا آخر لبنة فى قبر البحرية البندقية ذات الشهرة الواسعة .

(٢) *Ibid.*, Vol. V, p. 110.

الراسى فى مياه الجزيرة على أن ذلك لم يغن من الأمر شيئاً . فعجزوا عن رد أسطول العثمانيين عن « خانيه » التى سقطت فى أيديهم عام ١٦٤٥ ، فأخذوها فى غير عسر ، وأخذوا من ورائها « رسمو » ولم يلبثوا أن ضربوا الحصار على قنديه عاصمة الجزيرة، بل لم يلبث الصراع بين الدولتين حتى امتد من كريت إلى جهات أخرى . واتصلت الحرب بينهما قرابة ربع قرن(١) . وعلى الرغم مما امتازت به قوات البنادقة البحرية من تفوق وشهرة فإنها عجزت عن أن تحول دون وصول الإمدادات والمؤن إلى قوات العثمانيين المرابطة فى الجزيرة ، والتى استطاعت أن تكسب رضا المواطنين بفضل تشجيعهم على الزراعة ، والحصول منهم على تموين الجيش بأسعار حرة، فسدوا بذلك ثغرة خطيرة فى كيان الجيش ، وضمنوا له البقاء عندما نجح البنادقة أشهراً فى قطع الصلة بين الجيش والدولة . ولولا ذلك لتبدل الحال غير الحال ، ولما استطاع جيش العثمانيين أن يبقى فى الجزيرة(٢) .

واشتدت رغبة العثمانيين فى الاستيلاء على قنديه ، وصدق عزمهم على ذلك حين أعلن الصدر الأعظم أحمد « كبريللى » أن العثمانين لا بد أن يأخذوا قنديه ولو اقتضاهم ذلك حرباً مداها مائة عام(٣) .

---

(١) و(٢) أنظر شارل ديل ، المرجع السابق ذكره ، ص ٢١١ — ٢١٣ .

(٣) شارل ديل ، ص ٢١٣ .

والواقع أن الاستيلاء على قندية لم يكن بالأمر اليسير ، فهذا بابا روما ، ومن ورائه كافة الدول الكاثوليكية يعتبرون محاولة العثمانيين الاستيلاء على الجزيرة من حروب الصليب ، فتتكتل هذه الدول لبذل أقصى ما تستطيع من عون لمساعدة البنادقة ، فتبعث فرنسا بحملة قوامها ٤٠٠٠ جندى ، ويتبعها لويس الرابع عشر بأخرى تحت أمرة أشهر قواد فرنسا ، وينجح البنادقة بمعاونة هذه الحملات فى صد حملات الانكشارية غير أن القواد الفرنسيين لم يلبثوا أن اختلفوا مع قائد البنادقة « موروسينى » فعادوا إلى فرنسا . ويلح البابا مرة أخرى على فرنسا ، فتبعث بنجدة قوامها ٨٠٠٠ جندى ، أبحرت من ميناء طولون فى ٦ من يونية ١٦٦٩ بقيادة دوق « دى بوفور de Beaufort » فيبلغ الشاطىء من أمام قندية فى ١٩ من يونية ، وتنضم إلى قوات البنادقة ، ويتقدم جميعهم فى أقسام أربعة ، فيداهمون العثمانيين ليلا فى مراكزهم ويضطرونهم إلى التراجع ، ومايكادون يفعلون حتى ينفجرا البارود من مائة وأربعة وثلاثين برميلا ، فتضطرب لذلك صفوف أعدائهم ويعجزون عن إعادة النظام ، ويهلك فرق من رجالهم ومن بينهم قائدهم الدوق ثم ينتهى الأمر بعودتهم إلى فرنسا (أنظر :
La Roche, *La Crète Ancienne et Moderne*, pp. 79-94. *See* also Softazadé,pp. 6-8.

انهزام البنادقة واستيلاء الأتراك على الجزيرة :

ويتولى الصدر الأعظم « كبريللى » قيادة الجيش المحاصر اقندية ، فيضيق الخناق على من فيها فلا يجد البنادقة مفراً من التسليم ، ويعقد قائدهم « موروسينى » معاهدة التسليم مع الصدر الأعظم فى ٢٧ سبتمبر ١٦٦٩ ، فيسلمه مفاتيح قنديه ، ويتنازل البنادقة عن السيادة على الجزيرة ، على أن يحتفظوا بقلاع ثلاث عند الشاطىء الشمالى لكريت وهى « كرابوزا » Carabuse « وسودا » Suda « وسبينالونجا » Spinalonga [١] .

حالة الجزيرة إبان استيلاء العثمانيين عليها :

وهكذا تسقط الجزيرة فى أيدى العثمانيين بعد حروب دامت خمسة وعشرين عاماً ، فقد فيها المسيحيون ٣٩ ألفاً من الجنود ، وضحى فيها العثمانيون بثمانية ومائة ألف . هذا فضلاً عما أنفقت البندقية من مال فى سبيل احتفاظها بالجزيرة ورد العثمانيين عنها ، فقد بلغ ما أنفقتـه ١٢٠ مليوناً من الدوكات (Ducats) ، كما بلغت ديونها ٦٤٫٠٠٠ . ومع ذلك فلا هى احتفظت بالجزيرة ولا هى أبقت على حياة قائدها « مورسينى » الذى اتهمته بالرشوة من لدن قائد الأعداء « كبريالى » فأدانته بالخيانة ، ثم حكمت عليه بالموت[٢] .

ولم يقع العثمانيون فى قندية على غير خرائب مهجورة ليس فيها سوى إثنين من قساوسة اليونان وثلاثة من اليهود وشيخ من المساكين . وكان عدد المواطنين فى الجزيرة قد نقص نقصاً بيناً فلم يتجاوزوا يومئذ ٢٢٫٠٠٠[٣] على حين كان عددهم

---

(١) Finlay, Vol. V, p. 112, *See* also Softazadé, *op.cit.*, p. 8.

(٢) La Roche, *La Crète Ancienne et Moderne*, pp. 95-96.

على أن Softazadé ، استناداً على المؤرخ Hammer يقدر مافقده البنادقة من الضحايا فى هـذه الحروب بحوالى ٥٠٫٠٠٠ بينما ضحى العثمانيـون بأكثر من ١٠٠٫٠٠٠ (Softazadé, p. 8).

(٣) شارل ديل ، ص ٢١٤ .

إبان كان حكم البنادقة يتراوح بين ٠٠٠ر٥٠٠و٠٠٠ر٦٠٠ . ومرجع ذلك إلى نتائج الحروب الطويلة التى جرت بين الوطنيين والمستعمرين فى مدى المائة والخمسين عاماً الأولى من تاريخ الاحتلال . فقد خسر الوطنيون من الرجال أكثر مما خسروا أيام حرب الاستقلال اليونانية[١] .

تسامح العثمانيين الدينى :

لم يسلك العثمانيون إزاء سكان الجزيرة مسلك البنادقة ، فلم يكرهوا أحداً فى الدين ، ولذلك لم يلقوا بين أهل الجزيرة من يقاوم غزوهم بل اطمأنوا إليهم ، ووجدوا فى ظلهم خلاصاً من البنادقة ، فباتوا أحراراً فى عقائدهم . واعتنق الإسلام كثير منهم كما فعل أمثالهم من أهل ألبانيا والبوسنة . ولم يكن تحولهم إلى الإسلام عن عقيدة ولكنهم بغية التمتع بما كان للمسلمين من امتيازات كإعفاء من الخراج،الانخراط فى سلك الجيش لإمكان الدفاع عن أملاكهم[٢].

وليس أدل على ذلك من ارتدادهم إلى المسيحية فى أول فرصة سنحت لقتال المسلمين بغية تحرير الجزيرة من سلطانهم ، مضحين يومئذ بكل مرتخص وغال فى سبيل الدفاع عن عقيدتهم ، تتزعمهم أسر غنية كانت اعتنقت الإسلام إبان الحكم العثمانى . وفى مقدمتها أسرة « كرموليدس » Kurmulidhes التى كانت تسيطر على معظم البقاع الخصبة من سهل « مسارا » . كانوا على الرغم من إعلان إسلامهم يدينون المسيحية ، ويمارسون طقوسها فى الخفاء ، ويعمدون أطفالهم بأسماء مسيحية ، ويخفون ذلك بما يعلنون لهم من أسماء المسلمين ، واستغلوا مسلكهم هذا فى كسب رضاء الحكام العثمانيين ، ولحماية مصالحهم[٣] .

---

(١) Pashley, Vol. II, p. 326.

(٢) Softazadé, pp. 9-10.

(٣) Pashley, Vol. I, pp. 105-107; Perrot, *L'Ile de Crète*, pp. 215-217.

التقسيم الإدارى الجديد :

قسم العثمانيون الجزيرة إدارات أربع ، وجعلوا على كل منها واحداً من الباشوات بلقب سنجق ، ثم اختصروها إلى ثلاثة بعد إلغاء إدارة « لاسيتى » (إقليم لاشيد) . وكان كل سنجق يستقل بإدارته عن زملائه استقلالاً تاماً . فأقام أحدهم فى خانية بغرب الجزيرة ، وأقام الثانى فى رسمو إلى الشرق من خانية ، وأقام الثالث فى قنـدية التى كانت تسمى يومئذ « بالحصن الـكبير » Megalo Castro

وبدأ السناجق الثلاثة ينافس بعضهم بعضاً . فما يكاد أحدهم يشعر لنفسه بشىء من قوة ، حتى يبادر بالسعى فى بسط سلطانه على صاحبيه(١) وكان من نتيجة هذا التنافس أن كثر الدس بين رجال الإدارة ، فأخذ بعضهم يكيد لبعض ، وبات من اليسير أن يفقد السنجق منصبه تنفيذاً لأمر السلطان ، يصدره عن هوى مبعثه الدس والـكيـد ، أو تحقيقاً لرغبات الانـكشارية وكان أمرهم قد عظم فى الجزيرة . ولشد ما آذى تغيير السناجق أهل الجزيرة ، فلا يكاد السنجق الجديد يبدأ فى ممارسـة شئون منصبه حتى يشتط فى فرض الضرائب على السكان(٢) . ولم يعف من ذلك سوى سـكان إسفاكيا ذلك الإقليم الذى سلم من حكم السناجق لخلوه من عناصر العثمانيين وجعل زمام الإدارة فيها بين أيدى زعمائها من الوطنيين(٣) .

وكانت كل إدارة من الإدارات الثلاث تتكون من إقطاعيات منها الـكبير ومنها الصغير فشمل إقليم « قندية » ثمان إقطاعيات كبرى وألف وأربعمائة من

---

(١) Perrot, *op.cit.*, p. 153 ; Dodwell, *The Founder of Modern Egypt*, p. 243.

(٢) *Diplomatic Documents Concerning Affairs of Egypt, Campells' notes on the Island of Candia*, p. 78.

(٣) Finlay, Vol VI p. 4 ; Dodwell, p. 243.

الصغرى ، وشمل إقليم « خانية » خمساً من الكبرى ، وثمانمائة من الصغرى ، كما اشتمل إقليم « رسمو » على أربع من الكبرى ، وثلاثمائة وخمس من الصغرى .

وكان على ملتزمى الإقطاعيات أن يمدوا السلطان فى زمن الحرب بإعداد من الرجال تختلف باختلاف مساحتها . وكانت الإقطاعيات جميعاً تتكون من الأراضى التى كان البنادقة قد أقطعوها فى أيامهم نبلاءهم ورجال الدين اللاتين ثم من الأراضى العامة ، وزعت جميعاً بين طوائف البكوات والأغوات من أهل الأناضول والروملى الذين أسهموا فى حروب الاستيلاء على الجزيرة ، وأحبوا الإقامة فيها .

يضاف إلى ما تقدم أن المغامرين من فرق الانكشارية والصباهية ما كادوا يعلمون بنبأ إجلاء البنادقة عن الجزيرة ووقوعها تحت سلطان العثمانيين حتى راحوا يطلبون من السلطان أن يمنحهم حق العيش والتملك فى الجزيرة المفتوحة ، وتم لهم ما أرادوا حين ساقهم السلطان إليها . فما لبثوا أن انتشروا فى أنحائها ، يحتلون المزارع القريبة من المدن والثغور ، ويثبتون أقدامهم فيها وفيما منحهم السلطان من بقاع ويضعون حدودها وفق أهوائهم وأطماعهم ولو كان فى ذلك اعتداء على حقوق الوطنيين ، الذين نالهم من ذلك أذى كبير وخابت آمالهم بما صوروا لأنفسهم من لين العيش فى ظل العثمانيين ، وباتوا يندمون على ما بذلوا لهم من عون على فتح الجزيرة واستخلاصها من أيدى البنادقة حينما بان لهم أن هم سناجق الجزيرة هو جمع الثروات بكافة الوسائل قبل أن يدركهم غضب السلطان فيقصيهم عن مناصبهم إذ كانوا يشعرون بأنهم مهددون بالعزل .

فساد الإدارة وأثر الانكشارية على ذلك :

ولم يقف الفساد عند حد ما ذكرنا ، ذلك لأن الانكشارية قد استهانوا

بأوامر السلطان ، ولم يروا له من القوة والبأس ما تعودوا أن يروا من قبل ، فما أكثر ماخرجوا عن طاعة من يعينهم السلطان من سناجق على الجزيرة ، والتاريخ يذكر لهم ثورتين عارمتين أطاحت أولاهما فى عام ١٦٨٨ بذى الفقار باشا سنجق « قندية » وأطاحت الثانية ١٧٢٨ بدفتر دار المدينة نفسها عثمان افندى فلقيا حتفهما(١) وفى هذين الحادثين وأمثالهما ما يدل على فساد الحكم فى الجزيرة والفوضى التى سادت كافة نواحى الحياة فيها ، وأنواع الإداريين والجنود الذين عهدت إليهم الدولة العثمانية بتنظيم إدارة الجزيرة ورعاية مصالحها وتأمين سلامتها(٢) .

وتمادى الانكشاريون فى عبثهم وعدوانهم حتى ركبوا الشطط ، ذلك لأنهم لم يجدوا بالجزيرة من يحاسبهم على عبثهم أو يأخذهم بجرائمهم ، وإنما هم يحاكمون بعضهم بعضاً ، ويبرئون بعضهم بعضاً ، ولا يسلمون من يخالف منهم إلى سلطان يحاسبه(٣) .

وزاد فساد الأمن فى الجزيرة ، وتعرض المسيحيون لأبشع ألوان الاعتداء على أملاكهم وأرواحهم وأعراضهم حتى قيل أن العبث والاستهتار بلغ بالجند العثمانيين حداً لا يتورعون عنده من اختطاف العرائس ليالى زفافهم ، واغتصاب الزوجات من أزواجهن(٤) .

---

(١) Perrot, pp. 153-154; La roche, p. 107.

(٢) La Roche, pp. 105-106.

(٣) يشهد بذلك مافعله محمد على عندما عهد إليه السلطان بقمع ثورة الجزيرة ، حينما كتب إلى رسوله وقائد قواته فى الجزيرة مصطفى بك يأمره بوقف هذا العبث والضرب على أيدى العابثين من الإنكشارية جنوداً وضباطاً وأخذهم بالصارم العنيف ، ومعاقبتهم بالموت إذا ما اقترفوا من الآثام مايقتضى ذلك ولم يتوان مصطفى بك فى إصدار تلك الأوامر ، وإبلاغها سنجق قندية الذى أذاعها على الانكشارية E. Driault, *l'Expédition de la Crête et de la Morée (1823-1828)*, Cairo, 1930, p. 124; St. Sauveur au Baron de Damas, *La Canée, 17 Février 1826.*

(٤) Perrot, pp. 162-170.

ولم يكن من السهل إزاء اختلال الأمن وفساده على نحو ما قدمنا أن تزدهر فى الجزيرة زراعة ، أو تروج تجارة . وكيف تروج التجارة بين أيدى السناجقة وهم وحدهم أصحاب الحق فى تصدير الزيت وهو أهم محاصيل الجزيرة ، وسلعة تجارتها الأولى(١) فلطالما غص مرفأ خانية بسفائن التجارة الأوروبية ، فتقف عاجزة عن أخذ شحنها من الزيت وتبوء بالخسارة ، فلا هى حصلت على الزيت ، ولا هى وفرت نفقات رحلتها إلى الجزيرة . وجاء الأوربيون بشكواهم إلى حكومة القسطنطينية ولم تملك هذه غير إصدار الأوامر بعزل السناجق واستبدال غيرهم بهم فكانوا على الدوام أسوأ خلف لأسوأ سلف (٢) .

فساد القضاء :

وتمادى العثمانيون فى غيهم مهملين شئون الجزيرة ، فلا القضاء لديهم بمنصف أهلها المسيحيين ، ولا هم أنشأوا لهم محاكم خاصة تنظر فى أحوالهم الشخصية بل ترك القضاء فى يد المفتى بصفته الزعيم الدينى ، يتولى المحافظة على قواعد الدين ويرعى حقوق القصر وينفذ قواعد الإرث ، ويفتى فى أمر الزواج والطلاق ، وله حق النظر فى كافة الدعاوى القضائية ، ومهما تكن محاكم المسلمين فى الجزيرة حريصة على العدل ، ومهما يكن حظ قضاتها من الاستقامة فإن أحكامها لا يمكن أن تكون صالحة فى نظر المسيحيين من أهل الجزيرة ، ولا يمكن أن تطمئن قلوبهم إلى سلامة إجراءاتها . يضاف إلى ذلك أن سيرة العثمانيين فى إدارة الجزيرة قد كانت فاسدة أشد الفساد ، وليس ببعيد على الذين ساءت إدارتهم أن تسوء أحكامهم . كل أولئك قد نفر النصارى من محاكم المسلمين وصدهم عنها مؤثرين

(١) كان السناجقة يدعون أنهم مضطرون إلى تقييد التصدير لحاجة القسطنطينية من زيت الجزيرة وحاجة الجزيرة نفسها لإنهاض صناعة الصابون وواقع الأمر أن بغيتهم كانت الحصول على المال من فرض الرسوم الجمركية العالية
Fornetty au Ministre, La Canée, 15 Juillet, 1827 Aff. Etr. Carton de la Canée.

(٢) *Campbell's Repport*, pp. 78-79.

الضيم والهضم(١) . على أن حالهم كانت خليقة بالرثاء ، جديرة بالشكوى فما أثقل ما كانوا ملزمين بدفعه من مختلف الضرائب . فمن بلغ منهم السادسة عشرة من عمره ألزم بدفع ضريبة الرأس ، وقدرها ما يوازى سبعة فرنكات ، ومن ملك منهم أرضاً فعليه أن يؤدى للحكومة مقدار السبع من إيرادها ، وعليهم فوق ذلك أن يؤدوا للكنيسة قدراً معيناً من المال و بعض الضرائب العينية من قمح وسمن وزيت ، كما كانوا يؤدون ضريبة الزواج ، كل ذلك قد أثقل كواهلهم وضيق عليهم سبل العيش فى الجزيرة(٢) .

قصر نظر العثمانيين وعجزهم عن إصلاح الأمور :

كان من جراء تصرف العثمانيين فى الجزيرة ، وطمعهم فى الكسب العاجل والحرص على اتباع شهواتهم النهمة على حساب الوطنيين وعلى حساب مصالح دولتهم التى ضحت بالرجال والمال والوقت فى سبيل الاستيلاء على الجزيرة لتأمين سلامتها من عدوان الأوربيين — أن فسدت أمور الجزيرة بين أيديهم فساداً تاماً ، فبات أهلها فى هم دائم وبؤس مقيم . وأثير الأوربيون أنفسهم حينما تعرضت مصالحهم للخطر ، وباتوا يخشون على أرواح رعاياهم من سكان الجزيرة(٣) . وبخاصة عندما ترك الإداريون لرعاياهم الترك من سكان الجزيرة الحبل على الغارب يعثون فى الأرض فساداً ، ويقترفون من الآثام والجرائم ما يشاءون ، فلا حساب ولا جزاء ولا عقاب ، مما عرض حياة المسيحيين فى الجزيرة للخطر ، فأخذوا يهاجرون ديارهم ، ولما بلغت الأمور من الفساد أقصى حدودها وكادت تجاوزها ، أخذ السلطان يفكر فى تدارك الأمور ، وهاله استفحال طغيان الانكشارية الذين استطاعوا عصيانه فعزلوا من أوليائه السناجق أربعة وردوهم إلى القسطنطينية نقول

(١) La Roche, p. 102.

(٢) *Ibid.*, pp. 101-102.

(٣) *Campbell's Report*, pp. 78-79.

لما بلغت الأمور هـذا الحد من العناد عين السلطان فى ١٨١٣ واحداً من رجاله المشهورين بالصرامة . ويقال له حاجى عثمان باشـا فلم يكد يبلغها حتى تبين أن مهمته شاقة عسيرة وأنه لا يملك من القوة فى الجزيرة ما يمكنه من انجاز مهمته ، فالبكوات الأتراك والأغوات والضباط كانوا زعماء العبث وعصابة الفساد ، وكانوا جبهة قوية تتحدى الباشا ، وتستطيع عزله كما عزل أسلافه ، ولم يكن قادراً على أن يستقدم من الألبان أو غيرهم من يعينونه على هدم تلك الجبهة ، إذ لو فعـل لتصدت له وحالت دون إنزال أولئك فى الجزيرة ، فقـد كانت بأيديهم كافة حصون الجزيرة وثغورها .

ولما ضاقت به السبل لجأ إلى النصارى من سكان الجزيرة ، فعاهد زعماءهم سرا على أن يخلصهم من شر الجند الأتراك ، وعليهم أن يعاونوه فى ذلك ، وأعطاهم السلاح يوزعونه على الوطنيين . ورحب النصارى بذلك وبيتوا نية الانتقام لأنفسهم ، واختار الباشا « خانية » لقلة من فيها من الترك وجعلها قاعدة ينفذ منها خطته ، ثم مكر بقومه فدعاهم إليها ، وأقام الأفراح حفاوة بمقدمهم ، واحتفالا بذلك الحادث ، وأنذر من يتخلف عن الاستجابة لدعوته بعقاب شديد — وقام كل من سنجق « رسمو » وسنجق « قنديه » بتنفيذ أوامر الباشا فيمثا بالمتخلفين إلى « خانية » حيث سفكت دماؤهم ، واستمرت المذابح فى « خانية » زهاء شهرين ، حتى بات أتراك الجزيرة فى رعب من سطوة هذا الباشا ، الذى ظن أن الفوز قد كتب له بعد الذى أحرز من نجاح القضاء على العابثين من الترك . فبالغ فى الاحتفال بنجاحه ، وبات أعداؤه يكيدون له عند السلطان حتى غضب عليه وأمر بقتله فعادت الحال إلى ما كانت عليه من فساد واضطراب . وآلت الجزيرة إلى يد أرستقراطية طاغية عابثة متغطرسة متعطشة لسفك الدماء[1] .

---

(١) ولقد كثرت حوادث القتل والتشريد والفتك بالأبرياء الوطنيين ، ويكفى أن نشير من ذلك إلى حادثة الكهف المعروفة ، وخلاصتها أن المدعو حسان باشا قد فر بجنده أواخر =

هنالك يفكر الوطنيون فى مصيرهم ، ويلتمسون الوسيلة للخلاص من هذا العذاب . فمنهم من ارتد عن دينه ، ومنهم من اعتصم بالجبال ، وأشهرهم أهل أسفاكية ، وكانوا دائماً بحكم طبيعة ديارهم ، وشدتهم فى استعمال السلاح وقدرتهم على الدفاع عن أنفسهم فى مأمن من عدوان الأتراك . وكان البنادقة يعرفون لهم ذلك ، فهادنوهم وسالموهم ، وتركوا لهم حرية العيش فى الجزيرة لقاء ضريبة طفيفة ، واستخدموهم كثيراً ضد الترك(١) .

= عام ١٨٢٢ بقرية «مليدونى» Melidhoni وذلك فى طريقه من خانية إلى قندية فذعر الوطنيون العزل ، وفروا أمامه فلجأوا إلى كهف بجوار تلك القرية ، وكانوا كثرة من النساء والأطفال فظلوا بالكهف أياماً حتى اطمئنوا إلى رحيل الباشا بجنده فعادوا إلى ديارهم ويموت حسان فيخلفه من يدعى حسين بك ، ويمر بالقرية فيصاب أهلها بذعر شديد فيحملون أطفالهم ويسوقون أنعامهم وماشيتهم إلى الكهف المذكور فيقف لهم البك ببابه ويطلب إليهم أن يخرجوا إليه فيرفضون ثم يبعث إليهم برسول له فلا يعود ، فيعمد إلى باب الكهف فيسده بالأحجار والخشب ثم يصب عليه الزيت ويشعل فيه النار فيموت اللاجئون عن آخرهم . أنظر :
Pashley, Vol. I, pp. 127-130 ; Perrot, pp. 170-177

(١) أنظر ملحق (٣) عن إسفاكية فى نهاية الكتاب . Perrot, pp. 177-183.

الفصل الخامس

ثورة الاستقلال اليونانية وأثرها على الكريتيين

ظلت الجزيرة تحت سلطان العثمانيين زمناً يربو على قرن ونصف قرن ، وقد تميز ذلك العهد بفساد الحكم واضطراب الأمن ، وسوء الإدارة مما أدى إلى نشر الرعب وإذاعة الفزع حتى عم الجوع وكثر الموت ، وفقدت الجزيرة سكانها[1] وخربت قرى سهل « مسارا » بضروب من المحن فخرب أكثرها ، وقضى على أكثر سكانها[2] بسبب اندلاع الثورات يقوم بها الوطنيون بين الحين والحين ابتغاء حرية العيش ، والخلاص من الظلم والجوع والخوف ، واشتد الكرب على أهل الجزيرة منذ عام ١٧٧٠ عندما قام الإسفاكيون[3] بثورتهم فغلبوا على أمرهم ، وخربت ديارهم وبالغ الأتراك فى اضطهادهم ، فلجأ أكثرهم إلى الفرار ، يعتصمون بالجبال ، ويتحينون الفرص للانقضاض على العدو وانتقاماً لأرزاقهم وأعراضهم وصرعاهم ، ولم ير سكان الجزيرة من الوطنيين فترة أشد نكراً وظلاماً من تلك الفترة بين عامى ١٧٧٠و١٨٢١ ، فلم تكد نذر حرب الاستقلال اليونانية تبدو فى آفاق الحياة حتى بات سكان الجزيرة يمدون آمالهم إلى حياة أفضل ينشدونها

---

(١) وليس أدل على ذلك من أن تفقد « فينراتو » Venerato (القرية الوحيدة التى احتفظت باسمها الإيطالى) من أسرها البالغ عددها مائتين ، ١٨٥ أسرة ، وتفقد قرية « هاجيوميرو » Hagio Myro من أسرها السبعين ، ٦٧ أسرة ، كما فقدت قرية « بيجيه » Péghé ثلاثة أرباع أسرها (من ١٦٠ إلى ٤٠ أسرة) ومثلها قرية « روغذيا » Rhogdhia لم يبق من أسرها الثمانين سوى ٢٥ أسرة فقط . Pashley, Vo. I, pp. 232-233

Ibid, Vol. I, p.234 ; *Ibid*, Vol. II, p. 115 ; *Ibid*, Vol. I, p. 259

وعند ما زار « باورنج » Bowring الجزيرة فى عام ١٨٣٧ لاحظ أن آثار التخريب والدمار الذى حل بأنحاء كثيرة من الجزيرة أثناء ثورة الاستقلال اليونانية لا زالت قائمة فى بعض الجهات Bowring, *Report*, London 1839, p. 155.

(٢) Pashley, Vol. I, p. 291.

(٣) أنظر ملحق رقم (٣) الخاص بالأسفاكيين .

بين هزيمة الأتراك وانتصار اليونانيين ، فلم يلبثوا حتى تأثروا بهم فانتظمت فرق الثوار فى الجزيرة من أهل السهل والحزن وأخذوا يشترون أسلحة الحرب من بلاد اليونان[١] وكان الإسفاكيون وسكان الجبال بصفـة عامة سباقين إلى الاشتراك فى هـذه الثورة فأسهموا جميعاً فى قضية استقلال اليونان إذ اضطروا تركيا إلى توزيع قواتها بين بلاد اليونان وكريت[٢] . ولما احتـدم القتال بين الفريقين عام ١٨٢١ ، وكانت الغلبة للوطنيين فى كل بقاع الجزيرة حاشا بقاع « أبو كرونا » Apokorona[٣] ذلك لأن أهل خانية وضواحيها عندما خانوا ثورة الإسفاكيين وأهالى « ريزو » Rhizo راحوا يستصرخون المسلمين فى شرقى الجزيرة ووسطها ، وخرجوا يبغون نصراً كذلك الذى أتيح لهم عام ١٧٧٠ ، وحذرهم حاكم الجزيرة العثمانى يومئذ وهو شريف باشا من العدوان على المسلمين من رعايا الجزيرة إلا أنهم حين عودتهم استباحوا لأنفسهم دماء المواطنين بغية الانتقام لهزيمة إسفاكية ، فقتلوا من الوطنيين العزل كل من وجدوا فى طريقهم وساقوا من لقوا من النساء والأطفال فى ركابهم . فخانوا بذلك عهداً قطعه الحاكم على نفسه لعزل المسالمين من أهل الجزيرة ، وفعلوا ما كان يفعله الانكشاريون من قبـل ، ونسوا أن ذلك مستعجل أجلهم فى الجزيرة ، ومقصيهم عنهـا بعد حين[٤] .

اشتداد ثورة الوطنيين :

ولم يفت ذلك فى عضد الثوار الوطنيين ، فاستأنفوا كفاحهم فى سبيل الحرية

---

(١) أنظر Softazadé ص ١٩ — ٢٣ لتتبع مـدى تأثير ثورة اليونان فى ثورة جزيرة كريت .

(٢) La Roche, pp. 112-113

(٣) A. Politis, *Les Rapports de la Crèce et de l'Egypte (1833-49)* pp. X-XII. كذلك يشير « بيرو » Perrot ، ص٢٠٢ — ٢٠٥ إلى بعض ما أنزل الوطنيون بالأتراك من صنوف التعذيب والتنكيل أثناء تراجعهم .

(٤) Pashley, Vol. I, pp. 301-302.

فلما استفحل أمر الثورة فى ١٨٢٢ ، اضطر الأتراك إلى الاعتصام ببعض القلاع[١] ومن بينها قلعة « كيسامو » التى لم تلبث غير قليل حتى سقطت فى أيدى الوطنيين بعد أن مات فيها كثير من العثمانيين جوعاً ومرضاً ، وبات العثمانيون يعانون أزمة الجوع والمرض ، وينتظرون أجلهم فى الجزيرة . وليس أدل على ذلك من أن قندية رضيت التسليم ، فأخذت تفاوض عليه الأعداء الذين شد النصر أزرهم ، وباتت الظروف السياسية تعينهم عليه من جميع أقطارهم . فالروس يهددون العثمانيين فى حوض الدانوب ، على حين تفتقر قوات العثمانيين فى كافة بلاد اليونان إلى قيادة رشيدة ، وعلى ما يلزمها من المؤن والذخائر ، كل ذلك فضلاً عما حاق بهم من المحن والمصائب : مصائب الهزيمة والجوع والعلل الفتاكة تدفعها إلى الموت دفعاً قوياً[٢] .

أزمة الحكم العثمانى فى الجزيرة والتجاء السلطان إلى محمد على :

ولما بلغ الأمر حد ما وصفنا من فساد الحكم واضطراب الأمن ، بحيث لم يصبح بادياً فى الأفق غير تحول الحال وسوء المآل ، لم يجد السلطان العثمانى بدأ من الالتجاء إلى مغامر شجاع حازم من رجال الدولة . وتلفت فلم يجد من حوله غير واليه على مصر محمد على ، فطلب إليه أن يستعد لقمع ثورة اليونانيين من ناحية ، وإطفاء ثورة الجزيرة من ناحية أخرى . كما عهد إليه إن هو نجح فى الجزيرة بإعادة تنظيمها ، والقيام على حسن إدارتها . واستجاب محمد على لرغبة السلطان فعهد إلى واحد من خاصة رجاله يقال له « حسن باشا » وأمره على جيش وبعث به إلى الجزيرة[٣] .

---

(١) Driault, *op.cit.*, p. XII.

(٢) Perrot, pp. 200-201.

(٣) دفتر ٧ معية تركى ، ترجمة التلغراف التركى رقم ٣٠٠ من الجناب العالى إلى ولده ابراهيم باشا فى ١٩ من ذى الحجة ١٢٣٦ (الموافق ١٦ سبتمبر ١٨٢١) ، أنظر التوقيعات الإلهامية فى مقارنة التاريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية ، اللواء المصرى محمد مختار باشا ، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق ١٣١١ هـ (١٨٩٣ — ١٨٩٤) .

تدخل محمد على :

اغتبط محمد على بذلك الأمر أشد الاغتباط ووجد فى تنفيذ رغبة السلطان فرصة مواتية لتحقيق آماله فى الظهور على مسرح السياسة الشرقية فى صورة البطل المسلم الزائد عن حياض الإسلام وحامى حماه ، وأخذ يختار صفوة جنوده ، وأشجع قواده للزحف على الجزيرة[١] .

ويبحر القائد حسن باشا على رأس قوة يبلغ عسكرها حوالى ٤٤٠٠ من المشاة ، وأربعمائة من الفرسان ومعهم كل ما يلزمهم من الخيل والذخيرة[٢] . ويبلغ القائد بجيشه ثغور الجزيرة فيبلون فى مقاتلة الثوار بلاء حسناً ، فهو يصرف الحصر عن خانية ، ويقاتل الثوار قتالاً دامياً فى « رتمو » ثم هو يحرز على الثوار كثيراً من الانتصارات[٣] ولا يلبث موقف الحملة أن يتحرج عندما يهبط من الجبال رجال ينضمون إلى إخوانهم فيبلغ عدد الثوار نحو عشرة آلاف، فيحملون على قندية و يميلون عليها ميلة واحدة ويشتد القتال ساعات فى « فانلى أوه » أى « الصحراء الدامية » ويتمكن الثوار من حرق الزروع ، وتخريب مجارى المياه ويرى قائد الحملة حسن باشا حرج الموقف كما يرى ألا سبيل إلى إخماد الثورة والسيطرة على الموقف إلا بضرب الحصار حول ثغر إسفاكية ، فهو فى نظره مهب العواصف فكتب إلى محمد على يطلب إليه المدد ، ويمده هذا بما يريد إذا ماانتهت أيام الشتاء وحل الربيع[٤] فقد كان يخشى إن هو فعل قبل ذلك أن تعوزه سفن الحرب يحرس بها المدد ولم يكن يومئذ يملك إرسالها وبات محمد على يبذل غاية

---

(١) Perrot, pp. 201-202.

(٢) دفتر ١٠ معية تركى ، مكاتبه رقم ٢٦٣ ، عريضة مقدمة إلى مقام الصدارة فى غرة رمضان ١٣٣٧ الموافق ٢٢ مايو ١٨٢٢ .

(٣) دفتر ١٠ معية تركى ، مكاتبة رقم ٢٦٦ ، من حسن باشا القائد العام بكريت إلى الجناب العالى فى ١٣ ذى الحجة (٣١ أغسطس ١٨٢٢) .

(٤) دفتر ١٠ معينة تركى ، الأمر الكريم رقم ٤١٤ إلى قائد الجيش المصرى بجزيرة كريت ١٥ صفر ١٢٣٨ (أول نوفمبر ١٨٢٢) .

الجهد فى إعداد المدد وتوفير الذخائر حتى كملت بين يديه حملة الجند ، بلغ عددها حوالى أربعة آلاف[١] .

وفى انتظار وصول المدد لم يبق قائد الحملة بغير عمل ، ولكنه استأنف أعماله الحربية فى حذر وحزم وبعد نظر ، حارب فى «بره بتره» و«مرابيلا» و «لاشيد» فى نواحى قنديه كما أحرز بعض الانتصارات عند كهوف الجبال حيث كان يعتصم الأسفاكيون[٢] .

لم يستطع محمد على أن يرسل المدد إلى كريت قبل بداية الصيف ، ذلك لأن بعض سفائنه الحربية كانت قد تأخرت فى ميـاه قبرص ، فلما عاد بادر بإرسال المدد ، وكان قوامه ٤٥٠٠ مقاتل معبئين فى خمسة وثلاثين سفينة وذلك فى مطلع شهر يونية من عام ١٨٢٣[٣] .

ولم تكد القوات المصرية تبلغ ثغور الجزيرة حتى داهم الموت حسن باشا ، فتوفى فى ١٧ يونيو عام ١٨٢٣ ففقد الجيش المصرى بموته الحزم والتدبير ، وباتت قلعة قندية معرضة للخطر يداهمها من جميع أقطارها ، وبات أهلها فى أشد الحاجة إلى المؤونة وبخاصة حينما اشتدت عليها وطأة الهجوم من جانب اليونانيين بعد أن ازدادوا ألفاً جاءوهم من المورة مسلحين بستة مدافع فنزلوا فى كيسامو[٤] .

هنالك بادر محمد على بتعيين قائد جديد اسمه « حسين بك » وكان قائداً للعسكر غير النظامية وكان كما جاء فى سيرته من القواد الأماجد[٥] فزوده بمائتين

---

(١) دفتر ١٣ معية تركى ، المكاتبة رقم ٣٠ من الجناب العالى إلى نجيب أفندى فى ٩ من جمادى الأولى ١٢٣٨ (٢٢ يناير ١٨٢٣) .

(٢) دفتر ١٤ معية تركى ، المكاتبة رقم ٩٠ إلى وكيل جيش العساكر المصرية فى كريت فى ٢ من رمضان ١٢٣٨ (١٣ مايو ١٨٢٣) .

(٣) دفتر ١٣ معية تركى ، المكاتبة رقم ١٠٩ إلى نجيب أفندى فى ٢٠ رمضان ١٢٣٨ (٦ يونية ١٨٢٣) .

(٤) دفتر ١٤ معية تركى مكاتبة ١١١ وإلى جدة فى ٢٨ شوال ١٢٣٨ (٨ يوليو ١٨٢٣).

(٥) دفتر ١٤ معية تركى، مكاتبة ١٦٢، ١٦٦ من ذى الحجة ١٢٣٨ (٢٤ أغسطس ١٨٢٣).

من السوارى وخمسين من القواسين ، كما عين معه يوسف أغا كتخذاً للجيش . وأقلعت الحملة مزودة بذخيرتها وجيادها من ثغر الاسكندرية فى ٢٦ من أغسطس سنة ١٨٢٣ وكان محمد على باراً بالفقراء الذين نكبوا من أهالى قندية وخانيه ورسمو « فأمدهم مع الحملة بمئونة وفيرة »(١) وكتب محمد على إلى عثمان باشا وإلى قنديه وسر عسكر الجزيرة ينبئه بتعيين القائد الجديد ويظهره على مهارته وحسن تصرفه وأمله فى قدرته على القضاء على الثوار ثم يوصيه بمشاورته والاطمئنان إلى آرائه فى إدارة المعارك وتوجيه الحملات ويطلب إليه معاونته على أداء مهمته(٢) .

اهتمام محمد على بالأمور الإدارية فى الجزيرة :

وتبين محمد على بعد لأى أن إعادة الأمن فى الجزيرة وأحكام السيطرة عليها لايقتضى الامداد بالقوات مزودة بالقيادة الحسنة وحسب وإنما يقتضى كذلك إعادة النظر فى شئون الجزيرة من الناحية الإدارية وتزويدها بجهاز من الكفايات الإدارية يعينها على الوصول إلى حياة أفضل . فبادر إلى الاستعانة بنجيب أفندى لاتخاذ الإجراءات نحو نقل عثمان باشا إلى خانيه وإحلال لطف الله باشا حاكم خانية مكانه على قنديه وإسناد سر عسكرية الجزيرة إليه(٣) على أن ذلك لم يتم إلا بعد عام يشير إلى ذلك كتاب التهنئة الذى بعث به محمد على إلى محافظ قندية الجديد يهنئه فيه بمنصبه هذا وبإسناد ولاية كريت إليه ، وجعل سنجق خانية تحت سلطانه(٤) .

---

(١) دفتر ١٣ معية تركى مكاتبة ١٦٩ إلى مقام الصدارة العليا فى ١٩ من ذى ١٢٣٨ (٢٧ أغسطس ١٨٢٣) .

(٢) دفتر ١٣ معية تركى ، مكاتبة ٢٠٥ إلى الباشا وإلى قندية وسر عسكر كريت فى ٢١ محرم ١٢٣٩ (٢٧ سبتمبر ١٨٢٣) .

(٣) ظاهر من الاطلاع على الوثائق أن قندية كانت أهم معاقل الجزيرة وأن موظفيها كانوا أوفر حظاً من الناحيتين الأدبية والمادية من أمثالهم فى خانية وبقية معاقل الجزيرة ، وقد أشار محمد على نفسه إلى ذلك ، أنظر دفتر ١٣ معية تركى ، مكاتبة ١٨٧ من محمد على باشا إلى نجيب أفندى فى ٣ محرم ١٢٣٩ (٩ سبتمبر ١٨٢٣) .

(٤) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٦١١ فى ١٤ ربيع الأول ١٢٤٠ (٦ ديسمبر ١٨٢٣).

محمد على يستحث القوات المصرية على الهجوم :

وكتب محمد على إلى القائد الجديد ومن معه من الضباط يستحثهم على المبادرة بالهجوم ويذكرهم بما أحرز أسلافهم فى عهد حسن باشا من أمجاد بسبب شجاعتهم النادرة ، وأقدامهم فى غير تردد ، وقدرتهم على القتال ، ويوصيهم بأن ثورة الكريتين قد آن لها أن تنطفىء نارها بعد أن ظلت مندلعة ثلاثة أعوام ، ويبلغهم أسفه واستياءه من أنباء ما قد سمع عن ارتداد بعض القوات المصرية المهاجمة تحت إمرة حسين بك بحجة إنقطاع الماء فى الجبال ، مع علمهم بأن أسفاكية كانت أخطر أوكار الثوار ، وألا سبيل إلى إطفاء نار الثورة إلا بإسقاطها والاستيلاء عليها ، فلا ينبغى لهم أن يترددوا فى الهجوم عليها أو يحجموا عنه مهما كانت الظروف وأيا كانت الأسباب ، فقوتهم تزيد على تسعة آلاف ، ومعهم خيرة الضباط والقواد ، ثم يحذرهم آخر الأمر من الإبطاء أو التواكل أو الإهمال وأنهم محاسبون على كل ذلك — إن فعلوا — حساباً عسيراً ، وجزاء من يبطىء منهم أو يهمل أن يسجن فى قلعة أبى قير مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أعوام(١) — وكان لهذه الرسالة أثرها الواضح فى تنشيط الجيش المصرى وإثارة همته ، إذ لم يلبث تحت قيادة حسين بك حتى هاجم الثوار فى أخطر أوكارهم وأمنعها باسفاكيه ، فاستولى عليها ، واستولى على ما حولها من قرى بلغ عددها خمساً وعشرين ، ثم وضع يده على أربع سفن للاسفاكيين كانت راسية بثغرها ، وتم له القبض على من كان فيها من الثوار بآخره(٢) .

هنالك بادر محمد على فبعث إلى الصدر الأعظم يبشره بذلك الفوز العظيم ، وينبئه بأن الاستيلاء على أسفاكية قد أطفأ نار الثورة ، وحقق استتباب الأمن

---

(١) دفتر ١٣ معية تركى ، مكاتبة ٢١٢ من الجناب العالى إلى حسين بك قائد العسكر المصرية بكريت ٩ ربيع الأول ١٢٣٩ (١٣ نوفمبر ١٨٢٣) .

(٢) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة ٣٤٥ إلى محمد على باشا متصرف طرابلس بالشام فى ٤ شعبان ١٢٣٩ (٤ ابريل ١٨٢٤) .

فى الجزيرة ، وأن سكانها أقبلوا على قائد الجيش من كافة أنحائها يعلنون إستسلامهم ويطلبون الحماية .

وأراد أن يطمئن الصدر الأعظم بنتائج أعماله ، فبعث إليه بما بتك من آذان العصاة الثوار وعددها ثمانمائة زوج[1] كما بعث أخيراً إلى قائده فى كريت حسين بك ، يثنى عليه الخير لنجاحه فى الاستيلاء على المواقع الهامة مثل « ميلو بوطامو » و « آجى صو » و عاصى قونية » و « اكسيفوز » و « أنابولى » و « أسفا كية » و « كيسامو » و « سلنه » ثم على قتله العصاة الثوار وإنزال العقاب بهم ، ثم بحثه بآخره على مواصلة الجهاد حتى ترفرف أعلام النصر والهدوء على الجزيرة الثائرة ، ويوصيه ويوصى الباشوات الثلاثة المحافظين فى كل من قنديه ، وخانية ، ورسمو بحماية من يطلبون الأمان من سكانها[2] .

وإذا تبين محمد على بعد لأى أن جنوده فى الجزيرة يسيئون التصرف باعتدائهم على ديار الوطنيين وتخريب مساكنهم ، وقلع زروعهم وحرق محاصيلهم بحجة أن أموال غير المسلمين مباحة وغنيمة لهم ، أرسل إليهم يحذرهم من السلوك الهدام ، ويلومهم على تلك السياسة الحمقاء ويذكرهم بأنه إنما بعث بهم على تلك الجزيرة ليطفئوا فيها نار الثورة ويرفعوا فوق ربوعها أعلام السلام . وليبنشروا فيها العدل ويمدهم إن هم سلموا إليه الجزيرة عامرة ، مسلمة آمنة — بالثناء على جهودهم بخير ما يستحقون[3] . وكان الرجل شديد الخوف على قواده وعسكره من أن تغلب عليهم روح الانتقام من أهل الجزيرة فيخونوا عهدهم الذى قطعه لأهل الجزيرة وقطعوه على أنفسهم بالأمان ، فواصل إرسال كتبه إلى سائر القائمين على

---

(١) دفتر ١٤ معية ، مكاتبة ٣٥٠ إلى الصدر الأعظم فى ١٩ شعبان ١٢٣٩ (١٩ أبريل ١٨٢٤) .

(٢) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣٦٢ إلى حسين بك قائد الحملة بكريت فى ٥ من رمضان ١٢٣٩ (٤ مايو ١٨٢٤) .

(٣) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣١٦ منشور عام بتاريخ ٢٠ من رجب ١٢٣٩ ٣ من مارس ١٨٢٤) .

أمر الجزيرة من القادة والعسكر ورجال الإدارة يذكرهم بذلك العهد ويوصيهم بالوفاء به ويحذرهم من انتهاك الحرمات ، وينبههم إلى أن خيانة العهد مشينة بكرامة الباب العالى[1] ثم يكتب إلى عثمان باشا محافظ قندية مرة أخرى يوصيه بتأمين العصاه ممن سلموا وطلبوا الأمان وكان قد ارتاع من رد هذا الأخير حين أنبأه بأن الأمن فى الجزيرة لا يمكن أن يستتب إلا بعد سنوات عشر بسبب ما انطوت عليه صدور أهلها من كراهية و بغض المسلمين الذين غزوهم فأذلوهم فى دينهم حتى باتوا يصرون على مواصلة القتال ، ذلك مع العلم بأن قائده فى الجزيرة حسين بك ووكيله على إدارة شئونها مصطفى بك قد أنبآه بأنهما نجحا فى إخضاع الثورة كل النجاح واستوليا على ما كان فى أيدى الثوار من سلاح ثم أودعاها ما كان يملكان من قلاع[2] وينفذ القائمون على أمر الجزيرة أوامر محمد على فيوزعون ما بين أيديهم من قواته على جهات ثلاث ، بحيث يتوجه كل فريق منها وجهته فيجمع من الرعايا كل ما كان فى أيديهم من سلاح ويسلمه محافظ الإقليم إلى أقرب قلعة ، وقد أخذت قوات كل فرقة عهدها على عمدة كل قرية أن يسلم كل ما فى قريته من سلاح فإن هو خالف أصبح رهينة لدى القوات المصرية حتى تسوى أمور قريته[3] .

محمد على يحذر ويوصى :

ويحذر محمد على قواته المرابطة فى الجزيرة من أن تخطىء فتستخدم ما جمع من أهلها وما صودر من سلاح ، وإنما يجب أن يودع القلاع ، وللقواد بعد ذلك

---

(١) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣٦٣ إلى حسين بك قائدالحملة على كريت فى ٥ رمضان ١٢٣٩ (٤ مايو ١٨٢٤) .

(٢) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣٩٧ إلى عثمان باشا محافظ قندية فى ٢٧ رمضان ١٢٣٩ (٢٦ مايو ١٨٢٤) .

(٣) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٤٢٥ من الجناب العالى إلى الصدر الصدر الأعظم فى ٢١ شوال ١٢٣٩ (١٩ يونية ١٨٢٤) .

أن تطلب ما يعوزها من سلاح[1] . وكان غرضه من ذلك واضح فهو يكره أن يثير نفوس الناس بعدما هدئت إذا ماهم رأوا سلاحهم مصوباً إلى صدورهم من أيدى أعدائهم .

ثم هو يوصى محافظ قنديه بألا يتعجل أمر تعيين ضباط على القرى التى جنح أهلها للسلم وأعطوا الأمان وألا يتعجل فى فرض ضرائب الأعشار وكانت من حق الملتزمين وأصحاب المقاطعات خشية وقوع الرعب فى قلوب الأهالى ، واجتناباً لخلق مشاكل قد يكون لها نتائج سيئة . ثم هو يرى أن ظروف الجزيرة يومئذ كانت تتطلب من القوات المصرية أن يحسنوا معاملة للناس إلى أن تنتظم الأمور وتستقر الأحوال . فالثورة لم تكن قاصرة على تلك الجزيرة وحدها بل هى فى شبه جزيرة المورة وغيرها أيضاً . ويرى أخيراً أن يجعل مصطفى بك حاكماً على قنديه ، وحسين بك حاكماً على رسمو ، وعبد الله أغا على خانية[2] .

النكبة :

وتدل شواهد الأمور على أن سياسة محمد على قد نجحت يومئذ فى كريت إلا أن نجاحها كان مكفولاً ببقاء القوات المصرية فى الجزيرة ، وظل الهدوء شاملاً عامين كاملين أقبل الناس على الحكم الجديد فرضوا به ، ولم يتخلف منهم إلا من فروا أول الأمر بالجبال[3] ولم تكد القوات المصرية تغادر كريت لتسهم فى إخماد الثورة التى اندلعت نارها فى مودن Modon[4] هنالك أسرع بعض الثوار من بلاد المورة فاتجهوا إلى الجزيرة فى ثلاث عشرة سفينة فبلغوا ساحل

---

(١) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة رقم ٣٩٤ إلى حسن بك قائد الحملة المصرية بكريت فى ٢٥ رمضان ١٢٣٩ (٢٤ مايو ١٨٢٤) .

(٢) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة ٤٣٨ ، إلى محافظ قنديه ٤ ذى القعدة ١٢٣٩ (أول يوليو ١٨٢٤) .

(٣) دفتر ١٤ معية تركى ، مكاتبة ٤٢٥ من الجناب العالى إلى الصدر الأعظم ٢١ شوال ١٢٣٩ (١٩ يونيو ١٨٢٤) .

(٤) Driault, *L'Expédition de Crète et de Morée*, 1823-1828, p. 58. Drovetti au Baron de Damas, Alex., 12 Mai, 1825.

كيسامو(١) فى منتصف شهر أغسطس ١٨٢٥ وكان عددهم يتراوح مابين خمسمائة وستمائة شخص أكثرهم من الثائرين والخارجين الذين فروا قبل ذلك من كريت انتهزوا فرصة رحيل القوات المصرية عن الجزيرة فأسرعوا إليها بغية إثارة إخوانهم الذين ركنوا إلى الهدوء واستسلموا للضعف ، تصدى لهم قائد المنطقة عثمان أغا ، وبذل كل مافى وسعه يومئذ ليحول بينهم وبين الجزيرة إلا أن كثرة عددهم قد عوقه نجاحه فى ذلك(٢) . ثم نجح بعض الثوار من تلك العصبة فى احتلال قلعة « كرابوزا » حين تنكر منهم أربعون ثائراً فى زى الأتراك وأوهموا رجال الحامية من العثمانيين أنهم جاءوهم للمساعدة من خانيه(٣) .

على أن هذا الحادث لم يثر الرعب فى قلوب الأتراك من سكان الجزيرة وحدهم بل أرهب الأتراك والمواطنون فى آن معاً . فأخذوا يلجأون أزواجهم وأطفالهم إلى ملاذ أمين . ولما بلغت الأنباء مصطفى بك بادر بمبارحة قندية على رأس ألفين من الجند ليضع حداً لتلك الفعلة الجزئية وليعيد الأمن إلى الجزيرة(٤) .

---

(١) يعرف هـذا الساحل باسم « كستيللى » ، وموقعه بين رأس « سباد » Spada « وكرابوزا » Carabusa

Ibid., pp. 84-85, Nouvelles sur les Affaires de l'Ile de Crète depuis 14 Nov., 1825.
أنظر أيضاً: Ed. Gouin, *L'Egypte au XIXe siècle*, p. 390.

الذى أضاف أن اليونانيين أنشأوا بالجزيرة وكرا للقراصنة الذين باتوا يمرفرن مصير السفن الأوربية المارة بالقنال الكريتى ، وأنظر أخيراً دفتر ٢٠ معية تركى مكتبة ١٩٨ من الجناب العالى إلى لطف الله باشا محافظ قندية ٢٢ صفر ١٢٤١ (٧ أكتوبر ١٨٢٥) .

(٢) دفتر ٢٢ معية تركى ، ترجمة الافادة ١٦١ من الجناب العالى إلى الأفنـدى المأمور بقيد وكتابة الأمور المهمة فى كريت ، ١٨ محرم ١٢٤١ (٢ سبتمبر ١٨٢٥) .

(٣) الواقع « غرانبوسة » (كرابوزا) لم تكن فى حالة تعينها على الدفاع عن نفسها ، فلم يكن بها من الجنود غير خمسة أو ستة يرأسهم ضابط وكان المفروض أن يبلغ عددهم ١٥٣ جندياً تحت أمرة عـدد من الضباط وقد مكن ضعف هذه الحامية العصاة من اليونانيين من احتلالها بالحيلة والخديعة ، أنظر دفتر ٢٠ معية تركى ، مكتبة ١٩٨ من الجناب العالى إلى لطف الله باشا محافظ قندية ، ٢٣ صفر ١٢٤١ (٧ أكتوبر ١٨٢٥) .

(٤) Driault, pp. 84-85, Nouvelles sur les affaires de l'Ile de Crète depuis le 14 Août, 1825, jusqu'au 1er Octobre suivant.

وكتب محمد على إلى قائد قواته الأعلى بالجزيرة يوصيه أن يستعين بلطف الله باشا محافظ قنديه فى تجهيز الجيش وإعداده للمبادرة بضرب العصاة ومحو كل أثر لهم بالجزيرة ، ويوصيه فى الوقت نفسه بالمحافظة على أرواح الأهالى ممن جنحوا إلى السلم ، ورفعوا راية الأمن ، ويعمل على استمالتهم إلى جانبه ، ورفع السخرة عنهم ، وحمايتهم من عدوان أصحاب المقاطعات الذين بالغوا فى تسخيرهم فى أعمال البناء وفلاحة الأرض ، فهو يرى فى ذلك ظلماً طالما أوصى أولى الأمر من رجاله برفعه عن أهالى الجزيرة[1] وحاول مصطفى بك أن يمنع الثوار فى « كرابوزا » من الاتصال ببقية أنحاء الجزيرة وكان غالبية أهلها قد سلموا فيما عدا جماعات قليلة كانت تسكن القرى من أهالى جبال إسفاكية ، فنزل برجاله فى « كيسامو » على أن افتقار مصطفى بك إلى السفن قد حال بينه وبين ما كان ينبغى له من السيطرة على الجزيرة وتطهيرها من عناصر الشغب والثورة[2] فلم يلبث أن انتقل بقواته إلى « أبو كرونا » Apokorona الواقعة بين « سودة » وقنديه بغية القضاء على العصابات الثائرة من أهل إسفاكية فدعا بعض زعماء إسفاكية ليستعين بهم على قمع الحركة فى تلك المناطق الجبلية[3] وأراد أن يجمع سلاحهم فرفضوا بحجة أن فرمانات السلطان قد أباحت لهم حمل السلاح ، ثم وعدوه بمعاونته على القضاء على العصابات الثائرة فى القرى الجبلية . ولم يكن ذلك الوعد بالأمر الذى يطمئن قوات محمد على على حال الجزيرة فقد أصبح مصيرها واستتباب الأمن فى ربوعها إنما يتوقف على ابراهيم باشا فى حرب المورة فلو أنه نجح فيها إذاً لساد الهدوء وانتشر السلام فى ربوع الجزيرة . وكان مما يقلق بال

---

(١) دفتر ٢٠ معية تركى ، الأمر ١٢٢ فى ١٤ محرم ١٢٤١ (٢٠ أغسطس ١٨٢٥) من الجناب العالى إلى القائد الأعلى للجيش المصرى فى كريت (مصطفى بك) وفيها يتعلق بتوصية محمد على بمعاملة المسيحيين — أنظر محفظة ١٠ بحربرا ، وثيقة ٨ فى محرم ١٢٤١ (٢٠ أغسطس ١٨٢٥) .

(٢) Driault, pp. 114-116, Saint Sauveur au Baron de Damas, Canée, 9 Janvier 1826.

(٣) *Ibid.*, p. 118, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 28 Jan. 1826.

محمد على يومئذ أن قواد الأتراك القساة قد درجوا على إساءة معاملة الأهالى على الرغم من الوصايا والتحذيرات التى كان يبعث بها محمد على ويعمل قائد قواته مصطفى بك على تنفيذها[١] .

هنالك فكر مصطفى بك أن يغادر « أبو كرونا » Apokorona بعد أن قضى بها أسبوعين ، فعاد إلى معسكره « فى كيسامو » وكان « روسو » Russo زعيم الإسفا كيين قد غادر هو الآخر أبو كرونا مع فريقه . فبات قائد القوات المصرية يتوجس خيفة مما يحتمل أن يكون « روسو » Russo وقبيلته قد بيتوا النية على القيام به وأخوف ما كان يخاف أن يستولوا على جزيرة « كرابوزا » التى كانت ما تزال بين أيدى فئة صغيرة من اليونانيين[٢] وصدق حدس القائد المصرى حينما تبين له أن عصابات الإسفا كيين مازالت تمارس نشاطها وما زال أفرادها يكثرون ولا يقلون ، وما زالت الحوادث بين أيديهم تترى ، فأخذ قلبه يغلى بالغيظ ، ولم يجد بداً من القيام بعمل حاسم إزاء ذلك كله ، فأظفره الله برأس العصابة « روسو » وقبيلته فاعتقلهم فى سجن خانية بعد أن جردهم من سلاحهم[٣] وكان عددهم سبعة رجال سجن منهم اثنين فى « كيفالا » Kefala من إقليم « أبو كرونا » حيث كان يعسكر مصطفى بك برجاله يومئذ . فعل القائد المصرى فعلته تلك بغية القضاء على ثورة الإسفا كيين إيماناً منه بأنهم مثيروها ومشعلو نارها دون أن يضع يده على الدليل الذى يمكن أن يقوم لذلك . وكان مع ذلك يخشى أن يكون من وراء عمله هذا ما يزيد النار اشتعالاً بسبب ما أقدم عليه من اعتقال « روسو » Russo وأنصاره[٤] .كان القائد المصرى مصطفى بك على

(١) *Ibid.*, pp. 122-125, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 17 Fevrier 1826.

(٢) *Ibid.*, pp. 132-134, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 7 Mars 1826.

(٣) *Ibid.*, pp. 154-155, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 23 Avril 1826.

(٤) Aff. Etr., Corr. Cons. Turquie 244/219 (Paris), Consul au Ministre, Canée, 9 Mai 1826.

حتى فيا فعل فالإسفا كيون قد تظاهروا بالطاعة والاستسلام وتظاهروا كاذبين بأنهم من رعايا المسلمين ووعدوا بالقضاء على الفتنة ، ثم باتوا مع ذلك يأججون نار الفتنة ، ويتربصون بالمسلمين الدوائر ويتجسسون عليهم ، ونجحوا فى الفتك بأ كثرهم ونهب أموالهم واغتصاب أملاكهم[١] .

سوء الحالة فى الجزيرة :

وساءت أحوال الجزيرة حين حاصرها القراصنة ، فهم يحيطون بها من كل جانب فيعوقون صلاتها التجارية من الخارج وتزداد حوادث السرقة والقتل وتجدب الأرض لأن الاضطراب والفوضى قد صرفا الناس عن الاهتمام بفلاحة الأرض ، وحرقت بعض القرى وكثرت الهجرة ونفقت البهائم والأنعام وانتشر الوباء ففتك بكثير من الناس كما قضى على حاكم خانية[٢] .

ومن حوادث الاغتيال المثيرة التى وقعت يومئذ فى الجزيرة حادث اغتيال القبطان النمسوى راديسفتش Radicevitch وكان راسياً بسفينته فى ثغر «سودا» طعنه أحد الجنود الألبانيين بخنجره عدة طعنات فى رائعة النهار فسقط فاقد الحياة ، وقد أثار هذا الحادث قناصل الدول الأوربية فقدم ثلاثة منهم : قنصل النمسا d'Herculès وقنصل فرنسا St. Sauveur وقنصل بريطانيا « كابو جروسو » Capo Grosso احتجاجهم إلى يوسف أفندى نائب مصطفى بك فى خانية فأصدر أمره بالقبض على الجانى وكان قد فر من المدينة فأتى به فى السجن فظل فيه حتى أمر مصطفى بك بإعدامه[٣] .

---

(١) دفتر ٢٢ معية تركى ٤٩٦ من الجناب العالى إلى لطف الله باشا ، ١١ ربيع آخر ١٢٤٢ (٢٢ نوفمبر ١٨٢٦) .

(٢) Driault, pp. 156-159, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 9 Mai 1826.

(٣) *Ibid.*, pp. 145-147, 31 Mars, 1826.

أثر انتصارات الجيش فى المورة :

وكان من نتائج انتصارات الجيش المصرى فى المورة واستيلاء قواته على موسولونجى أن بدأت أحوال الجزيرة تتحسن ، وبات الأمل عظيماً فى أن تهـدأ العصابات الثائرة التى اعتصمت بجبال إسفاكية وأن يفتر نشاط القراصنة الذين كانوا ينتشرون على شواطىء الجزيرة ويتخذون من « كرابوزا » وكراً لهم ومهبا للسطو والعدوان[١] . وآية ذلك أن تبلغ شواطىء الجزيرة ست سفن تحمل الزيت من ثغر « سودا » إلى مرسيليا بعد ما انقطعت صلتها بالجزيرة خمسة أعوام ، تم ذلك فى سهولة ويسر فأخذت تجارة كريت فى الرواج واتصلت السبل بينها وبين دول أوربا مما أدى إلى تحسن أحوال السكان[٢] ولم يلبث الحال غير قليل حتى استطاعت سبع سفن أخرى أن تحمـل الزيت من كريت إلى فرنسا ، وبدأت الغلال تصل إلى الجزيرة بعد سنين الجدب والجوع مما خفف من محنة أهلها ، وبدأ وباء الطاعون يرتحل عن ديارهم[٣] .

ثورة اليونانيين وأثرها على مركز لطف الله باشا :

توالت حوادث العدوان يقوم بها الثوار من أهل الجزيرة فاستولوا على قلعة « كرابوزا » وتحرج مركز محافظة قندية ، ولم يلبث السلطان أن أعلن غضبه وسخطه من تراخيه وإهماله ثم من فشله آخر الأمر فى القيام بأعباء منصبه ، ثم اعتبروه مسئولاً عن سقوط « كرابوزا » فى أيدى الثوار ، وما ساد الجزيرة من أعمال الفوضى يقوم بها الانكشاريون مما أدى إلى اضطراب أحوال الجزيرة من جديد ، وجاءت الأوامر من الأستانة بعزله من منصبه على أن يغادر الجزيرة إلى الأستانة بعد وصول خليفته[٤] ، وتعيين (سليمان أغا) بدلاً منه ، وكان يومئذ

---

(١) Aff. Etr., Corr. Pol., Turquie 244/305, Consul au Ministre Canée, 10 Juin 1826.

(٢) Driault, pp. 176-177, St. Sauveur au Baron de Damas, Canée, 10juin 1826.

(٣) *Ibid.*, p. 180, St. Sauveur au Baron de Damas, 2 Août 1826.

(٤) دفتر ٢ عابدين ، المكاتبة ١١ من الجناب العالى إلى الصـدر الأعظم فى ٨ جمادى الآخر ١٢٤٢ (٧ يناير ١٨٢٧) .

أميناً لجرك الفواكه الرطبة فى أزمير ، ولم يسند إليه منصب المحافظ فى « قندية » وحسب ، بل صار محافظاً لخانية ، ومنح رتبة الوزارة ثم جعل والياً على الجزيرة(١) على أن يقدم إلى مصر قبل تسلمه مهام منصبه الجديد ليتزود فيها بنصائح محمد على ، وأكرم محمد على وفادته ، وبعث بالحاج إبراهيم أغا من كبار رجال قصره إلى إسكندرية ليكون فى استقبال سليمان وكان ذلك فى ٩ من مارس ١٨٢٧(٢) والتقى الرجل لدى محمد على أكثر مما كان ينتظر ، احتفل بمقدمه وأكرم ضيافته وزاد من عطائه(٣) وجعل فى معيته القائد زكريا أغا المقيم مع جنده فى رشيد(٤) .

وانتهز محمد على فرصة التخلص من بعض جنوده الألبان فأرسل منهم فى ركاب والى كريت الجديد أربعمائة جندى(٥) حملهم على خمس سفن وخصص لهم الغرقاطة إحسانية فغادر شواطىء مصر فى ٢٥ مارس ١٨٢٧(٦) وأخذ الناس يبشرون بمقدمه ، ويتطلعون إلى الخير بين يديه ، وينتظرون أن يزداد الرخاء ، وتتحسن الحالة الاقتصادية(٧) كذلك حمل الوالى إلى مصطفى بك قائد الجزيرة

---

(١) دفتر ٢ عابدين المكاتبة ٩٠ من الجناب العالى إلى الصدر الأعظم فى ٢٠ شعبان ١٢٤٢ (١٩ مارس ١٨٢٧) .

(٢) دفتر ٢ عابدين المكاتبة ٦٣ من الجناب العالى إلى سليمان باشا القادم من أزمير ١٠ شعبان ١٢٤٢ (٩ مارس ١٨٢٧) .

(٣) Driault,pp. 241-242, Baron de Damas au Malivoire, Caire, 28 Mars, 1827.
وتصف هذه المكاتبة الحفاوة البالغة التى استقبل بها سليمان باشا .

(٤) دفتر ٢ عابدين مكاتبة ٨١ من الجناب العالى إلى حضرة القبوكتخدا ، ٢٠ شعبان ١٢٤٢ (١٨٢٧/٣/١٩) دفتر ٢٦ معية تركى / ١١٦ من الجناب العالى إلى القائد زكريا المقيم فى رشيد فى ٢٢ شعبان ١٢٤٢ (٢١ مارس ١٨٢٧) .

(٥) Driault, Baron de Damas à Drovetti, Alexandrie, 1er Avril 1827.
وفى رواية أخرى أن محمد على زود الوالى بفرقة من جنوده الأرناؤوط عددها ٣٥٠ جندياً بالإضافة إلى من جاءوا معه من أزمير ، أنظر
Le Règne de Mohamed Aly d'après Les Archives Russes, vol. I, p. 76, Dràovett Ribeaupierre, 5 Mai, 1827.

(٦) تاريخ لطفى ، الجزء الأول ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٧) الرسالة السابقة الذكر) فى
Le Règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes, Vol. I, p. 76 .

براءة الباشوية من الميرميران ، وكان ذلك بناء على رغبة ملحة من محمد على الذى كان يعطف على ذلك القائد ويقدر كفاية[١] .

على أن القلق ظل سائداً فى الداخل ، فالثوار اليونانيون من سكان الجبال والهضاب مازالوا يتربصون بالترك الدوائر ويقعدون لهم كل مقعد بغية الإنتقام لقتلاهم من الفلاحين وكان القنديون منهم أكثر هياجاً وأشد استياء فلقد قتل الأتراك من ذويهم نحو ثلاثين من الرجال والنساء والأطفال على مقربة من « قنديه » ولم يكن قد مضى على إقامة الوالى فيها غير وقت قصير فبادر بالقبض على الجناة ، وعاقب واحداً منهم بالموت واضطروا إلى إطلاق سراح الباقين تحت ضغط الأتراك من سكان المدينة ، وكانوا أكثر قومهم قسوة وأشدهم عنفاً وأسرعهم فى الخروج على النظام والامتثال للأوامر[٢] .

هكذا كانت الحال فى قندية فأما فى خانيه التى أصبح زمامها بين يدى مصطفى باشا قائد القوات المصرية فقد ساد الهدوء وعمت السكينة نظراً لما أبداه الرجل من حزم وحكمة فى معالجة الأمور . وذلك حين ساعد القوات الفرنسية البريطانية على احتلال « كرابوزا » بغية تخليصها من « حاجى ميخائيل » Hagi Michali وعصابته الذين أشعلوا نار الفتنة فى الجزيرة دهرا ، ولما تم له ما أراد حصل على وعد من حاجى ميخائيل بأن يكف عن مسلكه عن القيام بأى حركة ثورية أو عدوانية على أن يقيم هادئاً فى موطنه إسفاكية .

غير أن مصطفى باشا كان قوى الوعى بعيد النظر ، فلم يطمئن إلى وعد ذلك الإسفاكى الثائر . ورأى فى بقائه فى الجزيرة خطراً على الأمن والسلام وقصد

---

(١) دفتر ٢ عابدين مكاتبة ٢ ١٠٢ من الجناب العالى إلى مصطفى باشا فى ٢٥ شعبان ١٢٤٢ (٢٤ مارس ١٨٢٧) .

(٢) Driault, pp. 305-307, Fournetty au Baron de Damas, Canée 15 Avril 1828.

انظر كذلك

Aff. Etr., Carton de La Canée, Fournetty au Ministre la Canée, 18 Avril 1828.

إلى إسفاكية حيث يقيم الرجل بين أعوانه وكان عددهم يتراوح بين سبعمائة وثمانمائة رجل وطلب إليهم مغادرة الجزيرة حريصاً فى ذلك على أن يتحاشى كل اشتباك معهم فى حرب حتى لا يتعرض الناس فى تلك المنطقة للأذى . ولما لم يستجب « حاجى ميخائيل إلى نداء مصطفى باشا اضطر إلى مهاجمته ورجاله فى ٢٨ مايو ١٨٢٨ ، فسقط « حاجى ميخائيل » وسقط معه من رجاله ثمانمائة وطلب من بقى منهم بعد المعركة الأمان على أن تسهل حكومة الجزيرة أمر ترحيلهم وأجيبوا إلى ما طلبوا ثم سخا لهم فزودهم بالمؤن وأطلق سراح المسجونين منهم . وقد أكد المرحلون لمصطفى باشا أن زعيمهم « حاجى ميخائيل» كان ينوى مقابلته ومفاوضته إلا أن الإسفاكيين أثاروا شكوكه ومخاوفه وحذروه من عواقب هذا اللقاء[1] .

غدر الإسفاكيين وقيامهم بالتحريض على الثورة :

وإذا كان الإسفاكيون لم يشاركوا فى المعركة بين قوات مصطفى باشا و« حاجى ميخائيل » فإنهم كانوا المحرضين على وقوع الصدام الذى سفكت فيه الدماء . ثم تظاهروا بالهدوء حتى إذا ما مر مصطفى باشا بقواته عائداً من ميدان المعركة باغتوها وأنزلوا بها كثيراً من الخسائر الفادحة[2] هناك امتلأ قلب القائد غيظاً منهم وحقداً عليهم بعد أن كان صفا لهم على معاقبة من يعتدى عليهم من الأتراك[3] .

واستمر الإسفاكيون فى عدوانهم على الأتراك ، وتمكنوا آخر الأمر من محاصرة حامية تركية كانت ترابط فى قرية « ملكسا » Malexa وكان

---

(١) Aff. Etr., Carton de La Canée, Fournetty au Ministre, La Canée, 12 Juin, 1828.

أنظر كذلك دفتر معيه تركى ٢٦ : مكاتبة ٢٥ ، ١١ محرم ١٢٤٤ (٢٧ يوليو ١٨٢٨) إلى الصدر الأعظم جاء أن عدد القتلى قد بلغ ٣٥٠ ثلاثمائة ويشار فى هذه الوثيقة إلى « حاجى ميخائيل »» باسم « آجى ميخائيل » .

(٢) الوثيقة السابقة دفتر معيه تركى ٣١ .

(٣) Driault, p. 307, Fournetty au Baron de Damas, Canée, 15 Avril 1828.

عدد رجالها ٣٠٠ رجل فاضطروا إلى الانسحاب دون أن يخسروا من الأرواح والمعدات شيئاً هنالك قصد مصطفى باشا بقواته إلى ذلك المكان وكان الطريق إليها وعراً شديد الوعورة وتعرض أثناء ذلك إلى هجمات الإسفاكيين ، ولكنه استطاع على الرغم من ذلك أن يسيطر على الموقف من جديد(١) .

والشيء الذى لا شك فيه أن « حاجى ميخائيل » ونشاطه الثورى قد هز الجزيرة وأثار الرعب فى قلوب أهلها حتى بات الكريتيون وكان أكثرهم لا يعرف التاريخ الميلادى ولا الهجرى يؤرخون بحادث هذا الثائر إلى جانب التاريخ بالثورة اليونانية والصلح الذى تم على يد حسين بك ووقوع الزلزال الكبير وزمان حاجى « عثمان » وحكمه فى الجزيرة(٢) .

موقف الدول من ثورة كريت :

لا يكاد موقف الدول إزاء هذه الثورة يختلف عن موقفها إزاء ثورة الاستقلال اليونانية فهذه روسيا تبدى عداءها لتركيا منذ اللحظة الأولى ، وتهدر بالتدخل فى شئون الجزيرة وترفض تركيا فكرة التدخل كما جاء فى تصريح الصدر الأعظم لسفير بريطانيا عام ١٨٢٢ حيث قال « الفناء أحب إلينا من أن يتدخل الغير فى شئوننا ، فليهتم كل بأمره ، لا يأمر من هو فى غنى عنه » ، وفى عام ١٨٢٤ يظهر تدخل الروس حين يقترحون تقسيم اليونان إمارات ثلاث على أن تكون كريت بالإضافة إلى جزء من بلاد اليونان إحدى هذه الامارات ، على أن تمنح جميعاً استقلالاً ذاتياً تحت سيادة الدولة العثمانية ، وظاهر من مسلك روسيا أنها كانت ترى فى تلك الفكرة تمهيداً لسلخ الجزيرة من أملاك العثمانيين . هذا كان موقف روسيا .

---

(١) أنظر كذلك دفتر مهمه تركى ٢٦ ، المكاتبة ٣٧١ فى أمر إلى مصطفى باشا قائد جزيرة كريت ٢٩ ربيع الأول ١٢٤٤ (٩ أكتوبر ١٨٢٨) .

(٢) Pashley, *Travels in Crete*, vol. I, p. 273.

وشبيه بذلك ما كان يفعله الريفيون من أهل مصر قبل خمسين عاماً فقد كانوا يؤرخون بحادث الثورة العرابية .

فأما انجلترا التى لزمت الحياد دهراً واستهدفت بذلك لعداء الحلف المقدس ومستمسكة بمبدأ عدم التدخل فى شئون الدول الداخلية فقد رأى رئيس حكومتها ووزير خارجيتها « كاننج » Canning اتباع هذه السياسة فى حرب الاستقلال اليونانية حفاظاً على حسن العلاقات التجارية بين بلاده وأملاك العثمانيين ، ولما تبين أن هذه السياسة قد أخذت تفسح المجال لتدخل الروس ، وتمد أطماعهم فى البلقان ورأى مظاهر العطف على قضية اليونان قد أخذت تشتد فى غرب أوربا اشتداداً أقل ما يمكن أن يقال فيه أنه أثر على مترنخ يومئذ زعيم الرجعية بحيث غدا يميل إلى التدخل فى اعتدال لمعاونة الشعب اليونانى على استرداد حريته . هنالك بات « كاننج » يفكر فى التدخل فصرح فى عام ١٨٢٤ بأن الأمر يتطلب صلحاً على شروطه يتفق عليها كل من الطرفين المتنازعين ، صلحاً يحقق لليونانيين استقلالا داخلياً تحت سيادة العثمانيين واشتدت رغبة مترنخ فى إقناع العثمانيين فى الموافقة على تحرير اليونانيين .

هنالك تنبه القيصر الروسى « إسكندر الأول » إلى أن سياسة « كاننج » محبطة لمشروعاته مضيعة لآماله فى البلقان ، فأوصاه بأن يأخذ على عاتقه رعاية الشئون اليونانية وكان فى ذلك معبراً عن الرأى العام للشعب الروسى ، على أن القيصر قد مات بعد ذلك بقليل وكان ذلك فى نهاية عام ١٨٢٥ وسلكت كل من فرنسا والنمسا مسلكا مشابهاً حين تقدمتا باقتراحات مماثلة إلى حكومة بريطانيا حتى لا تتدخل روسيا لحل المشكلة الشرقية تدخلا مسلحاً .

وأثار ظفر القوات المصرية المحاربة لحساب العثمانيين ببلاد المورة ، مشاعر الناس فى غرب أوربا وأخذوا يطالبون بمناصرة اليونانيين حتى اضطر « كاننج » إلى الخروج عن مبادئه الحيادية وبدأ يتدخل عن طريق تحذير تركيا إلى الخطر الروسى وإظهار حرصه على ألا تتعرض أملاك العثمانيين إلى خطر التجزئة ، طالباً إليها الموافقة على تحرير اليونان برغم كل ما تم لهـا من نصر على أيدى القوات المصرية ولكن سرعان ما خاب مسعى « كاننج » . فعلى الرغم من أنه كان

صادقاً ومبصراً فى سعيه فإنه قد أخطأ التوفيق فيما طلب حين فاجأه القيصر الجديد نيقولا الأول فى الرابع والعشرين من شهر مارس ١٨٢٦ وكان هذا الأخير قد بنى سياسته على أن يتقاسم الأقوياء أشلاء الرجل المريض بذلك الإنذار الذى وجهه إلى تركيا ويقضى بأن تنفض يدها من شئون البلقان ، تاركا بذلك قضية اليونان فى أيدى الحلفاء هنالك رضخت تركيا لمطالب روسيا بعقد معاهدة أكرمان Ackermann فى السابع من أكتوبر ١٨٢٦ نزلت فيها مضطرة عن كثير من الامتيازات ، فهى قد نصت على انسحاب القوات العثمانية من إمارتى الدانوب وحرية الملاحة فى المضايق ولم يكن أمام تركيا يومئذ إلا أن توافق على نصوص تلك المعاهدة ، بغية تجنب الدخول فى حرب مع روسيا لم يكن فى استطاعتها يومئذ أن تخوضها ذلك لأن جهودها كانت موزعة بين تطوير جيشها والقضاء على ثورة الانكشارية على أن تسليم تركيا بمطالب روسيا وإن كان قد جنبها الحرب إلى حين إلا أنه لم يزل شبحها من الوجود(١) .

وهكذا غلبت بريطانيا على أمرها حين خاب مسعاها ولم يكن فى وسعها أن تقاوم ذلك التيار الروسى الجارف ، فأوفدت « ولنجتن » Wellington إلى سان بطرسبرج ليوقع مشروع اتفاق مع وزير خارجيـــة روسيا « نسلرود » Nesselrode فى الرابع من أبريل ١٨٢٦ أصبحت اليونان بمقتضـاه مستقلة استقلالاً ذاتياً مع بقائها تحت سيادة العثمانيين ولما دعيت الدول الأوربية للموافقة على ذلك امتنعت كل من النمسا و بروسيا وكانت من أنصـار الرجعية وأعداء الحرية فأما فرنسا فقد امتنعت عن توقيع تلك الاتفاقية واقترحت عقد معاهدة تم توقيعها فى السادس من شهر يوليو ١٨٢٧ فاشتركت فيها روسيا و بريطانيا على

---

(١) See C.M. Woodhouse, *The Greek war of Independence* (1st ed. London,1952) pp. 52-117.

وأنظر كذلك

A. Softazadé, *La Crête sous la Domination et Suzeraineté Ottomanes,* (Paris,, 1920) pp. 23-26.

إقامة دولة يونانية تتمتع بالحكم الذاتى تحت سيادة العثمانيين وتعتبر هـذه المعاهدة حجر الأساس فى استقلال اليونانيين التام .

وقد أدت إلى معركة نفارين (٢ أغسطس ١٨٢٧) التى تحطم فيها الأسطول التركى المصرى على يد الأساطيل البريطانية الفرنسية الروسية المشتركة فلم يعد مناص بعد هذه الكارثة الكبرى التى ألمت بتركيا من أن تنال اليونان لا حكماً ذاتياً فحسب وإنما استقلالاً تاماً .

غير أن الروس قد آمنوا فى مسلكهم السياسى بأن السلام لا يمكن أن يتحقق فى بلاد اليونان إلا باستخدام العنف فى مواجهة الباب العالى ، وآية ذلك أنهم عقدوا العزم على تنفيذ ما حاول كاننج من قبل أن يتحاشاه ، فأعلنت روسيا الحرب على تركيا فى أبريل عام ١٨٢٨ وفى نوفمبر ١٨٢٨ أرسلت فرنسا بعض قواتها البرية أرغمت قوات ابراهيم على الجلاء عن المورة[١] بينما اجتاحت قوات روسية الأراضى التركية فتمكنت من الوصول إلى أدرنة فى صيف ١٨٢٩ ومن تحرير البلقان وخشيت عندئذ فرنسا وانجلترا أن تضع روسيا يدها على بلاد اليونان . فبدأت محادثات لندن التى انتهت بالاعتراف باستقلال اليونان بعد عقد معاهدة أدرنة (١٤ سبتمبر ١٨٢٩) ولما سقطت حكومة المحافظين فى انجلترا سنة ١٨٣٠ وصار بلمرستون أحد أعضاء حزب الأحرار وزيرا للخارجية زالت كافة العراقيل للاعتراف باليونان دولة مستقلة كل الاستقلال عن تركيا ١٨٣١[٢] .

هذا ما كان من أمر بلاد اليونان فماذا كان موقف الدول من كريت بعد انتهاء حرب الاستقلال اليونانية ؟ كانت فرنسا حيث اشتد العطف على القضية

---

(١) ومع ذلك فقد رفضت كل من انجلترا وفرنسا اعتبار نفسها فى حالة حرب ضد تركيا .
(٢) أنظر كذلك تاريخ أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ — ١٩٥٠) . تأليف جرانت ، تمبرلى ، ترجمة بهاء فهمى ص ٤٠٤ — ٤٠٦ (١٩٦١) .

اليونانية وحيث كان الساسة دون استثناء يحبذون توسيع رقعة المملكة الجديدة « مملكة اليونان » ، ترى ضرورة ضم كريت إلى أملاك اليونان معتمدة فى ذلك على رغبة اليونان من ناحية ، ويونانى الجزيرة من ناحية أخرى ، وبذلك أوصى ممثل فرنسا فى ٢٢ مارس ١٨٢٩ حين ذكر « أن ضم جزيرة كريت إلى أملاك اليونان له أهميته الواضحة من حيث اعتباره فى صالح الدول الأجنبية الأخرى »، إلا أن معاهدة لندن التى أبرمت فى ٣ فبراير وضمنت استقلال اليونان قد نصت على بقاء جزيرتى كريت وساموس تحت سلطان العثمانيين . وكانت انجلترا وحدها تعمل على إنقاذ وحدة أملاك الدولة العثمانية وهى عندما وافقت على استقلال اليونان قد ضيقت حدودها بقدر المستطاع وليس أدل على ذلك مما كتبه اللورد ابردين إلى ولنجتن فى ٢٤ سبتمبر ١٨٢٩ « إذا كان فى استطاعة تركيا أن تبذل بعض الجهود فى سبيل الاحتفاظ بكل من جزيرتى « يوبيه » Eubée وكريت فإن ذلك لما يضمن لها الاشراف على بلاد اليونان » وقد كان من الواضح أن انضمام جزيرة « يوبيه » لبلاد اليونان كان نتيجة لإلحاح فرنسا المتكرر بسبب عطفها الشديد على القضية اليونانية(١) .

تم الاتفاق بين الدول الثلاث فى محادثات لندن فى فبراير ١٨٣٠ على ضمان استقلال مملكة اليونان الجديدة ، مع الإبقاء على جزيرتى كريت وساموس تحت السيطرة العثمانية كما استقر الرأى على اختيار « ليوبولد ساكس كوبورج » Leopold saxe Coburg ليصبح ملكاً على بلاد اليونان وكان على اتصال دائم بحاكمها المؤقت « كابوديستريا » Capo d'Istria (٢) الطموح الذى

---

(١) Softazadé, pp. 27-30.

(٢) Charles Webster, *The Foreign Policy of Palmerston*, vol. I, pp. 260-261.
وفى هذا الفصل ما يشير إلى أن كابوديستريا كان من كرفو ، وكان وزير الخارجية روسيا بعض الوقت ، كما كان شديد التعلق بها ، ولما عين حاكماً مؤقتاً اليونان سلك فى حكمها مسلك المستبد .

كره هذا الأمر منذ البداية وبات يدبر لإخفاقه ويضع العقبات فى سبيل الرجل حتى يوهمه أن اليونان لا يمكن أن يكون لها كيان ثابت إلا إذا ضمت إليها جزيرة كريت وساموس(١) وقد كان لهذا التحذير أثره على ليوبولد وآية ذلك أنه يجيب على مذكرة الدول الثلاث المتحالفة محذراً « بأن جعل كريت خارج حدود المملكة اليونانية يعيب كيانها مادياً وروحياً » كما أنه صرح لأولئك الساسة أن ضم كريت لبلاد اليونان شرط أساسى لقبوله تاج اليونان مما أدهشهم لأنه كان قد سعى سعياً حثيثاً ليصل إلى هذا الترشيح ، كما أنه كان قد وافق عليه من قبل . فلم يسع اللورد ابردين إلا أن يذكره أن مسألة ضم كريت لليونان لم تذكر بتاتاً عنـد عرض ذلك العرش عليه . وقد أصر « ليوبولد » على موقفه وصرح فى خطاب استقالته عن ذلك الترشيح فى ٣١ مارس ١٨٣١ أنه يرفض الموافقة على تخلى أولئك اليونانيين عن اخوانهم الذين شاركوهم فى القتـال لتحرير الوطن وحرمانهم من التمتـع بالمشاركة فى نعمـة الاستقلال . وذلك رأى لم يره « كابوديستريا » و « ليوبولد » وحـدهما وإنما رآه بعض الزعمـاء السياسيين فى بريطانيا وفرنسا ، فهذا « بلموستون » يعلن فى البرلمان الانجليزى أن حرمان

= أنظر كذلك

Driault & L'Heretier, *Histoire Diplomatique de la Grèce de* 1821 à *nos jours,* 1925, pp. 49-59.

وفى ٢٧ سبتمبر (٩ أكتوبر) عام ١٨٣١ قتل كابوديستريا وهو فى طريقه إلى الكنيسة على يد قسطنطين وجورج مفروميكا ليس انتقاماً لسجن كابوديستريا لأخى الأول وأبى الثانى المدعو Pierre Mavromichalis — *Ibid.*, vol. II, p. 69.

(٣) وإذا كان كابوديستريا قد أراد أن يمكر بصاحبه عندما حذره من مصير اليونان إن هو قبلها بغير الجزيرة فإنه فى الواقع كان يؤمن بذلك ويخشى أشد الخشية من بقاء كريت تحت حكم العثمانيين أو تركها للإدارة المصرية ، ذلك لأن الفتن والإضطرابات كانت ما تزال تملأ جوها ومبعثها فى رأيه القلق الذى بات يمـلأ نفوس الكريتيين من مصيرهم إذا لم تظلهم وأخوانهم فى اليونان راية واحدة ، ولا أدل على ذلك من أنه أوصى الدول المتحالفة بأن يتخذ من الاجراءات مايكفل سلامة السكان وإلزام حاكم الجزيرة بتنفيذها .

P. R. O./F. O. 78/189, Copie, Note sur la Candie et Samos 17, 29 Decembre, Count Capodistrias, Enclosure in Sir Robert Gordon's No. 7 of Constantinople, 5th Februry 1930.

اليونان من كريت معناه حرمانها من خطوط الدفاع عن نفسها وتعريض كيانها للخطر؛ ونادى « جيزو » Guizot رئيس وزراء فرنسا بضرورة ضم كريت إلى اليونان وأيده فى ذلك « تيير » Thiers زعيم المعارضة.

وقد كان لكل أولئك أثره الواضح فى سياسة الحلفاء إزاء مصير الجزيرة فعندما تقرر بقاءها وجزيرة ساموس تحت حكم العثمانيين ، قدم الحلفاء إلى السلطان مذكرة فى أبريل ١٨٣٠ يعلنون فيها حرصهم الشديد على سلامة الجزيرة ، وتأمين سلامة سكانها و يوصونه بأن يقيم حكمه فيها على أسس سليمة يراعى فيها رد ما كان للسكان من حقوق وامتيازات معلنين استعدادهم للتدخل لحماية الكريتيين إذا ما أصابهم ظلم أو وقع عليهم أى عدوان(١) .

القوات الأوربية تحاصر كريت وتحتل قلعة « كرابوزا » Carabusa

فى صيف ١٨٢٨ بدأت بعض السفن البريطانية تحاصر الجزيرة ، وكان الغرض من ذلك أن يحال بين القوات المصرية و بين إرسال المؤن والمعدات إلى بلاد المورة ، وكان محمد على قد أمر بإرسالها محملة على سفائن أربع حاولت الاقلاع بها من ثغر خانية . وكان مفهوماً أنها ستعود إلى الأسكندرية كما جاءت منها ، وتعلل الأوربيون بذلك فباتوا يعدون خروجها إلى المورة إخلالاً بالوعد الذى أعطاه محمد على حين أعلن أن هذه السفن لن تعدو الجزيرة ولن تغادرها إلا إلى الاسكندرية . وهكذا تصدت قوات الحصار الأوربى للسفن المصرية على حين تركت السفن الأوربية تغادرها حرة محملة بمختلف البضائع والسلع والغلات(٢) .

وكان من نتائج حصار الإنجليز والفرنسيين للجزيرة ، وتضييق الخناق عليها أن قلت مواردها و بخاصة ذخائر الجيش وعتاده ، وعوقت رواتب عساكره ، مما

(١) Softazadé, pp. 30-34.

(٢) Aff. Etr., Carton de la Canée (1819-1830), Fournetty au Ministre, LaCanée, 2 Juin 1828.

أثار القلق فى نفس محمد على فبات يفكر ملحاً فى فك الحصار[١] وبخاصة حينما أصبح من العسير إرسال الضرورى من الأقوات لرجاله ، فكانت سفنه تدور حول الجزيرة متفرقة على بعد ، فإذا أمنت عين الرقيب اندفعت إلى الساحل فأفرغت حمولتها من القمح ، كما وقع فى « سودة » ، « وقندية » «وخانية»[٢] ولما ازداد قلق محمد على وضاقت به السبل إلى فك الحصار كتب لواحد من عيونه فى الآستانة ، وطلب إليه أن يشرح الموقف ويفصل أموره بين يدى السلطان ، وبين له أن العجز عن إيصال المؤن والذخائر إلى من فى الجزيرة من جنده قد يؤدى بهم إلى الثورة والعصيان وأنه لم يأل جهداً ولم يترك باباً إلا طرقه حتى يتحاشى ذلك فهو قد اضطر إلى تقديم الرشوة إلى قواد السفن الأوربية مقابل تهريب بعض المؤن إلى الجزيرة[٣] وهو قد لجأ فى سبيل ذلك إلى حيلة أخرى ، فكان يبعث بسفنه إلى رودس ، ويقوم بتهريب حمولتها من المؤن والذخائر والأموال على دفعات صغيرة معبأة فى صغار المراكب[٤] .

ويرى البريطانيون تبرئة أنفسهم من الإشاعات التى راجت عندئذ بسبب حصارهم للجزيرة حول رغبتهم فى الاستيلاء عليها[٥] فيعلنون نيتهم فك الحصار عنها عندما يقرون فى ٢٥ ديسمبر ١٨٢٨ تنفيذ معاهدة ٦ يوليو ١٨٢٧ الخاصة بحدود اليونان المستقلة التى أصبحت قاصرة على المورة وجزر السيكلاديز ، وكان رسولهم أمير البحر الانجليزى ملكولم Malcolm الذى أذاع الخبر عند وصوله

(١) دفتر ٢٦ معيه تركى ، مكاتبة من الجناب العالى إلى سليمان باشا محافظة كريت ، ٣ صفر ١٢٤٤ (١٥ أغسطس ١٨٢٨) .

(٢) دفتر ٤٠ معيه تركى ،مكاتبة ٧٥ ، من الجناب العالى إلى نائب الصدر الأعظم فى غرة جمادى ثانى ١٢٤٤ (٩ ديسمبر ١٨٢٨) .

(٣) دفتر ٤٠ معيه تركى ، مكاتبة ٨٦ ، من الجناب العالى إلى الشيخ ، وكان فى الغالب أحد عيونه وأعوانه ولم يستطع الاهتداء إلى اسمه فى غرة رجب ١٢٤٤ (٧ يناير ١٨٢٩) .

(٤) دفتر ٤٠ معيه تركى ، مكاتبة ٨٨ من الجناب العالى إلى حضرة قائمقام الصدارة فى ٢ رجب ١٢٤٤ (٨ يناير ١٨٢٩) .

(٥) *Le Règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes*, Vol. I, pp.311-312, Pezzoni à Ribeaupierre, Alex., 29 Octobre 1828.

إلى الأسكندرية قادماً من خانيـة(١) ويعلن محمد على ذلك ، ويبلغ نبأه إلى محافظ الجزيرة ليعلنه على الذين مردوا على العصيان وإثارة الفتن ، وأن ما حال الحصار بينهم و بين بلوغه من الزاد والعتاد قد أضحى اليوم وصوله ميسوراً . ولم يصبح هناك من سبب للقلق والثورة ، وأن ينـذر المخالفين منهم بأشـد ألوان العذاب ، و بخاصة بعد الذى أنفق من مال وجهد فى سبيل إصلاح أمورهم(٢) . ولم يكد المحاصرون يبدأون بتنفيذ ما وعدوا ، وتقلع بعض سفائنهم من شواطىء الجزيرة فى ٢١ يناير ١٨٢٩ حتى بادر محمد على بالـكتابة إلى سليمان باشا راسماله ما ينبغى أن يتبع من خطوات فى العمل على تنظيم أمور الجزيرة وإعادة الأمن إلى نفوس أهلها(٣) ولم يلبث البريطانيون حتى أصـدروا تصريحاً بإنهاء الحصار وأن سواحل الجزيرة باتت حرة(٤) .

وإذا كان البريطانيون قد فكوا الحصار عن سواحل الجزيرة فإن قلعـة « كرابوزا » قد ظلت بين أيديهم يشاركهم فى ذلك قوات الفرنسيين والروس ، وظل محمد على يجاهدهم حتى استطاع إقناعهم بوجوب الانسحاب وتم له ذلك فى مطلع عام ١٨٣١ وكان أمر هـذه القلعة ووقوعها تحت أيدى هذه القوات الأوربية قد أقلق محمد على وأقض مضجعه فهو قد بذل كثيراً من الجهد . وأنفق كثيراً من المال فى سبيل تنظيم هـذه الجزيرة ، وتحريرها و إذاعة الأمن فيها ، وبات ينظم أمورها ، وكان طبيعياً أن يغضب لبقاء هـذه القوات فيها بعد أن وضعت الآستانة بزمام أمورها بين يديه ، وكان يعلم أن الروس لم يشاركوا

---

(١) *Ibid.*, vol. I, p. 329, Pezzoni à Ribeaupierre, Alexandrie, 16 Jan. 1828.

(٢) دفتر ٤٠ معية تركى مكاتبة ٩٦ من الجناب العالى إلى سليمان باشا محافظ الجزيرة فى ٩ رجب ١٢٤٤ (١٥ يناير ١٨٢٩) أنظر كذلك دفتر معية تركى مكاتبة ٩٧ من الجناب العالى إلى القبو كتخدا فى ١٢ رجب ١٢٤٤ (١٨ يناير ١٨٢٩) .

(٣) دفتر ٤٠ معية تركى مكاتبة ١١٦ من الجناب العالى إلى خلوصى باشا قائمقام الصدارة فى ١٢ شعبان ١٢٤٤ (١٨ يناير ١٨٢٩) .

(٤) *Le Règne de Mohamed Aly*..., René Cattaui, vol. I, p. 344, Pezzoni à Nesselrode, Syra, 27 Mai, 1828.

فى احتلال القلعة إلا ليكسبوا صداقة اليونانيين ويتمكنوا من الاحتفاظ ببعض الامتيازات فى الجزيرة[١] .

وظاهر أن الحلفاء الثلاثة كانوا يرون عدم ترك الجزيرة قبل أن يجلو الأتراك عن الممتلكات الأخرى التى أصبحت أجزاء مقسمة لبلاد اليونان المستقلة ، ويرون أن الجزيرة من متممات المملكة اليونانية[٢] فاستدعى محمد على قنصل فرنسا فى مصر وبين له الخطر المحقق فى بقاء تلك القوات فى الجزيرة ، إذ أنه اليوم السبب الوحيد الذى عطل استقرار الأمور فى جزيرة كريت[٣] كما أوضح بوغوص بك فى إعلان وجهه إلى ممثلى الدول المتحالفة الثلاث ما يمكن أن يترتب على بقاء قواتهم فى « كرابوزا » من الفوضى والاضطراب وأهاب بها بأن تجلو عن القلعة . فليس يرضيها أن يتعرض سكان الجزيرة للأذى بسبب بقاء تلك القوات فيها ، وليس يرضيهم أن يشتد القلق باليونانيين حتى يفقدوا الأمل فى الهدوء والطمأنينة[٤] وواضح أن الحصار الذى ضربه الحلفاء حول الجزيرة وبقاءهم فى قلعة « كرابوزا » بعد فك الحصار قد شجعا اليونانيين من أهل كريت على الخروج على النظام الذى أراده محمد على فى الجزيرة وباتوا يحتمون فى ظل أعلام الدول الثلاث وينكرون الحكم المصرى وينكرون السلطة التى آلت إلى واليها من لدن السلطان[٥] .

وبات أمر « كرابوزا » يقلق بال محمد على ، فأخذ يبذل ما ملك يومئذ من جهد فى العمل بكافة الوسائل على تخليص الحصن من أيدى القوات المحتلة الثلاث ،

---

(١) G. Douin, *L'Egypte de* 1828-1830, pp. 297-298, Mimaut au Comte Molé, Alex. 31 Oct. 1831.

(٢) *Ibid.*, p. 301, Ministre des Affaires Etrangères à Mimaut, Paris, 4 Novembre 1830.

(٣) *Ibid.*, p. 305, Mimaut au Maréchal Marçuis Maison, Alex. 15 Nov. 1830.

(٤) *Ibid.*, pp. 308-309, Note de Boghos Youssef aux Consuls Généraux des Trois Puissances Alliées, Alex. 12 Nov. 1830.

(٥) *Le Règne de Mohamed Aly...*, vol. I, pp. 394-395, Pezzoni à Ruckman, Péra de Constantinople, 30 Decembre 1830.

ومن ذلك أنه بادر بعد اتصاله بقنصل فرنسا وبعد اتصاله بممثلى الدول الثلاث عن طريق يوغوص بك بوضع البارجة المصرية « التمساح » فى خدمة القناصل الثلاثة (فرنسا — انجلترا — روسيا) وكان يمثل الأخيرة النمسوى (Schutz) لتحمل رسائلهم ومذكراتهم إلى أمراء القوى البحرية الثلاث الموجودة يومئذ فى اليونان. كما أصدر أوامره إلى ربان البارجة بالتوجه إلى ثغر طولون لتقديم المذكرة المشار إليها إلى وزارة خارجية الدول الثلاث وذلك فى حالة الإخفاق فى التفاهم عن طريق أمراء القوات البحرية[١] .

وقد أوضح قنصل فرنسا أن الدول الثلاث لم تفعل ما فعلت إلا لتجبر الأتراك على الجلاء عن جزيرة « نيجروبون » Negropont ولتزيل ما بقى لدى اليونانيين بالجزيرة من أوهام وآمال فى الانضمام إلى بقية اليونانيين فى بلاد اليونان وآية ذلك أن يخضعوا لقرارات معاهدة لندن ١٨٣٠ التى فصلتهم عن المملكة اليونانية وكان ذلك — فى رأيه — خيراً لمحمد على ، إذ قد عافاه من التورط فى وزر من أوزار التاريخ يوم يحمله تهمة الغدر وعدم الوفاء بالعهد فهو قد قدم من الوعود والنوايا الطيبة ما لم يكن له قبل بتنفيذه ، إذا ما هو أقدم على استرداد الحصن عن طريق القتال[٢] .

ونجح محمد على فى مسلكه السياسى حين تم الاتفاق بين الدول الثلاث على تسليم حصن « كرابوزا » للقوات المصرية[٣] وصدرت الأوامر بالفعل إلى القائد الروسى المقيم يومئذ فى « سوده » حكمداراً « لكرابوزا » بإخلائها والرحيل عنها بعد تسليمها لقائد القوات المصرية . وذلك فى بداية عام ١٨٣١[٤] .

---

(١) *Le Règne de Mohamed Aly...*, vol. I, p. 395, Pezzoni à Ruckman 3 Decembre 1830.

(٢) G. Douin, *op.cit.*, pp. 309-310 (Annexe II), Réponse de Mimaut à Boghos Youssef, Alex. 13 Nov., 1830 : "The Possession of this Fort by the Allies will be in fact a guarantee".

(٣) *Ibid.*, pp. 317-318, Mimaut à Sebastiani, Alex. 10 Decembre 1830.

(٤) دفتر ٤٠ معية تركى ، مكاتبة ٦٠٨ ، من الجناب العالى إلى القائمقام الصدارة فى ٦ رمضان ١٢٤٦ (١٨ فبراير ١٨٣١) .

حال الجزيرة قبل تنفيذ معاهدة لندن ١٨٣٠ :

كان الاضطراب يسود أنحاء الجزيرة والفتن تفشى حياتها من أقصاها إلى أقصاها وكان القلق يملأ نفوس السكان والشعور بعدم الاستقرار يهزهم هزا . كان عليهم أن يحموا أنفسهم من خطرين عظيمين ، عليهم أن يحموا أنفسهم من عدوان الأتراك ثم من عدوان مواطنيهم القادرين من أهل اسفاكية. يدخرون لذلك كل ما كان لديهم من سلاح بغية الدفاع عن أنفسهم وليس أدل على تخوفهم يومئذ من تلك الوفود التى كانت تتسلل منهم لوذا إلى بلاد اليونان يصفون المسئولين ما هم فيه من سوء الحال وليستصرخونهم للنجدة ومن ذلك الوفد الذى قصد إلى « نوبلى » عندما بعث « كابود يستريا » بمذكرته إلى الحلفاء عام ١٨٢٩ يستعرض فيها أحوال الجزيرة ويحذر فيها من مصيرها ومصيرساموس إذا هما سلختا من كيان بلاداليونان . ولقد زودأول الأمرذلك الوفد المشار إليه عند عودته بأحد المواطنين من ذوى المكانة اليونانية يدعى Renieri « رينيرى » ليعمل على إصلاح ذات البين وتقريب وجهات النظر بين أهل الجزيرة بغية تجنيب الجزيرة شرور الحروب الأهلية وحوادث السطو المتكررة وليستطيع على ضوء مايرى تقديم تقرير مفصل لحكومة بلاده(١) .

وليس عجيباً أن تصل أحوال الجزيرة يومئذ إلى ماوصلت إليه من سوء وأن يعم ربوعها البؤس وتكثر فيها حوادث السطو والإغتيال ، فالقوات المرابطة بالجزيرة لاتكفى لضبط أمور الأمن وإقرار السلام فى ربوعها والقلق الذى يملأ نفوس الناس ويجعلهم حيرى لايدرون ماسوف يتخذ الحلفاء فى تحديد مصيرهم من قرار .

وكانت أكثر بقاع الجزيرة قلقاً وأشدها اضطراباً إقليم قندية ، وذلك لأن حاكمه يومئذ وهو سليمان باشا لم يكن يملك من الوسائل ما يمكنه من إطفاء نيران

(١) P.R.O., F.O., 78/189 (London) Copie, Note sur la Candie et Samos, 17/29 Decembre 1829, by count Capodistrias, enclosure in a letter of the 5th Feb. 1830 (No. 7).

الفتن والقضاء على مثيريها[١] وظاهر أن سليمان باشا لم يكن بعد هذا كله بالرجل البعيد النظر فى تصرفاته فهو حين يعتقل ستة من الزعماء اليونان من أهل الجزيرة ثم لا يلبث أن يتسرع فى إصدار الأمر بإعدامهم فى أول عام ١٨٣٠ يتيح بذلك لمواطنيه الأتراك أن يتمادوا فى الإساءة إلى المواطنين اليونانيين ، ويكون من نتائج ذلك أن تضطرب الأمور وتسود الفوضى فى إقليم قندية ، ومن مظاهر ذلك أن تنطلق عصابة من الأتراك قوامها خمسون ومائة رجل فتعبث فى القرى المجاورة وتسوق منها سبعين سبية من نساء اليونانيين ومائة رأس من الغنم[٢] وأن تقع مصادمات بين اليونانيين والأتراك من سكان الجزيرة بين ٢٤ مارس وأوائل أبريل فى نواحى « سوده » حين ينزل حوالى ثلثمائة من اليونانيين والأتراك من الجبال فى نواحى « سلين » Salines يقودهم أربعون فارساً للاستيلاء على قطيع من الغنم لبعض الخاصة من الأتراك . وكان من نتائج ذلك أن يخسر الفريقان عدداً من الضحايا علاوة على الجرحى ويزداد الاضطراب حين تتكرر حوادث الصدام والقتال بين المسلمين والمسيحيين ومنها الحادث الذى وقع فى ٢٨ أبريل عام ١٨٣٠ فى سهل « مسارا » Messara فيروح ضحيته عدد كبير من الفريقين .

ولولا وجود مصطفى باشا رئيس القوات المحاربة فى الجزيرة ولولا ما اتصف به الرجل من الحكمة والاعتدال والتروى لتبدل الحال غير الحال وساء المآل . فلقد ساد باقى أنحاء الجزيرة بين يديه هدوء نسبى ، ووضعت « رسمو » تحت إشرافه ، على أن ما كان بين يديه يومئذ من قوات لم يمكنه من مساعدة سليمان باشا[٣] .

---

(١) تبين ذلك من كتابه إلى الجناب العالى يطلب مدداً من العساكر والمهمات ليتمكن من إخماد الفتن التى أثارها بعض الذميين الذين يتظاهرون بالولاء والطاعة ثم يحاولون اقتحام قلعة « رسمو » (دفتر ٤٠ معية تركى ، وثيقة ٢١٣ ، من الجناب العالى إلى مصطفى باشا فى ١٩ من ربيع الأول عام ١٢٤٥ (٩ سبتمبر ١٨٢٩) .

(٢) Aff. Etr., Corr. Pol., Turquie, 253, La Canée, 5 Mars 1830 Gaspary au Ministre (Archives de Quai d'Orsay, Paris).

(٣) Aff. Etr., Corr. Pol., Turquie, 253, La Canée, 3 Avril 1830 Gaspary au Ministre (Paris.)

معاهدة لندن وصدى أخبارها فى الجزيرة :

عندما أقرت الدول المتحالفة الثلاث بقاء الجزيرة تحت لواء العثمانيين ،بادرت بإرسال مبعوثها الفرنسى « بيرونيـل » Peyronnel إليها ليبلغ من فيها من الباشوات وربابنة السفن بما اتفقت عليه تلك الدول فى ٣ من فبراير ١٨٣٠[١] .

ولقد كان لهذا النبأ أبلغ الأثر فى نفس مصطفى باشا ، إذ كان يرى فيه حلاً لمشكلة الجزيرة التى بقيت معقدة بين يديه بعض الوقت وخـلاصاً لنفوس أهل الجزيرة من القلق الذى يزعجهم دهراً إلا أنه كان يرى أن توكيـد الأمن ونشر السلام وإعادة الاستقرار لن يتم إلا بتعزيز القوات المرابطة فى الجزيرة ، يستعين بها على حماية اليونان من عدوان الأتراك ، وإغارة الإسفاكيين الذين دأبوا على إثارة الشغب حتى بات أمرهم خطراً على حياة السكان .

وصدق تقرير الرجل فلم يلبث الإسفاكيون حتى تظاهروا معلنين استياءهم من بقاء الجزيرة تحت رعاية العثمانيين وأعلنوا ذلك فى التماس يحمل توقيع مائة وخمسين من رجالهم تقدموا به إلى الدول المتحالفة يلحون فى إعادة النظر فى تقرير مصير الجزيرة ولم يكن الحلفاء بغافلين عن احتمال وقوع هـذه المقاومة ، فبادروا بإرسال مبعوثين إلى الجزيرة أحدهما روسى والآخر فرنسى يحملان رسالة لتطييب خواطر اليونانيين وتطمينهم على مصيرهم وضمان حقوقهم . واتصلا بقنصل فرنسا فى الجزيرة وكان يدعى « جسبارى » Gaspary فهيأ لهما الاجتماع بعدد كبير من اليونانيين ومن بينهم فريق من أهل إسفاكيـة ، وهنالك نودى بإعلان الهدنة بين الأتراك واليونانيين إلا أن اليونانيين لم يطمئنوا لهـذا الإعلان بل رفضوا الموافقة على الهدنة إلى أن يصدر بذلك قرار من مجلسهم الذى كان ينعقد يومئذ فى « بالى » Balli وبعد مناقشات وجدال طويلين أصـدر المجلس قراره

(١) أنظر فى نصوص بروتوكول ٣ فبراير ١٨٣٠ فى
E. Driault & M. L'Heretier, Vol. I, pp. 462-465.

بقبول مبدأ الهدنة وذلك إلى أن يصله رد القسطنطينية على ملتمس الإسفا كيين فى انضمامهم إلى بلاد اليونان مؤكدين أنهم يؤثرون الفناء على البقاء تحت راية العثمانيين . واستمرت الاغتيالات والمذابح بين الفريقين على الرغم من الهدنة وعلى الرغم من التوصيات التى قام بها مبعوثو فرنسا وروسيا وانجلترا ومن يمثلهم فى الجزيرة . وظاهر من هذا كله أن هدوء الأحوال فى الجزيرة إنما كان يقتضى وجود بعض القوات التركية أو المصرية[1] .

فهناك الإسفا كيون مازالوا يصرون على الانضمام إلى اليونان ولا يظهرون استعداداً لقبول المفاوضة ، وهذا زعيم لهم يقال له « كناريس » Canaris يتحصن بقلعة « كرابوزا » ويرفض تسليمها على الرغم من توصيات الدول المتحالفة[2] التى باتت تطمئن الكريتيين على مصيرهم مؤكدة لهم بأنها تقدمت بمذكرة إلى الباب العالى فى أبريل ١٨٣٠ مظهرة فيها حرصها الشديد على أن يؤخذ فى الاعتبار ضمان رفاهية الكريتيين وجاعلة من نفسها قيما على هذا الضمان[3] . وقد كان لهذا الضمان أثره فى تمرد الكريتيين وظهر بوضوح فى ثورة مورنيس (١٨٣٣)[4] وليس من شك فى أن الكريتيين لم يكونوا قادرين على العصيان دون الاعتماد على تأييد الدول المتحالفة من ناحية وعلى المملكة اليونانية التى مالوا إليها ، واتخذوا من أرضها مثابة وأمناً .

إصرار العثمانيين على الاحتفاظ بكريت :

وليس عجيباً أن يصر العثمانيون على الاحتفاظ بالجزيرة فقد كانت قاعدتهم البحرية فى بحر إيجه ومن أهم النقط الاستراتيجية فى البحر المتوسط كله . كما أن

---

(١) Aff. Etr., Corr. Pol., Turquie, Gaspary au Ministre, Canée, 16 Juillet, 1830.

(٢) Driault & l'Hérétier, *Histoire Diplomatique de la Grèce*, vol. II, p. 39.

(٣) أنظر ماتقدم ص ٧٣ .

(٤) أنظر « فتنة مورنيس ١٨٣٣ » (ملحق ٤) .

غزوهم إياها قبل قرنين من السنين قد كلفهم كثيراً من البـذل والإنفاق ومن الوقت أيضاً ، ويكفى أن نذكر أن العثمانيين قد أنفقوا فى حصار هـذه الجزيرة خمسة وعشرين عاماً ، وفقـدوا خلال ذلك من الأنفس مائة ألف ، ثم أن لهم فى سكان الجزيرة من المسلمين مايقرب من النصف ويمتلـكون من أرضها ما يربو على النصف(١) .

محمد على يرقب سير الأمور فى الجزيرة ويتطلع إلى حكمها :

أرسل سليمان باشا محافظ الجزيرة إلى محمد على يستنجد به ويطلب مدداً من الجند والعتاد والزاد ليتمكن من صد غارات الثوار التى توالت على القرى المحيطة بقندية مما اضطر أهلها إلى الفرار فلاذ ألف منهم بالقلعـة للخلاص بأرواحهم ، وذاع الرعب فى النفوس واضطرب أمر الجند فى « قندية » و « خانية » وغيرها من قلاع الجزيرة . وجاءت نجدة قوامها عشرة آلاف من الجند وعبئت المدافع فى الحصون والقلاع استعداداً لقمع الثورة وإخماد الفتنة التى باتت أحداثها تنذر بإشعال النار فى كافة أنحاء الجزيرة ، وحتى بات من المحتمل أن يتحول ميـدان القتال من المورة إلى كريت ، ولم يكن مستبعداً — لو تم ذلك أن يفقد العثمانيون جزيرة كريت ، فقد كان الثوار فيها يعتمدون على تأييد الدول المتحالفة يبعثون إليها بشكواهم وينتظرون منها العون والمظاهرة(٢) .

وفى غضون هذه الأحداث يتطلع محمد على إلى حكم الجزيرة ، فينتهز الفرصة ليـكتب إلى الجناب العالى ، شارحاً أحوال الجزيرة واضطراب أمورها ، ومبدياً للباب العالى خطورة الأمر ومغبة عواقبه مصوباً آراء محافظها سليمان باشا من حيث

---

(١) Driault & l'Hérétier, vol. II, pp. 35-37.

(٢) دفتر ٤٠ معيه تركى ، وثيقة ٣٩٣ من الجناب العالى إلى القبو كتخدا ، محرم ١٢٤٦ (٢٩ يونية ١٨٣٠) .

الحاجة الملحة إلى توفير الجند والعتاد فى كافة أنحاء الجزيرة المترامية الأطراف ، ومبدياً للسلطان مخاوفه من الإبطاء فى تدارك الأمر فى الجزيرة خشية تدخل الدول الأوربية المتحالفة بحجة تهدئة الأحوال وبذلك يتحول الحال ويسوء المآل ويفقد الباب العالى جزيرة كريت ثم يختتم رسالته برجاء الباب العالى فى أن يعهد إليه بإدارة الجزيرة لقربها من مصر من ناحية ولثقته بإمكان السيطرة عليها وحمايتها والاحتفاظ بها حقاً خالصاً للسلطان من ناحية أخرى[١] .

ولم يلبث السلطان حتى عهد إلى محمد على بحكم الجزيرة والسيطرة على إدارتها[٢] وهكذا آلت كريت إلى محمد على بالفرمان السلطانى الذى مر ذكره مقابل ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ قرشاً يقدمها إلى السلطان فى كل عام[٣] .

---

(١) دفتر ٤٠ معية تركى ، وثيقة ٤٠٥ ، من الجناب العالى إلى الباب العالى ، ١٠ صفر ١٢٤٦ (٣١ يوليو ١٨٣٠) ، أنظر نص الوثيقة فى ملحق (١)
(وظاهر من هذا كله أن الباب العالى لم يسلم زمام الجزيرة إلى محمد على مكافأة له على خدماته وحسب ؛ بل فعل ذلك مضطراً لأنه يخشى أن يفقدها . فلم يكد يتلقى عرض محمد على حتى قبله وكان محمد على ماهراً وكان عرضه مغرياً حين بين للباب أن الجزيرة واقعة فى أحشاء بلاد اليونان ، وأن الإبقاء عليها فى حوزة السلطان قد يحولها إلى طعم ربما يمكن السلطان من إرجاعها إلى حوزته) .

(٢) فرمان الخميس ٢٠ ربيع الأول ١٢٤٦ (٨ سبتمبر ١٨٣٠) وفيه يقرر السلطان عهده إلى محمد على بحكم كريت ابتداء من ٢٧ صفر ١٢٤٦ (١٧ أغسطس ١٨٣٠) .
Le Règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes, vol. I, pp. 384-385.

(٣) A. Softazadé, p. 39.

الفصل السادس

أيام الحكم المصرى فى كريت (١٨٣٠ — ١٨٤٠)

من كل ما تقدم يتضح لنا أن اتصال محمد على واضطلاعه بشئون الجزيرة لم يبدأ بالفرمان السلطانى المشار إليه ، وإنما يرجع ذلك إلى عام ١٨٢١ عند انشغال السلطان فى حرب استقلال اليونان يوم خاف السلطان على مصير الجزيرة فلجأ إلى محمد على يستعين به فعهد إليه بالنظر فى شئون كريت وقبرص . وتجنيبهما من الوقوع فى أيدى اليونانيين(١) ومنذ ذلك الوقت بدأ محمد على يتطلع إلى حكم الجزيرة ، ويبدى رأيه فى شئون إدارتها ، ولا أدل على ذلك من أن يبعث بمن اختاره محافظاً على الجزيرة وهو من عرف بإسم سليمان باشا — إلى مصر للتلمذة على محمد على وتلقى نصائحه وإرشاداته فيما ينبغى أن يتبع فى حكم الجزيرة فيفعل ممهداً إلى تحقيق أغراضه بالكتابة إلى مصطفى بك قائد القوات المصرية بالجزيرة موصياً إياه بضرورة التعاون مع سليمان باشا والى الجزيرة الجديد حتى يتمكن من أداء واجبه(٢) .

وظلت الجزيرة مع ذلك على ما كانت عليه فى شأن نظامها الداخلى الذى وضعه لها العثمانيون بحيث ظل حكمها موزعاً بين سلطان باشوات ثلاثة : مقرأحدهم « قنديه » وهو عثمان باشا ، ومقر الثانى «خانيه» وهو لطف الله باشا ، ومقر الثالث « رسمو » وهو محمد سهراب باشا(٣) .

وواضح من رسائله إلى الباشوات الثلاثة مقدار تدخله فى شئون الجزيرة .

---

(١) Dodwell, *The Founder of Modern Egypt*, p. 242.

(٢) أنظر ماتقدم ص ٦٣ — ٦٤

(٣) أنظر ماتقدم ص ٤٢ .

ولا أدل على ذلك من أنه يكتب إلى البـاب العالى ، يكتب إليه ناصحاً إياه بجعل لطف الله باشا مكان عثمان باشا فى محافظة «قنديه» وحاكما عاماً فى الجزيرة عماداً على ماتوسمه فى الأول من الفطنة وحدة الذكاء وما تبين له فى خلق الثانى من تراخ وإهمال .

هذا وتشير الرسائل التى بعث بها محمد على إلى المحافظين والولاة فى الجزيرة إلى مقدار ما كان يتمتع به الرجل من قوة ونفوذ وسلطان على حكام الجزيرة فهو بهذا وغير هذا مطلع على أحوال الجزيرة جملة وتفصيلاً . وهو يشعر بأنه الوحيد بين عمال السلطان وولاته — بقدرته على التدخل فى شئون الجزيرة . وليس أدل على ذلك من يبعث فى نهاية ١٨٢٨ بأمر يقضى بعزل «أمين أفندى» نائب « رسمو » بعد الذى تبين من اختـلاس هذا الأخير جزءاً من إيرادات الحـكومة والتوصية بتعيين بديلاً عنه(١) وحين يقع الخلاف بين سليمان باشا الوالى الجديد ومصطفى بك قائد القوات المصرية فى الجزيرة يلجأ كل منهما إلى محمد على دون غيره فى التحكيم والنظر فى ما كان بينهما من خلاف فيعمل بحكمته و بعد نظره على حسم الخلاف بين الرجلين(٢) .

وفى ضوء ماقدمنا من وصف أحوال الجزيرة وسوئها نستطيع أن نرى مهمة محمد على يوم آل إليه حكم الجزيرة وإدارتها لم تـكن سهلة ولا هينة . فسكان الجزيرة قد كانوا مزيجاً مختلطاً من اليونانيين والأتراك لاتربطهم رابطة فى وحدة دينية أو جنسية ففيهم الأتراك واليونانيون ، وفيهم المسلمون والمسيحيون . كان أكثر من نصفهم يونانيين وكان الباقون من المسلمين . وكان التنافس بين الفريقين من سكان الجزيرة ينذر بوقوع الإضطراب بين الطائفتين(٣) .

---

(١) دفتر ٤٦ معية تركى ، وثيقة ٤١ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٤ جمادى الثانية (٢٢ ديسمبر ١٨٢٨) .

(٢) دفتر ٤٠ معيه تركى ، وثيقة ٢٠٢ ، من الجناب العالى إلى القبو كتخدا فى ١٥ صفر ١٢٤٥ (١٦ من أغسطس ١٨٢٩) .

(٣) Dodwell, p. 242.

موقف أهل الجزيرة إزاء الحكم الجديد :

لم يسعد أهل الجزيرة بالحكم الجديد . فالمسيحيون منهم وكانوا من أشد الناس كرهاً للترك وطمعاً فى الخلاص منهم بعد الذى لقوا على أيديهم من الظلم والعسف وبعد الذى بذلوا من صراع وجهاد لم يروا فى العهد الجديد غير استبدال حاكم غريب بحاكم غريب ، يجيئهم اليوم من الاسكندرية ، بعد أن كان يجيئهم بالأمس من القسطنطينية . ولم يروا أن حالهم قد تحسنت إلا بقدر يسير .

فأما الأتراك الكريتيون منذ نزول المصريين فى الجزيرة يضيقون بهم أشد الضيق ويضمرون لهم الكراهية والبغضاء أكثر مما يبدون ، ويرون فى وجودهم ما يقيد حريتهم فى العبث بالنظام والإنطلاق إلى إشباع شهواتهم من أرزاق الجزيرة ، وغلّ أيديهم عن إيذاء المسيحيين ، بعد أن كانوا بحكم السيادة العثمانية يرون أنفسهم أصحاب اليد العليا ويرون أن اليد العليا فى الجزيرة أصبحت لقوة جديدة ليس مصدرها الباب العالى .

وكذلك بات هواة السلطان والطامعون من أهل الجزيرة يرون أن أسوأ ما فى العهد الجديد أن يصبح زمام الأمور فيها بيد حازم أيد قادر على أن يفرض عليهم من النظم والقوانين ماينبغى أن يخضع له سكان الجزيرة كافة ، لاتفريق بين أحد منهم ولا امتياز لطائفة على أخرى .

وهو بعد ذلك كله قادر على أن يفرض عليهم من النظم والقوانين ما ينبغى أن يخضع له سائر سكان الجزيرة كافة ، لاتفريق بين أحد منهم ولا امتياز لطائفة على أخرى . وهو بعد ذلك كله قادر على أن يأخذ الجميع بالصارم العنيف — إذا اقتضى الأمر ذلك .

ومن ذلك نرى آمال الفريقين من أهل الجزيرة قد خابت بين يدى العهد الجديد فقد كان كلاهما طامعاً فى الظفر بصاحبه سعاء فى الخلاص منه . فرأى

كلاهما آخر الأمر أن الصراع بينهما قد انتهى بهم إلى الخضوع إلى سلطان جديد لم يكن به عهد من قبل بعد أن كان المسيحيون يهدفون بصراعهم المتصل إلى الخلاص من العثمانيين والانضمام إلى اليونانيين . كما كان الأتراك يهدفون بعبثهم المتصل إلى استعادة باطلهم فى استغلال أرزاق الجزيرة[١] ولشد ماساءهم أن يقلم الحكم الجديد أظفارهم فيجردهم من السلاح . وإذا كانوا لم يجرؤا على الجهر بذلك فإنهم قد أسروا به إلى بعض من وثقوا بهم من العثمانيين حين أبلغوهم بأسفهم من خيبة آمالهم التى كانت تهدف إلى التمكين للسلطان العثمانى[٢] .

قيمة الجزيرة عند محمد على :

فى الحق أن محمد على قد كان مدركاً لقيمة الجزيرة ، طامعاً فى السيطرة عليها ، فسعى لذلك سعيه وهو مؤمن و بذل من الجهد والمال كل ما استطاع حتى صدر له أمر السلطان العثمانى بما أراد .رأى فى الجزيرة خيرمحطة بحرية تقع فى شمال الأسكندرية[٣] يتوافر فيها خير الموانىء وأصلحها عند ثغر « سودة » وكان يومئذ حريصاً كل الحرص على تنمية قوته البحرية والعمل على رفع لوائها[٤] وفى ذلك ما يدل على وعى الرجل السياسى فى ذلك العهد ، فهو يرى أن كلاً من فرنسا وانجلترا تمدان أطماعهما إلى الجزيرة تود كل منهما أن تسيطر عليها لتتخذ منها مرقباً إلى أمور الشرق ، فأما أطماع فرنسا فقد ظهرت بوضوح أثناء الحرب المصرية التركية الأولى (١٨٣١ — ١٨٣٢) حين كتب قنصل فرنسا

---

(١) Pashley, *Travels in Crete*, Vol. I, p. XXIII ; Carton de la Canée Fabreguette au Ministre, La Canée, 10 Avril 1832 : "Les Egyptiens sont donc trouvés avoir deux antipathies à redouter".

(٢) Aff. Etr., Corr. Pol. Annexe B à la dépêche No. 404, La Canée, 6 Janver, 1832 par Fabreguette.

(٣) Dodwell, p. 242.

(٤) Aff. Etr., Annexe A à la dépêche du 25 Août 1832, Quelques Details sur une Tournée Faite dans l'Ile de Crète en Mai 1832 par Fabreguette, consul de France.

فى « خانيــة » إلى حكومته يشير إلى أهمية الجزيرة بالنسبة إلى مصالح بلاده ، ويشير إلى إمكانياتها الواسعة وما تتيحه من إمداد مليون من السكان بحاجتهم من الطعام ، مع العلم بأن عدد سكانها لم يكن يومئــذ يتجاوز مائة ألف نسمة (١٠٠٫٠٠٠) ، متمنياً يومئذ أن تصبح الجزيرة مستعمرة فرنسية مقدراً لنصف مليون فرنسى أن يستوطنوها فى زمن يقل عن عشرة أعـوام[1] ، ومغرياً حكومته بأهمية الجزيرة الاقتصادية من حيث توافر زيوتها[2] .

وظاهر مما تقدم أن محمد على ، منذ أن مد بصره وقدر ما يمكن أن يكون لها من أثر فى تدعيم قوته البحرية ، لم يفتر عن مواصـلة السعى بكافة الوسائل فى الوصول إليها وقد كلفه من البذل بين اهداء السلطان والانفاق على جيش الاحتلال ماهز الخزانة المصرية وأرهقها[3] والمطلع على الوثائق والتقارير الخاصة بالإيرادات والمصروفات فى ذلك العهد يستطيع أن يتبين فى وضوح أن احتـلال محمد على للجزيرة وحكمها قد كان عبئاً ثقيـلاً على الخزانة المصرية ، ففى الوقت الذى بلغ مجموع ما أنفق على الجزيرة فى عام واحد أحد عشر مليوناً من الجنيهات لم تجاوز إيراداتها أربعة ملايين[4] .

ولم يفت السلطان العثمانى فى الفرمان الذى وجهه إلى محمد على حين عهـد

---

(١) M. Sabry, *L'Empire Egyptien sous Mohamed Aly*, pp. 397-398.

(٢) Aff. Etr., Corr. Pol., Annexe, B. La Canée, 6 Janvier 1832.

(٣) *Le Règne de Mohamed Aly*..., vol. I, p. 381 — Pezzoni à Ribeaupierre, Buyukdéré, 14 Octobre, 1830.

(٤) أنظر تقرير « فابرجيت » عن الميزانية فى كريت عام ١٨٣٢ حيث بلغ العجز فيها أربعة ملايين من الجنيهات – ثم أنظر كذلك تقريركامبل عن الميزانية فيما يلى تحت عنوان « الحالة الاقتصادية فى الجزيرة — الفصل السادس » . ويؤيد هــذه الحقيقة ما جاء فى كتاب وجهه دو هامل قنصل روسيا العام فى الاسكندرية إلى روكمان فى ١٠ يونيو ١٨٣٤ .

Le Règne de Mohamed Aly..., vol. II, 1ère Partie, p. 102, Duhamel à Ruckman.

« جزيرة كريت تكلف محمد على نفقات تربو على ايراداتها ومع ذلك فهو لايفرط فيها لأنها ضرورية لبحريته ففى ثغر « سوده » وحده يستطيع أن يجد ملاذاً لأسطوله مجتمعاً إذا دعته الحاجة إلى ذلك » .

إليه بحكم الجزيرة أن يستوثق لنفسه فيوليه الثقة بقدرته دون غيره على إخماد ثورتها وتهدئة أحوالها وأخذ أهلها بما يرى من وسائل حتى يلزمهم الخضوع ويفرض عليهم الاعتراف بالطاعة والولاء للباب العالى ثم يعود فيوصيه بأن يكفل لهم — إن أطاعوا — حياة مطمئنة وأن يحافظ على حصون الجزيرة وقلاعها وإبلاغ القائمين على شئونها والمرابطين فيها رغبة السلطان والدول المتحالفة فى العمل على نشر الأمن ورفع راية السلام فى ربوع الجزيرة وتوفير المأوى والاستقرار لأهلها بإقامة ما يهدم من دورهم وممتلكاتهم حتى ينعموا بحياة أفضل تقيهم آلام الماضى ومحنه(١) .

محمد على يبدأ أعماله فى الجزيرة :

ويبدأ محمد على فى العمل على تنظيم حكمه فى الجزيرة فيرى أموراً ثلاثة لا مناص من تنفيذها الأول زيادة قواته العسكرية فيها بحيث لا تصبح مسرحاً لمختلف الفتن والاضطرابات التى تثير العواصف . فيندس فى غمارها النهازون لاجئين إلى الدول المتحالفة (انجلترا وفرنسا وروسيا) لتدخل من جديد فى أمور الجزيرة .

والثانى تقوية حصون الجزيرة وتعزيز حامياتها وتوفير السلاح بأيدى حماتها.

والثالث تجريد كافة سكان الجزيرة مسيحيين ومسلمين مما كان لديهم من أسلحة(٢) .

---

(١) ٢٠ ربيع الأول ١٢٤٦ ، يوافق ٨ سبتمبر ١٨٣٠ .
Ibid., vol. I, Gazette Turco-Arabe ; Autre Firman, pp. 385-387.

(٢) دفتر ٤٠ معية تركى مكاتبة ٤٠٥ ، من الجناب العالى إلى الباب العالى بتاريخ ١٠ صفر ١٢٤٦ (٣١ يولية ١٨٣٠) .
أنظر نص الوثيقة فى ملحق (١)

وهكذا فكر محمد على وقدر ، على أنه رأى قبل تنفيذ ما أراد أن يمهد لذلك بالدعاية للعهد الجديد آملاً أن يهدىء من روع الكريتيين و يملأ قلوبهم ثقة به ، فأعلن فى أول بيان له أن اختار لهم واحداً من أعظم ضباطه وأكفأهم وأكثرهم إلماماً بالنظم الأوربية ليقوم على تنظيم شئونها ورعايتها ، وأكد لهم ثقته فى كفاية هذا الرجل وهو يومئذ عثمان نور الدين بك ، وأمله فى تحقيق اتجاهاته الأبوية فى حكم الجزيرة ، وتنفيذ مشروعاته التى تعود عليهم بالخير. ثم أخذ يؤمنهم على أرواحهم وأرزاقهم وأمور معاشهم ، مبيناً لهم أن انتشار الأمن فى ربوع الجزيرة سوف يتيح لهم بين يديه ضمان تفرغهم الكامل للعمل النافع ثم أخذ يطمئنهم على السبيل التى سيسلكها فى الحكم ، عندما بين لهم أنه قد أوصى عثمان بك بتنظيم أحوال الجزيرة ورعاية شئون أهلها : أحدهما فى «خانية» والثانى فى «قندية» وسيراعى فى تشكيلهما اختيار البارزين الممتازين من ذوى الخبرة وأصحاب التجارب الواسعة من المسلمين والمسيحيين على السواء . وسوف يخصص لكل منهم مرتب يناسب كفاءته وقدرته ومؤهلاته . ثم عاد فحدد اختصاص المجلسين من حيث مناقشة مختلف الشئون والحكم فى كافة القضايا والدعاوى — حاشا ما اتصل منهما بالأمور الشرعية لأن ذلك سيصبح من اختصاص المحاكم الشرعية .

و يضطلع المجلسان كذلك بالعمل على نشر الأمن العام وتوطيد أركانه والنظر المتصل فى تحسين أحوال الناس والعمل على رفاهية الجزيرة وتقدم أهلها(١).

و يبدأ محمد على بتنفيذ خطواته فيوفد بعثته العسكرية إلى الجزيرة وكان قوامها يومئذ خمس عشرة سفينة من سفائن الحرب تحمل من المشاة أربعة آلاف جندى تحت إمرة عثمان بك نور الدين الذى عهد إليه بتهدئة الأحوال فى الجزيرة

---

(١) *Le Règne de Mohamed Aly...*, vol. I, pp. 389-392, Proclamation de Mohamed Aly Pacha aux habitants de l'Ile de Candie, le 27 de Rebi El-Ewel 1246 (14 September 1830).

والمشاركة فى تنظيم شئونها وبعث معه بأمله العريض فى مستقبل الجزيرة بين يديه على أن احتلالها قد كلف الخزانة المصرية أموالاً طائلة ، إذ لم يلبث محمد على بعد إرسال بعثته العسكرية الأولى حتى اضطر إلى أن يتبعها بأخرى وذلك فى نوفمبر ١٨٣٠ فبلغ مجموع ما أرسل من جنوده لإخضاع الجزيرة واحتلالها حوالى ٦٧٠٠ مقاتل(١) .

محمد على يبدأ تنفيذ النظم الإدارية فى الجزيرة :

يبدأ محمد على بتنظيم حكمه فى الجزيرة فيجعل من مصطفى باشا قائد قواته العسكرية فيها محافظاً لها مقدراً له جهوده فى سنوات الثورة وقدرته على إخمادها ثم حكمته وبعد نظره فى معالجة الأمور ثم كتب إليه والى قضاة « خانية » و « رتمو » و « قندية » إلى مفتى الجزيرة وسائر عمالها يوصيهم بمعاونة رسوله عثمان بك نور الدين وتيسير مهمته فى نشر الأمن وتنظيم أمور الحكم الجديد وإنشاء المجلسين السالفى الذكر فى « خانية » و « قندية » وتعيين أعضائهما من وجوه المسلمين والمسيحيين على السواء ومراقبة أعمالهم ومواظبتهم على الحضور(٢).

ولا يفوته يومئذ أن يبعث بمرسوم إلى مطران الروم بالجزيرة منبئاً إياه بأن الباب العالى قد عهد إليه بحكم الجزيرة ، وأن فرمان العهد مرسل إليه مع قائد قواته العسكرية عثمان بك نور الدين ، ويطلب إليه قراءته على سكان الجزيرة لينبئهم بعفوه الشامل عن اليونانيين من أهل الجزيرة ، وغفرانه لهم وما اقترفوا من المعاصى والآثام . وأنه ما نحهم الآمان ماركنوا إلى ما ينشد لهم من هدوء ، وسارعوا إلى تسليم ما بأيديهم من سلاح وبادروا إلى الاعتراف بسلطانه والسير

(١) *Ibid.*, vol. I, p. 393, Pezzoni à Ruckman, 10 Decembre, 1830.

(٢) دفتر ٤٠ معية تركى ، مكاتبة ٤٥٩ ، مرسوم خديو إلى مسلمى كريت ، ٢٧ ربيع الأول ١٢٤٦ (١٥ سبتمبر ١٨٣٠) .

تحت رايته ليسود الرخاء ويعم الخير ؛ ويحذرهم آخر الأمر من اتباع أهواء المفسدين منهم من أهل الغواية والضلالة[١] .

ولم يفت محمد على كذلك وهو يفكر فى تنظيم حكم الجزيرة أن يبعث إلى وجيه من أعيانها وسليل أحد أسراتها العريقة العارفين بشئون الجزيرة وتقاليدها وعاداتها ، يدعى « سوخته أوغلى » ليوصيه باستقبال رسوله عثمان بك نور الدين وإرشاده إلى أصوب السبل فى الاتصال بأهل الجزيرة على ضوء ما يعرف من أهوائهم وعاداتهم وتقاليدهم وميولهم ، مؤكداً له أنه سوف يجد من الرجل استجابة لفهم الروح المعنوية لأهل الجزيرة نظراً لخبرته الطويلة بالتقاليد الأوربية وبخاصة بلاد اليونان ومؤكداً آخر الأمر رغبته الصادقة فى توفير أسباب الراحة والطمأنينة لسكان الجزيرة الذين ينزعون إلى حياة أفضل[٢] .

وحين يصل عثمان بك إلى الجزيرة على رأس الحملة المصرية يثور القلق فى نفوس اليونانيين من سكانها فلا يلبث عثمان بك أن يعمد إلى بعث الطمأنينة فى قلوبهم[٣] على أن وصول هذه البعثة لم يثر القلق فى نفوس اليونانيين وحدهم بل أثار كذلك حفيظة الترك على أن تسليم حصن « كرابوزا » قد أكد لليونانيين بأن الجزيرة لم تعد جزءاً من المملكة اليونانية الحديثة[٤].

تعاون القائد والمحافظ على ضبط الأمور فى الجزيرة :

لازم التوفيق محافظ الجزيرة مصطفى باشا وقائد القوات فيها عثمان بك نور الدين حين وقع اختيارهما على مكان يتوسط أقاليم الجزيرة واتخذا منه مركزاً

(١) دفتر ٤٠ معية تركى ، مكاتبة ٤٥٨ ، مرسوم خديو إلى مطران الروم ، ٢٧ ربيع الأول ١٢٤٦ (١٥ سبتمبر ١٨٣٠) .

(٢) دفتر ٤٠ معيه تركى مكاتبة ٤٥٧ ، من الجناب العالى إلى « سوخته أوغلى » بكريت فى ٢٧ ربيع أول ١٢٤٦ (٥ سبتمبر ١٨٣٠) .

(٣) Aff. Etr., Corr. Cons., Gaspary au Ministre, 14 Octobre 1830.

(٤) Aff. Etr., Corr. Cons., Rapport de Fabreguette au ministre, 3 Septembre, 1831.

لبسط النفوذ وتنظيم الحكم والإدارة اختارا قرية يقال لها « نيروكورى » Nerocouri من أعمال إقليم « أبوكرونا » Apokorona فهو على بعد قريب من إسفاكية الذى اشتهر أهله بكثرة الفتن والعصيان ، ومنه تستطيع القوات أن تطفىء نار الفتن إن هى هبت وتكسر شوكة العصيان إن هم ثاروا فى سهولة ويسر . وهو من ناحية أخرى ضمن إقليم يضم أكثر الأسر المسيحية من سكان الجزيرة بعد إقليم «خانية » ثم هو ثالث أقاليم الجزيرة خانية وكيسامو من حيث عدد السكان بصفة عامة(١) .

هنالك عسكرت القوات المصرية وصدق ما قدره القائدان فهى لم تكد تستقر فى ثكناتها حتى خضعت القرى المحاربة وتقدم رسلها يعلنون ولاءهم للحاكم الجديد — ولما تم لهما ما أرادا انتقلا بالقوات إلى مركز آخر يقال له « كمبوس » Campous وهى قرية على بعد فرسخين من « نيروكورى » Nerocouri فلما بلغاه عمت الفرحة سكان الإقليم وركبوا أسطح المساكن لمشاهدة القوات وإعلان الفرح بقدومها وتعالت هتافات الثناء معبرة عن ذلك . ولم يكن مصدر ذلك خوف أو نفاق وإنما كان فرحاً صادقاً وتعبيراً عن مشاعر أولئك المسلمين من الزراع الذين باتوا يتطلعون إلى من يخلصهم مما غشيهم من الظلم والفوضى ومن الجوع المهلك .

ولم تكد القوات تستقر فى معسكرها هذا حتى بادر سكان القرى المحيطة بإعلان خضوعهم وولائهم للحكم الجديد . واطمأن اليونانيون من أهل القرى

---

(١) فى عام ١٨٣٤ كان عدد الأسر المسيحية فى « أبوكرونا » ١٥٦٢ أسرة بينما عدد الأسر المسلمة ١٩٧ أسرة ، على حين كان عدد الأسر المسيحية فى « خانية » ١٦٥٥ أسرة بينما عدد الأسر المسلمة ٢٥٢ أسرة .

Pashley, *Travels in Crete*, vol. II, p. 325, Summary of the Population of Crete in 1834.

أنظر الملحق (٢) ويشمل على ترجمة لبيان كشافة لسكان فى الجزيرة عام ١٨٣٤ موزعة على قرى الجزيرة المختلفة .

بما جاء فى النشرات التى أصدرتها القيادة ؛ فأقبلت جموعهم تعلن الطاعة وتلقى بما لديها من سلاح هنالك أخذ القائدان بميدان تنظيم قرية « كاليف » Calives وكانت من قبل مسرحاً للحوادث المنكرة التى وقعت أيام الفتن الأخيرة .

موقف الأسفاكيين من الحكم الجديد :

اتخذت القوات المصرية فى قرية « فريه » Fré مركزاً لقيادتها وهى يومئذ أم القرى من إقليم « أبوكرونا » وكانت قد احتلت بعض أحراج أسفاكيا ، لم تكن حال أهلها يومئذ كحال أهل « أبو كرونا » فهم قد أعلنوا على إثر ذلك أنهم ليسوا وأهل « أبو قرونا » إزاء الحكم المصرى سواء ، فلئن كان فريق منهم قد استسلم فإن فريقاً آخر لايرضى بذلك وإنما يؤثر الهجرة على البقاء تحت لواء الحكم الجديد كما أن هنالك فريقاً يصر على البقاء ورفع راية العصيان فى وجه القوات المصرية سالكاً إلى العيش سبيلاً قوامه النهب والسلب والسطو .

ويعلن محافظ الجزيرة استياءه من هذا السلوك ويتحدث به إلى ممثلى الدول فى الجزيرة ، مبيناً لهم أن الجناب العالى لم يفترض من أعماله فى الجزيرة وما بذل فى إجرائها من تضحيات سوى إخماد الفتن ورفع الظلم ومحو الفوضى وتهيئة الجزيرة لاستقبال حياة كريمة يعيش الناس فيها تحت راية الأمن والطمأنينة ويحصلون على أرزاقهم بالطرق المشروعة ، وأنه وزميله القائد قد أكدا مخلصين — فيما أعلنا على أهل الجزيرة أن الحكم الجديد قد كفل للناس عدلاً وأمناً ورخاء ، وأنه لم يبق فى الجو مايمكن أن يثير فى نفوسهم خوفاً أو قلقاً(١) .

وليس من شك فى أن محافظا الجزيرة قد كان على حق حين أعلن سخطه من سلوك الأسفاكيين(٢) وحين عبر عن استيائه لممثلى الدول على نحو ما قدمنا فلقد

(١) P.R.O., F.O. (Public Record Office, Foreign Office) 78/191, Le Courier de Smyrne., Journal Politique Commercial et Littéraire, Dimanche 23 Novembre 1830, vol. II, No. 139, Turquie (London) (Enclosure No. 4 in Gordon's letter No. 104).

(٢) أنظر ما كتب عن الأسفاكيين فى ملحق ٣

كان لسلوك الأسفاكيين أثر واضح فى إثارة النفوس وبلبلة الفكر وآية ذلك أن ينزع فريق منهم إلى أعمال السلب والنهب فى أرزاق ما نزلوا بها وهاجروا إليها من أقاليم الجزيرة وكان حقاً على سكان تلك الأقاليم أن يلجأوا إلى استخدام السلاح للدفاع عن أرواحهم والزود عن أرزاقهم وبات أولئك المساكين من مسيحيي الجزيرة بين حالين كلتاهما مر : فإما الوقوع بين أيدى أولئك الغزاة من عصابات اللصوص النهازين من أبناء دينهم وإما الإلتجاء إلى العيش فى ظل الترك وهم أعداؤهم فى الدين والدنيا .

هنالك وفق الله عثمان بك قائد القوات المصرية ، فمكنه بما توفر لديه يومئذ من جند منظمة وبما ملأ قلبه من حب العدل والميل إلى الاعتدال فى كافة ما يصدر من تصرفات — دفعه إلى الفوز بخلق الهدوء فى الجزء الغربى من الجزيرة وقد كان وكر الشر ، ومبعث الفتن وليس أدل على توفيق هذا القائد وفوزه من أنه استطاع أن ينتزع السلاح من أيدى الكثرة المطلقة من سكان أسفاكية[١] .

الأمور تستقر للحكم المصرى فى كريت :

لقد كان لوجود القوات المصرية الجديدة فى كريت كبير الأثر فى السيطرة على معظم أنحائها وإخضاع السكان لسلطان مصر — فى الحق أن قلة من سكانها لم يرضوا بذلك ، فآثروا الهجرة إلى بلاد المورة وبعض جزر الأرخبيل[٢] . على أنهم لم يلبثوا حتى ضاقوا بمهجرهم وفكروا الأوبة وإن كره أكثرهم الخضوع للحكم الجديد ، ولما عضهم الفقر وكربهم البؤس لجأوا إلى صاحب فرنسا لويس فيليب ، يلتمسون إليه أن يضم كريت إلى أملاكه ليتمكنوا من العيش فى ظله آمنين[٣] .

---

(١) Aff. Etr., Corr. Cons., Annexe à la dépêche du 14 Octobre 1831, Instructions pour Fabreguette, Paris, 13 Octobre 1831.

(٢) كان عدد المهاجرين يتراوح بين ١٠٠٠ و١٢٠٠ مهاجر .

(٣) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, Modon, 7 Juillet 1831.

هنالك بادر محافظ الجزيرة وزميله عثمان نور الدين بتوجيه نداء إلى المسيحيين من الجزيرة بأن يبقوا فى ديارهم مطمئنين لا يخشون عدواناً ولا يخافون ظلماً ولا هضماً ولا سلطان لتركى على مسيحى فلا إلزام ولا تسخير ولسوف تيسر لهم أمورهم بحيث يستطيعون استغلال أملاكهم والانتفاع بكافة أرزاقهم ، ولهم كافة الحرية فى ممارسة شعائرهم الدينية كما أن لهم العون على إعادة بناء ما تهدم من كنائسهم[1] .

وزيادة فى تطمين المسيحيين على أمور دينهم ودنياهم أعلن الرجلان أن الحكومة ستقوم بترميم ما تصدع من كنائسهم وأديرتهم[2] وإعفائهم من سداد ماتأخر عليهم من ضريبة الرأس لايلزمون بذلك إلا ابتداء من ١٨٣١[3] كما أعلنت الحكومة فتح أبواب الجزيرة أمام من هاجروا منها إذا رغبوا فى العودة إليها وتسهيل مهمتهم حتى يستقروا فى ديارهم[4] .

ونجح الرجلان فى قصدهما ، ووجدالعائدون فى صدق الدعوة ما ملأ نفوسهم أمناً ورضا ، وكانوا من قبل يخشون الانتقام والعذاب ، وباتوا يتذوقون طعم الحياة الكريمة ويستمتعون بالعدل بين أيدى الحكام المصريين الذين أمدوهم بالمال والحبوب والماشية حتى استقامت الحياة وبدت سهلة لا عسف فيها ولا ظلم ولا انتقام للمصريين مما وقع على أيدى المسيحيين من خسارة فى الأموال والأرواح أيام حرب كريت والمورة[5] .

وما هى إلا أشهر معدودات حتى لبست الجزيرة ثوباً يشف عن السكينة والهدوء واستقامة الأمور واحترام النظم والقوانين ، حتى بدت فى صورة لم تعرف لها

---

(١) A. Politis, *Les Rapports de la Grèce...*, Annexe I, pp. 505-506, 29 Jan. 1831.

(٢) *Ibid.*, p. 507, 16 Fevrier 1831.

(٣) *Ibid.*, p. 508, 2 Avril 1831.

(٤) *Ibid.*, pp. 508-509, 16 Mai 1831.

(٥) Aff. Etr., Corr. Cons., Annexe à la dépêche du 14 Octobre 1831, Instructions pour Fabreguette, Paris 13 Octobre 1831.

منذ أكثر من ستة قرون(١) وجدير بالذكر أن تلك الصورة قد تم إطارها ووضحت معالمها دون إضطرار إلى إراقة الدماء ، وذلك فضل ينبغى أن يذكر فى تاريخ السلوك الإنسانى ، فضل شهد به قنصل فرنسا فى خانية حينما أورد فى تقريره عن ذلك مشيراً إلى أن الأمر تم دون إطلاق عيار نارى(٢) .

حصافة محمد على و بعد نظره وتوفيقه فى تنظيم أمور الحكم فى الجزيرة :

لما فكر محمد على فى تكوين جهاز الشرطة لضبط أمور الجزيرة استبعد أهل الجزيرة من المسلمين والمسيحيين على السواء وآثر الحياد المطلق فجعل الجهاز من الألبانيين الذين عرف لهم — بحكم خبرته — اليقظة واحكام الرقابة ، واتباع النظام الدقيق ، وصح ما ارتآه محمد على ، فما أسرع ما استطاع جهاز الشرطة ، القضاء على العابثين من اللصوص وقطاع الطرق ، وتأمين حياة السكان كافة ، حتى اطمأنت الخواطر وصفت النفوس وساد الود بين الناس حتى بدت الجزيرة فى صورة لن يكون من المبالغة أن يوصف فيها عهد الحكم المصرى بأنه عصرها الذهبى(٣) .

وبدت الأمور تستقيم بين يدى محمد على فى الجزيرة ، حين نجح السلطان العثمانى محمود الثانى فى القضاء على فرق الانكشارية ، وبذلك فقد أتراك الجزيرة من كانوا يظاهرونهم على البغى والعدوان ولم يعد لهم من القوة ما يتيح لهم الحصول على تلك الامتيازات التى مكنت لهم فى العبث بحقوق الناس ونهب أرزاقهم

---

(١) Pashley, *Travels in Crete*, Vol. I, p. XXIV.

(٢) "Sans qu'un coup de fusil ait été tiré", Fabreguette au Ministre, la Canée, 3 Septembre 1831 (Rapport), Aff. Etr., Corr. Consulaire.

(٣) Charles Laroche, *La Crète Ancienne et Moderne*, p. 138 ; A. Politis, p. XX.

امتدح قنصل فرنسا « فابريجيت » فى خانيه هيئة البوليس فى الجزيرة بعد مضى خمس سنوات من إنشائها وهو بصدد الكلام عن موضوع محاولة اغتيال رئيس مجلس « قنديه » .

وضعف كذلك خطر الأغوات فى الجزيرة حتى بهت وأوشك على الزوال ، فهم وإن كانوا من طبقات الملاك الظاهرين فى الجزيرة فإن الحكم المصرى قد قلم أظفارهم وقص أجنحتهم ، وحدد أرزاقهم حتى لجأوا إلى الاستدانة لقاء فوائد فاحشة ، مما اضطرهم فى كثير من الأحيان إلى بيع ما كانوا يملكون من ضياع ليسددوا ديونهم . ولقد حاولوا بكافة الوسائل استدرار عطف الباشا فى كريت عن طريق الزلفى والملق بغيـة استرداد بعض ما كان لهم من امتيازات فباؤوا بالفشل . ولم ير الباشا خطراً فى كيدهم ، وإن علم مقدار ما تنطوى عليه نفوسهم من كره للعرب .

يضاف إلى كل ما قدمنا أن الجزيرة قد خلصت من عناصر الثوار الذين كانوا قد جاءوها من بلاد اليونان يشعلون فيها نار الفتنة والتمرد ، ويغرون أهلها بالمطالبة بالانضمام إلى بلاد اليونان كما عاد إليهـا أصحاب التجارة يستأنفون فيها أعمالهم فى هدوء واسـتقرار ورواج كان له أثره فى النهوض بأحـوال الجزيرة الاقتصادية .

وعلى الرغم من كل ماذكرنا من حسنات الحكم المصرى الذى بات الرعايا الفرنسيون يستمتعون فى ظله حياة آمنة مطمئنة ، لا يخشون عليها شيئاً من عبث الترك ومن إليهم من الانكشارية والأغوات حتى باتوا يتحدثون بالعهد الجديد ومزاياه ويتمنون له البقاء — نقول على الرغم من ذلك — فإن المسيحيين من أهل الجزيرة ما زالوا يكرهون البقاء تحت راية المسلمين يحرضهم على ذلك أهل « إسفا كيا » الذين تزعموا من قبل ثورة الجزيرة على حكم العثمانيين وفـكرة الانضمام إلى اليونان .

وهنا يقف التاريخ لحظة ليشهد أن الحكم المصرى قد بذل غاية الجهد فى إقامة العدل ونشر السلام وتعميم الرخاء حتى شهدت أوربا باستقامته وجمال مزاياه وحتى وصف لنا التاريخ عهده بعهد الذهب ولـكنه كان احتلالاً على كل حال . ولن

ينكر تاريخ الحرية العادل على أهل الجزيرة من اليونانيين أن يضيقوا بالحكم المصرى على عدله واستقامته وجمال مزاياه ، وأن يؤثروا عليه العيش مع آلهم وذويهم فى الجنس واللغة والدين من شعب اليونان . نعم إن تاريخ الحرية العادل لن ينكر ذلك على الرغم من سيادة الأمن وانتشار العدل واستقرار السلام فى كافة ربوع الجزيرة[١] .

ومن حصافة محمد على ، وبعد نظره ، وحسن تصويبه ، ومعرفته بأقدار الرجال ، أن يوفق فى اختيار أعوانه حين يضع ثقته فى إثنين من رجاله أولهما عثمان نور الدين بك[٢] وثانيهما مصطفى باشا . لم يتوان أحدهما أو كلاهما لحظة فى تنفيذ ما جاء بتصريح محمد على الخاص بإعادة تنظيم الجزيرة ، وتأمين حياة أهلها . وكان كلاهما كفؤاً لهذه الثقة ، خليقاً بما أسند إليه من منصب ، فعثمان نور الدين رجل عرف الحضارة الأوربية وتذوقها وأعجب بها ، وآمن بضرورة الاقتباس منها والانتفاع بها ، وكان يتكلم الفرنسية والإيطالية ويعرف فوق ذلك بعض اللغات الشرقية ، كان يتمتع بذاكرة قوية ، كما كان معتدلاً فى رأيه معتداً به ، قادراً على النظر فى الأمور بعقله قبل عاطفته ، كل أولئك أمور أعفته مما كان يتصف به الأتراك عادة من كبرياء وغطرسة وضيق أفق . عرف له المصريون قبل أن يجىء إلى كريت كل ذلك فأحبوه وأجلوه ، وعرفها له الترك فهابوه جميعاً حتى أولئك المحافظون الذين كانوا يتعلقون بأهداب القديم ، وخاصة حينما بدا لهم حدب محمد على عليه وثقته التامة فيه[٣] .

وثانى الرجلين كان مصطفى باشا محافظ الجزيرة ، وكان من أصل ألبانى

---

(١) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette à Mimaut, La Canée, 2 Janvier 1832.

(٢) أنظر المزيد فى وصفه فيما جاء فى :
Le Règne de Mohamed Aly, vol. I, pp. 387-389, Pezzoni à Ribeaupierre, Buyukderé 22 Oct. 1832.

(٣) *Le Règne de Mohamed Aly*, vol. I, pp. 388-399.

عرف بحزمه وإنسانيته وصفاته الحميدة التى ميزته عن نظرائه من حكام الأتراك الذين عرفوا بالقسوة والغطرسة . فصنعت له تربيته وثقافته وحسن استعداده خلقاً يكاد يجعله من الشخصيات النادرة بين الحكام والأتراك المستنيرين(١) .

كل هذه المزايا التى اجتمعت لمصطفى باشا قد يسرت له مهمته فى الجزيرة ، ولم تكن مهمته بالشيء الهين اليسير ، فالأتراك من سكان الجزيرة كانوا يستشعرون الهوان والمذلة فى بقائهم تحت راية المصريين واليونانيون يبذلون غاية الجهد فى الخلاص من البقاء تحت المسلمين الأتراك منهم والمصريين وينتظرون الفرصة المواتية(٢) وليس أدل على قيمة الرجل واستعداده وصدق تصويبه من أن يهابه الأتراك ويقدره اليونان من أهل الجزيرة(٣) ويزيد فى أعباء الرجل أن يبقى فى الجزيرة وحده ، فيحمل العبء كله حين يعود زميله نور الدين إلى مصر بعد إنجاز مهمته فيصلها فى ٢١ من ابريل عام ١٨٣١(٤) . ويبقى الرجل وحده مضطلعاً بأمور الحكم فى الجزيرة إلى عام ١٨٥٢ (أى الى بعد نهاية الحكم المصرى) فلا يغير شيئاً من سيرته ، بل يعمل دائماً على تحقيق رفاهية سكانها ، ويشهد له بذلك قناصل انجلترا وفرنسا وروسيا حين يقررون نجاحه فى مهمته ويرضون عنها ويصفونها بالاعتدال(٥) .

---

(١) Charles Laroche, pp. 136-138.

(٢) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette à Mimaut, 20 Janvier 1832.

(٣) Dodwell, p. 243 ; *Campbell's Report,* August 29, 1833.

(٤) *Le Règne de Mohamed Aly,* vol. I, p. 414, Lavison à Boutenief, Alexandrie, 23 April 1833.

أنظر المزيد فى وصفه فيما جاء : Scott, *Rambles in Egypt & Candia,* p. 264 ;

(٥) R. Cattaui., vol. II, 2ème Partie, p. 444, Duhamel à Nesselrode, Alex. 6 Sept. 1837 ; & *Ibid.,* vol. II, 2ème Partie, p. 324, Duhamel à Thoron, Alex. 19 Juin 1837.

ويشهد Ongley سفير انجلترا فى كريت بأن شخصية مصطفى باشا كانت محبوبة وقريبة إلى نفوس الكريتيين فى كتاب له R. Cattaui vol. II, 2ème Partie, pp. 187-188. بتاريخ ٢٤ أبريل ١٨٣٨ .

التنظيمات الادارية تحت الحكم المصرى

أسرع عثمان نور الدين بك ومصطفى باشا بتكوين المجلسين اللذين نص عليهما محمد على فى تصريحه الخاص بإعادة تنظيم الجزيرة فأنشىء أحدهما فى خانية والآخر فى قنديه ، وعين أحمد رأفت رئيساً لمجلس خانيه ، بينما عين « برهام زاده كاتب » رئيساً لمجلس قنديه(١) وكان كلاهما يختلف عن الآخر تمام الاختلاف : فالأخير من أعيان الأغوات ، من كبار الرجعيين وأصحاب الآراء العتيقة ، ينزع إلى إعادة نظام الامتيازات القديم . وقداستطاع بمكر الأغوات أن يصل إلى مصطفى باشا ، وأن تكون له عليه دالة ، فأما أحمد رأفت فقد كان واسع الأفق ، واسع الثقافة فى آن معاً(٢) . كما تميز بدماثة الخلق ، والحيدة ، والصبر والأناة والمثابرة ، والصدق فى القول والإخلاص فى العمل ، يظل نهاره عاكفاً عليه ، من مطلع الشمس إلى مغربها ، لايكاد ينصرف عن عمله إلا بمقدار ما يتناول غذاءه . كان قوى الأمل فى إصلاح أمور الجزيرة على النحو الذى أراده محمد على ، وهو بصفاته تلك ، وسلوكه هذا لم يكن كغيره من حكام الترك ، بل لم يكن يشبههم إلا فى زيه .

ولقد أثار بسلوكه هذا دهشة اليونانيين ، ذلك لأنهم لم يعرفوا قبله من كان ينظر فى أمورهم ويهتم بمعالجة مشاكلهم على هذا النحو المستقيم ، كما أثار حفيظة الترك ، وملأ قلوبهم غيظاً منه وحقداً عليه ، ولكنه لم يأبه لذلك وإنما مضى فى سبيله ، وسار على النهج القويم الذى ارتضاه وآمن بأنه الحق ، مرضياً بذلك

---

(١) Pashley, vol.I, p.XX وقد ظل أحمد رأفت رئيساً لمجلس خانية حتى مماته وتعيين حافظ أفندى ناظرمصلحة الحرير فى مصر خليفة له فى ٢٧ شوال ١٢٥١ (١٥فبراير ١٨٣٦) دفتر ديوان خديو تركى ٨١٤ ، مكاتبة ٣٧ ، من مجلس الملكية إلى مأمور ديوان الخديو .

(٢) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette à Mimaut, 20 Janvier 1832.

ضميره ، ومؤملا فى إقناع قبيله من الترك ، بأن مايفعله هو الحق وغيره باطل ، وراجياً أن يتبينوا أن هذا السلوك لن يحقق مصالح اليونان وحسب بل هو محقق مصالح الأتراك فى آن معاً(١) . ولقد أعجب قناصل الدول الأوربية وممثلوها فى الجزيرة بسلوك هذا الرجل وعلى رأسهم فابريجيت قنصل فرنسا ، ومنهم « طورن » Thoron ممثل روسيا الذى أثنى على الرجل وامتدح سلوكه وأشار إلى فطنته والمامه بمختلف أمور الجزيرة والقدرة على معالجتها حين نعاه قنصل بلاده فى مصر ١٨٣٦ . فذكر أن الجزيرة قدفقدت بوفاته حاكما من المصلحين(٢) .

وعلاوة على هذين المجلسين الكبيرين فى خانية وقنديه شكل مجلسان صغيران أحدهما فى رسمو والآخر فى أسفاكيه ، وكان كلاهما تابعين لمجلس خانية حيث كانت أحكامها تستأنف فيه ، ومن أجل ذلك أسماها قنصل بريطانيا فى مصر فى تقرير له « المحكمتين »(٣) وكان أعضاء هذه المجالس الثلاثة يعينون من الترك واليونانيين حاشا مجلس أسفاكيه ، الذى كان أعضاؤه جميعاً من اليونانيين ، ذلك لأن مقاطعة أسفاكية قدخلت يومئذ من المسلمين(٤) ولم يكن أعضاؤه يجاوزون الخمسة فأما مجلس « رسمو » فقد بلغ عدد أعضائه أحد عشر عضواً منهم سبعة من الترك وأربعة من اليونان ، على حين بلغ أعضاء مجلس خانيه ستة عشر عضواً منهم أحد عشر من الترك وخمسة من اليونان . فأما مجلس قنديه فقد كان أكثر المجالس

---

(١) Aff. Etr., Corr. Cons., Rapport de Fabreguette au Ministre, Le Canée 3 September, 1831.

(٢) *Le Règne de Mohamed Aly*, vol. II, 1ère Partie, p. 433. Thoron à Duhamel, La Canée, Le 5 Janvier 1836.

(٣) على أن هذه التسمية قد أطلقها « جسبارى » قنصل فرنسا السابق لفابريجيت على مجلسى خانية وقندية . ويرجع ذلك — أغلب الظن — إلى طبيعة هذه المجالس القضائية التى تغلب على اختصاصاتها الأخرى .

(Aff. Etr., Corr. Cons., Gaspary au ministre, 14 Octobre, 1830)

أنظر كذلك Colonel Campbell's notes on the island of Candia

كما وردت فى نهاية تقرير باورنج ص ١٨١ .

(٤) *Col. Campbell's notes in Bowring's Report*, p. 184.

أعضاء ، إذ بلغ عددهم ثلاثة وثلاثين منهم واحدوعشرون من الترك واثنا عشر من اليونان يعاونهم فريق من الكتبة(١) ويشارك فى عضوية مجالس كل من قنديه وخانيه ورسمو فريق من الموظفين فى كل مقاطعة كصاحب القضاء ، وصاحب المال ، وصاحب المكوس ، وغيرهم من موظفى كل مقاطعة(٢) .

وعلى الرغم من أن مجلس أسفاكية كان أصغر تلك المجالس جميعاً فإنه كان أقدمها . ولعل قلة أعضاء هذا المجلس قد أنست قنصل فرنسا إياه ، وأغفلته عن قيمته فى تقريره الشامل الذى قدمه لبلاده عن مجالس الجزيرة والأقاليم التى تتبع كل منها ، على أنه لم يلبث حتى عاد فاستدرك أمر ذلك فى تقرير تال(٣) .

توزيع الأقاليم والمقاطعات بين مجالس الجزيرة :

اختص مجلس قنديه بالنظر فى شئون المقاطعات التالية « سيتيا » Setia و « بيرابيترا» Yera Petra ، « وميرابللو » Mirabello ويتبعها «سبنيالونجا» Spina Longa و « لاشيد » Lassitia «وملفيزى» Malevisi و« تيمنوس » Temenos ، و « ريزو كاسترى » Rizo Castri أو أركاديا Arcadie وبيديا Pedia أو « شيرسونيز » Chersonese و « مونوفاكيو » Monofacio أو « بونيفاكيو » Bonifacio ، و « كينوريس » Kenouris و « بريوتيسا » Piriotissa واختص مجلس خانيه بـ «أبوكرونا» Apokorona أو Ampicorona

---

(١) *Ibid.*, p. 184, Table of Expenses of the Governt. in Candia

ويشير « باورنج » عند الكلام عن أعضاء المجالس إلى عدد يخالف بعض الشيء للعدد المذكور فى تقرير فابريجيت فهو لايجعل مجلس قنديه يتعدى الثلاثين عضواً بينما يصل عـدد أعضاء مجلس رسمو إلى اثنى عشر عضواً ، ومجلس خانيه إلى سبعة عشر عضواً .

Bowring's Report on Candia, p. 156.

(٢) *Bowring's Report on Candia*, pp. 155-156.

(٣) Aff. Etr., Cor. Cons., Rapport de Fabreguette à l'amiral Boussin, la Canée 20 Avril, 1832.

وتشير الوثيقة ٤٧ فى دفتر ٤٦ معيةتركى بتاريخ ١٨ جمادى ثانية ١٢٤٨ (١٢ ديسمبر ١٨٣٢) من الجناب العالى إلى مجلس أسفاكية « بالمجلس الرومى » .

و « خانيه » و « سـلينو » Selino و « كيسامو » Kissamos (وتتبعها Carabuse) و .Sphakia و ,Avassiliou Lambis أما مجلس « رسمو » فاختص بالنظر فى شئون أقاليم « ميلوبوطاموس » Milopotamos و «أمارى» Amari ورسمو[١] .

وتنقسم هذه الأقاليم المختلفة بدورها إلى قرى عديدة[٢] يقوم على تصريف الأمور المحلية فى كل منها رئيسان أحدهما مسيحى والآخر مسلم[٣] .

ولقد رأت السلطات المصرية المعنية بشئون الجزيرة ، منذ إنشاء تلك المجالس أن تستدعى بعض المهرة من الخبراء من الكريتيين لتستعين بهم على فهم محاضر تلك المجالس وتقاريرها ، وضبط دفاتر الحساب فيها ، فكان منهم واحد من قندية وآخر من خانيــة ويدعى محمد أغا وكان من أعضــاء مجلسها وناظراً للمقاطعات التى آلت إلى الحكومة ومن أكثر أهالى الجزيرة معرفة بأحوالها على أن يبقى بمصر عاماً يستبدل به غيره فى النظارة على المقاطعات المشار إليها مدة بقائه فى مصر[٤] . فأما العضو الثالث فكان من مدينة رسمو .

---

(١) Aff. Etr., Corr. Cons., Annexe B. a la dépêche de la Canée du 25 Août 1832.
يشير باورنج فى تقريره عن كريت إلى تقسيم يختلف بعض الشىء عما ذكره فابريجيت من حيث عدد الأقاليم الموجودة فى كل من المقاطعات الثلاث : فقندية فى تقريره تنقسم إلى أحـــد عشر إقليماً بدلا من عشر إقليماً ، ولعل ذلك يرجع إلى أنه يجعل من لاشيد إقليماً قائماً بذاته بدلا من إدماجه فى إقليم « ميرابيللو» ، ومقاطعة خانيه إلى خمسة أقاليم ، ورسمو إلى أربعة .

(٢) أنظر أسماء هذه القرى وتعداد سكان كل منها أثناء الحكم المصرى فى ملحق (٢) .

(٣) W. Scott, *Rambles in Egypt & Candia*, p. 344.

(٤) ٧٧٦ ديوان خـــديو تركى ، المكاتبة ٩٨ — ١٦ رجب ١٢٤٧ (١١ ديسمبر ١٨٣١) . وأشير عندئذ إلى أن يعهد بإدارة هذه الأراضى المحلولة (التى لاوارث لها) إلى عدة أشخاص بدلا من شخص واحـــد ، حتى يعين كل منهم بإدارة الجزء التابع له ويتفرغ له تفرغاً تاماً . وهكذا أحيلت مقاطعة ناحية أبقرونا إلى عهدة حيدر أغا ، ومقاطعتى « سلنه » و « كيسامو » إلى عهدة بحرى أغا ومقاطعة أسفاكية إلى عهدة مأمورها ، وكلف كذلك محمد أغا الذى وقع عليه الاختيار للسفر إلى مصر بأن يراجع دفاتر حساباته لعام ١٢٤٦ وينظمها ثم =

واشتد اهتمام السلطات فى مصر بأمور الجزيرة ، وحرص محافظها على إرسال مضابط المجالس إلى مصر تباعاً تحقيقاً لرغبة الجناب العالى فى تنظيم أمور الجزيرة ورعاية أحوالها(١) . وليس أدل على حرص محمد على على أن تؤخذ أمور الجزيرة مأخذ الجد من أنه حرم على أعضاء مجالسها الجلوس على الحشايا حتى لايصيبهم الكسل والخمول ، وأمرهم بالجلوس على الكراسى ، لتشتد يقظتهم حين النظر فى أمور الجزيرة وليستقيم تفكيرهم عند معالجة مشاكلها الحيوية ، وأبلغت أوامره تلك إلى المجالس فى قنديه وخانيه ورسمو(٢) .

وكان لهذه المجالس وفى مقدمتها مجلسا خانية وقندية اختصاصاتها التشريعية والقضائية والتنفيذية(٣) فيها تسن القوانين وتصدر القرارات الخاصة بالأمن ورعاية السكان غذائياً وصحياً وثقافياً ، فضلاً عن سائر القوانين الخاصة بالنهوض بحياة سكان الجزيرة فى ميادين الاصلاحات الزراعية والتقدم الصناعى والتجارى والعمرانى .

ففى هذين المركزين تركزت سلطنة الأشراف على كافة أقاليم الجزيرة ورعاية مصالحها وجباية الأموال الأميرية وتحصيل مختلف الضرائب دون جور أوحيف .

وليس من شك فى أن تلك المجالس التى أنشئت وحياة أهل الجزيرة فوضى لا نظام لها قد استطاعت لكثرة ما عالجت من مشاكلها على إثر ما كان يغشى

= يقدمها لمجلس خانيه ليسلم دفتر كل مقاطعة لمأمورها الخاص ، وبعد أن يصفى كافة شئونه يسافر إلى الأسكندرية (دفتر ٧٧٦ ديوان خديو من الباشا المحافظ إلى مأمور ديوان الخديو فى المحروسة ترجمة قرار مجلس خانيه العالى المؤرخ ٢٤ رجب ١٢٤٧ (٢٩ دسمبر ١٨٣١) .

(١) محفظة عابدين ٢٧١ ، الإفادة ١٦ أصلية ، من محافظ كريت إلى باشمعاون الخديو فى ٢٨ محرم ١٨٥٦ (أول ابريل ١٨٤٠) .

(٢) دفتر ٤٦ معيه تركى ، وثيقة ١٣٩ ، إلى ناظر مجلس قندية من الجناب العالى ، فى ٢١ ذى القعدة ١٢٤٨ (١١ أبريل ١٨٣٣) .

(٣) A. Politis, *Les Rapports de la Grèce et de l'Egypte* (1833-1849), p. XVI; W. Scott, pp. 344-345; Sabry, *L'Empire Egyptien sous M. Aly*, p. 397.

جوها من الفتن والاضطرابات قد غلبت سلطانها القضائى ، ولا أدل على ذلك من أن بعض قناصل فرنسا فى الجزيرة قد أسموا تلك المجالس محاكم .

وظاهر أن المسيحيين قد استراحوا لأحكام تلك المجالس التى حرصت السلطات المصرية على أن تتوخى فى كافة ما يصدر عنها العدل والمساواة ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، لاتفرق فى ذلك بين مسلم وغير مسلم ، فالـكل فى حق الحياة سواء . ولا شك فى أن السلطات المصرية قد كانت تدرك ببعد نظرها وثاقب بصرها ما كان من اهتمام الحلفاء بشئون الرعايا المسيحيين ، كما كانوا يدركون أن تمييز المسلمين على المسيحيين بأى لون من ألوان تلك الامتيازات التى عرفها العهد العثمانى قد كان من شأنه أن يثير حفيظة المسيحيين وأنصارهم من الدول الأوربية المسيحية المتحالفة(١) .

والذى ينعم النظر فى سلوك السلطات المصرية فى الجزيرة ، يستطيع أن يتبين فى سهولة مقدار ما كان لمحمد على من الدهاء ، وبعد النظر ، وقوة الأمل فى بسط سلطانه على الجزيرة ، والاستحواذ عليها ، فهو قد عمل جاهداً على إرضاء المسيحيين وتقريبهم من نفسه ، فجعل يوم العطلة الأسبوعية يوم الأحد محاولاً بذلك أن يرضى فى نفوس المسيحيين حاجة الشعور الدينى ، وليبيح لهم على الرغم من خضوعهم لحـكومة مسلمة بتأدية شعائرهم الدينية(٢) . ولم يغفل مع ذلك إرضاء شعور المسلمين حين أصدر أوامره بإيقاف جلسات المجالس إذا نودى لصلاة يوم الجمعة ليمـكنهم من تأدية هذه الفرائض فى حينها(٣) .

---

(١) Pashley, vol. 1, p. XXIV.

(٢) Campbell's Report, 1833, pp. 81-82.

دفتر ٢٢٤ عابدين ، صادر المكاتبة ١٥٧ فى ٢٦ جمادى الأولى ١٢٥٥ (٧ أغسطس ١٨٣٩) وفيها تأنيب لأعضاء مجلس رسمو لتخلفهم عن حضور المجلس ثلاثة أيام متوالية مع أن يوم عطلة أشغال الحكومة هو يوم الأحد .

(٣) دفتر ٤٦ معيه تركى ، ملخص الوثيقة ٩١ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت ، ٢١ شعبان ١٢٤٨ (١٣ يناير ١٨٣٣) . وفيها يحث أعضاء المجلس على المواظبة على حضور المجلس .

ولم يخف دهاء محمد على المؤرخين الأوربيين ، وليس أدل على ذلك من أن أحدهم وكان من الفرنسيين يفسر سلوك محمد على إزاء المسيحيين بتقديره لكفاياتهم ونشاطهم وقدرتهم على العمل لا فى الجزيرة وحسب بل فى مصر نفسها[١] .

وليس من شك بعد ذلك فى أن تلك المجالس فى الجزيرة قد كان لها دورها الهام فى استقرار أحوالها وإعادة تعميرها ، وإصلاح مافسد من أمورها ، والنهوض بمرافقها المختلفة وتعويض سكانها مما نزل بهم من خسائر أيام حكم العثمانيين . ولقد أثار سلوك تلك المجالس حيال إصلاح كافة نواحى الحياة فيها وإسعاد أهلها دهشة القنصل الفرنسى فى خانية[٢] الذى ذكر فى صراحة مقدار ما نعمت به الجزيرة فى ظل الحكم المصرى بعد الذى أصابها من جراء ثورة « مور نييس »[٣] وأحداثها المحزنة عام ١٨٣٣ فلم تفرض عليها ضرائب جديدة ، ولم يصدر فيها ما يثير مشاعر المسيحيين ، وإنما بذلت من الجهود الجبارة ما يحفظ على أهالى الجزيرة حياتهم ويجنبهم شر العلل والأوبئة التى أصابت أهالى القسطنطينية والأسكندرية ، فعانوا منها الأمرين ، ونجحت السلطات المصرية فى جهودها تلك ، كما نجحت فى إصلاح ثغرى خانية ورسمو ، وتخفيض الحاميات النظامية وغير النظامية[٤] . ولم يكن هذا تقرير القنصل الفرنسى وحده بل كانت تقارير قناصل الدول الأخرى تشير إلى ذلك .

التنمية الاقتصادية فى الجزيرة :

اهتمت السلطات المصرية بتحسين أحوال الجزيرة وتنمية الاقتصاد فيها ، فأخذت تنهض بأمورها الزراعية والتجارية والصناعية .

(١) Charles La Roche, *La Crête Ancienne et Moderne*, pp. 138-139.

(٢) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au ministre, La Canée 22 Mars 1837.

(٣) أنظر فتنة « مورنييس ١٨٣٣ » ملحق (٤) .

(٤) Aff. Etr., Corr. Pol. des Consuls (Paris), Turquie 4, pp. 259-262, Fabreguette à Monsieur Thiers, Président du Conseil, Ministre des Affaires Etrangères 1er Juillet 1836.

ولما كانت الزراعة هى أولى عناصر الحياة ومقوماتها فى الجزيرة ، حرصت السلطات المصرية على تنميتها والعناية بها واستغلال كل شبر من الأرض الصالحة للزراعة تحقيقاً لهـذا الغرض ، فلم يكد العام الثانى من أعوام الحكم المصرى فى الجزيرة ينتهى ، حتى صـدرت الأوامر إلى الموظفين المنوطين بتنظيم الحيـاة الزراعية برعايتها ودقة النظر فى العناية بها ، ومتابعة تطورها ، و إبلاغ السلطات عن كل ما يجرى من نشـاط أو إهمال أو توان فى استغلال الأراضى الزراعية وتنمية محاصيلها . هنالك وزعت المنشورات على أصحاب المقاطعات تحثهم على الاهتمام بالأراضى الزراعيـة ورعايتها ومضاعفـة الناتج من غلاتها ومحاصيلها . وتحذرهم من الاهمال فى ذلك . وتذكرهم بأن الحـكومة على أتم استعداد لتقديم كل ما تستطيع من المعونات المادية والتشجيعية . هنـالك زاد اهتمام الزراع من أصحاب المقـاطعات فتعهدوا للحكومة ببـذل كل ما يستطيعون من جهود فى إصلاح أراضيهم والعمل على خدمتها ومضاعفة غلاتها واستغلال خيراتها(١) .

وليس أدل على اهتمام السلطات المصرية من أن يبادر مجلس خانيـة إلى اتخاذ ما استطاع يومئذ من كافة الإجراءات نحو العناية بمحصول كروم الزيتون ، و بذل أقصى الجهود الممكنة فى سبيل مضاعفة كمية الزيتون المستخرجة من تلك الـكروم . وآية ذلك أن يجتمع المجلس المذكور بنـاء على اقتراح محمد أغا ناظر الأراضى التى آلت إلى الحـكومة ، فيصـدر ما يرى من قرارات تؤكد حق الحـكومة والملتزمين بتحصيل ضرائبها ، مراعياً فى ذلك إنصاف الطبقات العاملة ، وإعفائها مما أثقل كاهلها من ظلم المستغلين ، كما أصـدر المجلس فى نهاية جلساته تعليماته إلى نظـار المزارع التى آلت أراضيها إلى الحـكومة ، وإلى أغوات

---

(١) A. Politis, *Les Rapports de la Grèce et de l'Egypte pendant le Règne de Mohamed Aly*, 1833-1849, pp. 510-512. Décision du Conseil vice-royal Egyptien à Mégalo-Castron Candie).

وإذا دققنا النظر فى هذه التوجيهات نجدأنها تشبه إلى حد بعيد وإن كان بصورة معتدلة ماجاء من أوامر المجلس الخانيوى على أثر زيارة محمد على للجزيرة فى العام التالى (١٨٣٣) وما كان له أثره فى إثارة الأهلين (أنظر « فتنة مورنييس » ملحق (٤)) .

المقاطعات وسائر القائمين على الأملاك التى هجرها أصحابها بالعناية بها حرصاً على توفير أرزاق الشعب(١) .

ولقد يكفى للدلالة على اهتمام السلطات المصرية بتحسين أحوال الجزيرة فى هذا الباب أن نذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ما قرره مجلس قنديه فى شأن قرية « سترافكيا » Stravakia التى دمرتها أحداث الثورة وخربت دورها تخريباً تعذر معه إيواء سكانها بحيث يحشر العشرة منهم فى دار واحدة . وبحيث يروع المجلس ما آل إليه أصحاب هـذه القرية من بؤس ورقة حال . فيفرد من المـال تخصيص مبلغ ٥٠٠٠ خمسة آلاف قرش لسد حاجات أهلها وتكليف اثنين من الثقاة والعارفين بأحوال الجزيرة أحدهما « سليم بك » قائد حامية قنديه ، وثانيهما « يعقوب جيركور » Yakoub Ghirkor أحد أعيان تلك القرية بالنظر فى أمورها ومعالجة مشا كلها واستقصاء حاجاتهم من المـال ، والدواب ، والبـذور ، وتسجيل كل أولئك فى سجلات دقيقة ترفع إلى المجلس لينظر فيها بعين العـدل . وفى ضوء كل أولئك كلف المجلس ابراهيم أغا ناظر الأراضى التى آلت إلى الحـكومة (المحـلولة) النظر فى شـئون أهالى تلك القرية مما شجع أهلها على التقـدم إلى الحـكومة فى صراحـة مطالبين بكل ما يحتاجون إليه(٢) .

ولقد بذلت مجالس الجزيرة أقصى ما ملـكت يومئذ من جهد فى العمل على إحياء الزراعة بعد موتها ، ومضاعفة غلاتها ومحاصيلها . وبخاصة مزارع الزيتون وكان محصول الجزيرة الرئيسى . وكانت قد تعطلت أو كادت بسبب ما أصاب

---

(١) دفتر ٢١٨ عابدين، ترجمة المضبطة ٣٠ ، فى ١٠ رجب ١٢٤٨ (٣ ديسمبر ١٨٣٢

(٢) A. Politis, *op.cit.*, pp. 510-512, Décision du Conseil vice-royal égyptien à Mégalo-Castron, Candie.

فطلب بعضهم أغناماً والتمس آخرون ثيراناً ، بينما اكتفى فريق ثالث بالمطالبة بإصلاح منازلهم المتداعية وكرومهم الخربة فأجيبت مطالبهم جميعاً .

البلاد بين يدى ثورتها العارمة حيث خربت الدور وأزهقت الأرواح ، وأهملت أعمال الزراعة لقلة الأيدى العاملة ، وأضحت أكثر أراضى الجزيرة التى كانت غاصة بكروم الزيتون عطلاً منها . وكان من نتائج إهمال تلك الكروم أن طغت عليها الحشائش البرية ، بحيث أضحى من المتعذر جمع ثمارها(١) . ومن أوضح الأمثلة الدالة على تدهور زراعة الزيتون أن المساحة التى كانت وقفاً على دير « أركاديا » Arcadi والتى بلغت مساحتها ٦٠٠٠ ستة آلاف ذراع لم يكن يزرع منها إلا نصفها أو يزيد قليلاً(٢) .

وكان من أسباب تدهور مزارع الزيتون أن أصحابها لم يكونوا يملكون من الوسائل ما يمكنهم من رعايتها وتنميتها والإفادة من ثمرها(٣) .

ولقد أزعج محمد على فى عامه الأول من حكم الجزيرة أن يكون محصولها من

---

(١) وإلى ذلك يشير «باورنج» فى تقرير له عن أحوال الجزيرة مقدراً أن قلة الأيدى العاملة قد أضاعت ربع محصول الزيتون . كما أشار أنه على الرغم من قلة ما بقى بعد الثورة من كروم الزيتون فان سكان الجزيرة لم يكونوا لقلة عددهم كافين لرعاية تلك الكروم والإفادة من ثمارها . بل لقد بلغت بهم الحال أنهم كانوا ينتظرون حتى تسقط الثمار فيكلف النساء والأطفال بالتقاطها وجمعها . وينالون من الجزاء على عملهم هذا ثلث ما جمعوه من ثمر ، كما لجأ أهالى مقاطعة « أبوقرونا » إلى نفض الثمار من أغصانها مما سبب تلف الكثير من محصولها .
(*Bowring's Report on Egypt & Candia*), p. 157).

(٢) Aff. Etr., Corr. Cons., Annexe A., Quelques détails sur une tournée faite dans l'île de Crete en Mai 1832 par Fabreguette.

(٣) A. Politis, *op. cit.*, p. 532.
وإلى ذلك يشير القنصل الفرنسى « فابريجيت » فى خطابه السابق المؤرخ ٢ مايو ١٨٣٢ عندما يوضح كيف أن حكومة الجزيرة لم يكن فى استطاعتها على الرغم من جهودها المتصلة أن تسد العجز الظاهر فى هذه الزراعة فى خلال عامين ، على حين أنه نفسه يذكر فى رسالة فى ١٨٣٧ — أى بعد مرور سبع سنوات على الحكم المصرى ما لمسه من تقدم زراعة الزيتون والكروم فى سهل « ميلوبوطاموس » Milopotamos الممتد من أركاديا إلى « رسمو » وما تبينه من فرق شاسع بين حالة هذا السهل عندئذ وقبل ذلك بسنوات عندما زاره لأول مرة مما جعله يتنبأ بأن ازدهار زراعة الكروم لما يبشر بأن الجزيرة لن تحصل منها على ما يكفيها من النبيذ وحسب بل وتصدر الفائض عن حاجتها إلى الخارج
(Aff. Etr., Corr. Cons., La Canée, 28 Mars 1837, Fabreguette au Ministre).

الزيتون وزيته أقل بكثير من محصول العام السابق على حكمه وقد كان ينتظر أن استقرار الأمور فى الجزيرة سوف يزيد من محاصيلها ، فبادر مجلس خانيه إلى بحث الأمر والتوفر على دراسته فتبين له أن أسباب النقص مرجعها إلى عدم توافر المعاصر اللازمة فى بعض الأقاليم ، وإلى تعطيل المعاصر فى أقاليم أخرى . وهناك فكر المسئولون فى شراء بعض المعاصر الخاصة التى يرغب أصحابها فى بيعها . حتى تتولى الحكومة إدارتها ومراقبتها بنفسها حرصاً منها على الحصول على حقها من الضريبة كاملة ، وكان قدرها سبع المحصول ، ومبالغة فى حرص الحكومة على ذلك ، أوصى المجلس بأن يعين فى كل إقليم مراقب من الأكفاء الواعين للاشراف على تلك المعاصر ، وأن يرتب له جزاء مجز يمكنه من الإنصراف إلى عمله والإخلاص فيه .

ولما أخذ المجلس ينظر فى تقدير الضريبة فكر أول الأمر فى أن يترك التقدير لمن يقومون بجمع الثمر ، ثم تبين له بعد المناقشة فساد هذا الرأى ، ذلك لأن الثمر يختلف فى مقدار ما يحتويه من زيت فرب ثمر قليل يغنى بزيته عن ثمر كثير . هنالك استقر الرأى على أن تقدر الضريبة بعد عصر الثمار متوخياً بذلك العدل والانصاف . وأصدر مجلس خانيه من القرارات ماقصد بها إنصاف الشعب ، وتأمين حياته ، وتجنيبه الخسارة فى الرزق ، غير مفرق بين مسلم ومسيحى فالكل فى حق الحياة سواء .

وأجاز لأصحاب المعاصر الخاصة أن يتولوا إدارتها بشرط أن يؤدوا حق الحكومة من ضرائب ، علاوة على قدر من الزيت لقاء استخدامهم لتلك المعاصر ، والذين لايملكون معاصر من الزراع مسلمين كانوا أم مسيحيين أن يحملوا ثمارهم إلى أغا الأقاليم وجابى الضريبة ، وأن يؤدوا للحكومة حقها فى الضريبة من أول العصر وثانيه . فأما ماعدا ذلك فكان يخصص لنفقات المعصرة وعمالها .

ولكل زارع حق الالتجاء إلى السلطات إذا ما رأى فى عصر محصوله إهمالاً أو تقصيراً(١) .

ثم تراءى للحكومة بعد لأى أن ضمان حقها فى الضريبة يقتضى السيطرة على معاصر الزيتون ، فأصدرت قراراً يقضى بالزام كافة أصحاب كروم الزيتون بأن يعصروا فى معاصرها تحت إشراف كبير العسس واليازجى (وهو خازن أوجاق الانكشارية) ، ونص فى القرار على معاقبة كل من يخالف ذلك أمام المجلس(٢) .

وليس من شك فى أن محمدا عليا قد كان شديد العناية بإصلاح الجزيرة والنهوض بها والإفادة من محاصيلها ، وآية ذلك أنه كان دائب التفكير فيها ، حريصاً على أن يستقبل الوافدين منها من ذوى الرأى وأصحاب الخبرة ، والاستماع إلى نصائحهم ، والاستنارة بآرائهم . فلما علم منهم بأن المعاصر القديمة أصبحت غير لائقة وغير مربحة ، وأن استخدامها يضيع على الجزيرة ثلث محاصيلها ، بادر إلى اتخاذ ما يلزم من إجراء ليجنب خزانته وليجنب زراع الجزيرة تلك الخسارة .

هنالك استدعى قنصل اليونان فى مصر وكان يدعى « طوسيجه » ، وطلب إليه أن يستدعى خبيراً من خبراء المعاصر من بلدة « ليڤورنة » كما طلب إلى المختصين فى الجزيرة أن يوجهوا بالغ اهتمامهم إلى تجربة مالديهم من معاصر ، والمقارنة بينها وبين المعاصر الحديثة ، ليتبينوا بأنفسهم أيها أغنى وأجدى ، وأن يوافوه برأيهم فى ذلك حتى يقف على جلية الأمر(٣) . ولما وصل الخبير إلى الجزيرة كتب محمد على إلى محافظها يوصيه بمعاونته ويبعث إليه بنتيجة بحوثه(٤) .

---

(١) A. Politis, *op.cit.*, pp. 513-518 (Décision du Conseil vice-royal de la Canée, 19 Octobre 1831).

(٢) دفتر ٢١٨ عابدين ، المضبطة ٢٣ ، فى ٢٥ صفر ١٢٤٨ (٢٤ يولية ١٨٣٢).

(٣) دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ١٥٢ إلى محافظ كريت ، ١٠ ذى الحجة ١٢٤٨ (٣٠ أبريل ١٨٣٣) .

(٤) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، مكاتبة ٥٨ أمر إلى محافظ كريت ، فى ٩ ذى القعدة ١٢٤٩ (٢٠ مارس ١٨٣٤) .

وتبين مجلس خانية فى ضوء تقرير الخبير أن المعاصر الحديثة أجدى وأنفع من المعاصر القديمة ، لأنها بمكابسها الأوربيـة — وإن كانت تكلف الحكومة كثيراً فهى تزيد فى محصول الزيت الذى يرضى الزراع ويضمن للحكومة حصتها من الضرائب فى وقت معاً ، وبخاصة إذا صنعت المكابس من خشب الدلب(١). وتمكن إثنان من عمال الجزيرة أن يفيدا من آراء الخبير ، وأن يحذقا طريقته التى مكنت من الحصول على أكبر كميـة ممكنة من زيت الزيتون . وذلك قبل رحيله عن الجزيرة(٢) .

وزاد اهتمام السلطات المصرية بمحصول الزيتون وزيته زيادة ملحوظة ، نراها فى تلك الأوامر المشددة بتحريم رعى الأغنام فى مناطق كروم الزيتون ، وإبعاد قطعان الخنازير إلى المناطق الجبلية ،وعلى من يملك الخنزير أو الخنزيرين أن يقيدهما فى داره . وكل من يخالف تلك الأوامر يجازى بالتعويض عما أتلف ويعاقب بالجلد خمسين جلدة(٣) . ثم بالغ محمد على فأصدر أمراً مشدداً بتوقيع العقوبات الصارمة على كل من يجرؤ على حرق أشجار الزيتون أو العبث بمعاصر الزيتون فهو يرى فى ذلك إضراراً بمصالح عباد الله (٤) .

ومن طريف ما يروى أن واحداً من أهالى إحدى القرى فى منطقة « رسمو »

---

(١) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، مكاتبة ٧٣ ، من الجناب العـالى إلى محافظ كريت ، ١٨ ذى الحجة ١٢٤٩ ، (٢٨ ابريل ١٨٣٤) .

(٢) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، مكاتبة ١٧٥ ، من الجناب العـالى إلى محافظ كريت ، ٢٢ ذى الحجة ١٢٥٠ (٢١ أبريل ١٨٣٥) .

وعند ذكر المعاصر فى الجزيرة لانغفل الإشـارة إلى اهتمام «كبورال » الطبيب الفرنسى بها بإنشاء معصرة مائية بالاشتراك مع أحد تجار الاسكندرية ، بغية الحصول على عصره ثالثة للزيتون ، ولكنه لم ينجح فى ذلك ، فاكتفى باستخدامها لعصر الزيتون مرتين
(*Bowring's Report on Egypt & Candia*, p. 158).

(٣) دفتر ٢١٨ عابدين ، مضبطة ٢٣ ، فى ٢٥ صفر ١٢٤٨ (٢٤ يولية ١٨٣٢) .

(٤) دفتر ١٢٥ مجلس ملكية ، مكاتبة ٢٨ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٧ جمادى الأولى ١٢٥٠ (٢١ سبتمبر ١٨٣٤) .

أراد يوماً أن يطهر كرومه من الحشائش الضارة فأشعل فيها النار ، وكان من جراء ذلك أن امتدت النار إلى أشجار الزيتون فى كرومه والكروم المجاورة فأتت عليها جميعاً . ولما انتهى خبر ذلك إلى محمد على أثار اهتمامه ، فقرر ألا يجرى تطهير الكروم بالنار إلا فى يوم هادىء الريح ، وألا ينفرد صاحب الكرم بتطهيره بل يشاركه فى ذلك جيرانه من الزراع فإذا خالف فجزاؤه التعويض والسجن . وإذا وقع الحريق من مجهول أخذ أهالى المنطقة جميعاً بالجزاء إذا لم يدلوا على الفاعل ، ووافقت مجالس الجزيرة على تطبيق هذا القرار فى كافة أنحاء الجزيرة[١] .

ولشدة اهتمام محمد على بمحصول الزيت فى كريت أخذ يفكر فى تنظيم طريقة تصديره ، فعدل عن تعبئة البراميل اقتصاداً فى النفقات ، وأمر أن تعد لذلك سفن خاصة تشتمل على أوان كبيرة سعة كل منها من تسعمائة إلى ألف أقة يصب فيها الزيت بخرطوم من كوة العنبر[٢] .

ولم يكن نصيب مصر من ضريبة الزيت يكفى حاجتها إليه ، وإنما كانت تستورد منه فوق ذلك ما يكفى حاجتها من رواتب الجند مستعيضة به عن السمن الذى كان يومئذ عزيز المنال ، وأغراها بذلك اعتدال سعر الزيت ، فلم يكن ثمن الأقة منه يجاوز سبعة قروش ونصف قرش . وفطنت الإدارة المصرية بالجزيرة إلى حاجة مصر وجنودها إلى الزيت فحرصت على ادخار الفائض فى مخازنها لمواجهة حاجة الجيش، فادخرت فى عام ١٢٥٤، ٤٥٠٠ أربعة آلاف وخمسمائة قنطار فى مخازن قندية ورسمو . بعثت بها إلى مصر فى العام التالى . وقد كانت فى أشد الحاجة إليها ، ذلك لأن محاصيله لم تكن وفيرة مما سبب رفع أسعاره[٣] .

---

(١) محفظة ٢٦٨ عابدين ، الإفادة ٥٣ حمراء ، من محافظ كريت إلى الباشمعاون فى ٢٢ ربيع آخر ١٢٥٥ (٥ يولية ١٨٣٩) .

(٢) دفتر ٨٣ معية تركى ، الأمر ١٤٦ ، الجناب العالى إلى لطيف بك ، ٨ ذى القعدة ١٢٥٢ (١٤ فبراير ١٨٣٧) .

(٣) محفظة عابدين ٢٦٨ مكاتبة ١٠٧ (٦١ حمراء) ملف كريت ، قندية فى ١٩ شعبان ١٢٥٥ (٢٨ أكتوبر ١٨٣٩) .

وظاهر كذلك أن حاجة مصر إلى زيت كريت لم تكن قاصرة على تموين الجيش فحسب ، بل عدت ذلك إلى استخدامه فى الصناعة وبخاصة دبغ الجلود . وكانت من أجل ذلك شديدة الإلحاح على محافظ الجزيرة فى التعجيل بإرسال حاجتها منه حتى لا تتعطل المصانع[١] .

وعلى الرغم من حاجة مصر الماسة إلى الزيت على النحو الذى بينا ، حرص محمد على أن يترك فى الجزيرة ما يكفى حاجة أهلها ؛ إذ كان لديهم من العناصر الرئيسية فى مواد الغذاء شأنهم فى ذلك شأن اليونان وقد يكون من الانصاف أن نذكر لمحمد على حرصه على رفع مستوى المعيشة فى الجزيرة وآية ذلك أن يرفض مشورة أحد المسئولين فيها حينما نصح إليه باستيراد كافة زيت الجزيرة للانتفاع بما يعود على مصر من ربح التجارة فيه نظراً لارتفاع أسعاره فى مصر ، فكان رده على ذلك أنه فى غنى عن مثل هذا الربح[٢] .

ومهما يكن من شيء فان سلوك الرجل إذا لم يكن إنسانياً فقد كان يدل على وعى سياسى أقل ما يمكن أن يقال فيه أنه كان يقدر عواقب احتكار الزيت وما يمكن أن يكون له من أثر سيء على سياسته . فلقد كانت دول أوروبا وفى مقدمتها فرنسا و بريطانيا شديدة الاهتمام باستيراد ما يسد بعض حاجتها من زيت الجزيرة وهو يعلم أنها سوف تتدخل فى أمور الجزيرة إن هو سلك سبيل احتكار التجارة فى الزيت ، وقد كانت له فى ذلك تجربة هزته عند ما زار الجزيرة لأول مرة فى عام ١٨٣٣[٣] .

---

(١) دفتر ٢٢٤ عابدين صادر ، مكاتبة ٢١٨ ، إلى محافظة كريت فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٥٥ (٢٧ يناير ١٨٤٠) .

(٢) دفتر ٨٣ معية تركى ، الأمر ١٤٠ ، من الجناب العالى إلى لطيف بك فى ٦ شوال ١٢٥٢ (١٤ يناير ١٨٣٧) .

(٣) أنظر أثر محاولة محمد على اتباع نظام الاحتكار عند زيارته الأولى للجزيرة فى ١٨٣٣ وما ترتب عليها من إشعال نيران فتنة مورينيس فى نفس العام أنظر « فتنة مورينيس Mourniès عام ١٨٣٣ » ملحق (٤) .

ولم يغب عن بال محمد على قيمة الزيت الكريتى وحاجة مصر إليه ففكر فى استيراد أشجار الزيتون وإذاعة غرسها فى مصر، وطلب إلى محافظ الجزيرة موافاته بذلك، فوعد هذا الأخير باستشارة مجالس الجزيرة الثلاثة فى شأن ما يمكن إرساله إلى مصر من فسائل ذلك الشجر(١). إذ لم يلبث محمد على حتى كتب إلى محافظ الجزيرة فى غرة صفر عام ١٢٥٦ (٢٦ أبريل ١٨٣٩). يطلب إليه إرسال نحو خمسين شتلة من أشجار الزيتون، واهتم مجلس قندية بذلك وتعهد بإرسالها فى فرصة مواتية(٢).

ولما كان ثمر الزيتون موضع اهتمام السلطات المصرية، وبان لها أن الكريتيين لا يعنون بتمليحه، وإعداده للتعبئة والتصدير بادرت بإرسال أحد الخبراء من اليونانيين يدعى « استيفان الموروى » لهذا الغرض(٣). وكان ذلك على أثر ما بلغ الجناب العالى من أن الذى يشرف على هذا العمل لم يكن من المختصين مما أثار غضبه على محافظ الجزيرة وطالبه بدفع نصف ما أتلف من الزيتون عقاباً له على إهماله(٤).

---

(١) محافظة كريت، إفادة ٢٥٢، ٢٣٩ حمراء، من محافظ كريت إلى باشماون الخديو فى ٢٨ صفر ١٢٥٦ (١٣ مايو ١٨٣٩).

(٢) محفظة ٢٧١ عابدين، ملف كريت، وثيقة ٦٩ أصلية من مصطفى باشا إلى باشماون الخديو فى ٢٧ ربيع آخر ١٢٥٦ (١٠ يولية ١٨٣٩).

(٣) دفتر ٧٧٩ ديوان خديو، مكاتبة ٣١١، إلى الأفندى سامى بك، فى ٢٣ صفر ١٢٤٨ (٢٢ يولية ١٨٣٢). دفتر ٤٤ معية تركى، وثيقة ١٩٢ من الجناب العالى إلى حبيب أفندى فى غرة ربيع الأول ١٢٤٨ (٢٩ يولية ١٨٣٢) ويتبين من الوثائق المختلفة أن الكريتيين لم يعنوا بتمليح كميات وفيرة من الزيتون للاتجار فيها عن طريق تصديرها إلى ديار أخرى، وإنما كانوا يكتفون بتمليح كميات صغيرة لتغطية حاجاتهم محلياً ذلك لأنهم أدركوا أن استخراج الزيت والاتجار فيه أجدى وأنفع : محفظة ٢٦٨ عابدين، وثيقة ١٠٢، من مصطفى باشا إلى المعية السنية فى ١٤ شعبان ١٢٥٥ (٢٣ أكتوبر ١٨٣٩) ولكن السلطات المصرية اهتمت بهذه العملية وتشير الوثائق إلى استمرار هذا الاهتمام حتى قرب نهاية الحكم المصرى بالجزيرة — مصطفى باشا إلى صاحب الدولة باشماون الخديو فى ٩ محرم ١٢٥٦ (١٣ مارس ١٨٤٠).

(٤) دفتر ٤٦ معية تركى، وثيقة ١٣٢، من الجناب العالى إلى محافظ كريت، فى ١٧ ذى القعدة ١٢٤٨ (٧ أبريل ١٨٣٣).

ولم تصب أحداث الثورة فى الجزيرة محاصيل الزيتون وحسب بل أصاب ضررها محاصيل الجزيرة الأخرى . فعمال الزراعة قد هلك أكثرهم فى غضون الثورة وأضحت أراضى الجزيرة بورا ، ومن ذلك سهل « مسارا » الذى كان يعتبر أغنى سهول الجزيرة ، وأكثرها خصبا وأوفرها إنتاجا للغلال(١) . واضطر سكان الجزيرة الى التماس أرزاقهم من الغلال من منطقة حوض البحر الأسود(٢) .

ولم تلبث طبيعة محمد على الاستغلالية حتى بانت فى سلوكه إزاء حكم الجزيرة ، فهو قد حاول بمختلف الوسائل أن يفيد من موارد الجزيرة ما يكفى للانفاق على إدارتها من ناحية ، ويمكنه من الحصول على أجره بما يفرض عليها من مختلف الضرائب من ناحية أخرى ، وظاهر أنه كان يهدف من وراء سياسته تلك إلى السيطرة على أراضى الجزيرة بحيث تصبح آخر الأمر ملكاً له ، كما كانت الحال فى مصر . ولسوف يتضح لنا أمر ذلك عند الكلام عن أراضى الجزيرة ، وعن مختلف الضرائب التى فرضها على أهل الجزيرة فأثقلت كواهلهم وأثارت السخط على الحكم المصرى فى نفوسهم .

الأراضى الزراعية ونظام الملكية :

يتضح من وثائق عابدين أن من أراضى الجزيرة الزراعية ما كان ملكاً خاصاً للحكومة فتشرف على زراعته واستغلاله لحساب الخزانة ، ومنها ما غاب عنها ملاكها فأخذت الحكومة تشرف على زراعته وتؤول غلاته وموارده إلى الخزانة أيضاً . ومنها ما كان ملكاً للأهالى يتولون زراعته واستغلاله(٣). وهناك أملاك المهاجرين ، أو من هلكوا ولم يتركوا من خلفهم ذرية فآلت كلها إلى بيت

(١) تأثر هذا السهل أكثر من غيره من البقاع بأحداث الثورة التخريبية ، فأمست ثلاثة أرباع المساكن الموجودة بأكثر القرى خراباً . فالقرية التى كانت تحتوى على عشرين مسكناً لم يبق بها إلا مسكنان فقط (Pashley, I, p. 291).

(٢) Aff. Etr., Corr. Cons., Annexe A, Quelques Détails sur une tournée faite dans l'Ile de Crète en Mai 1832, par Mr. Fabreguette.

(٣) أنظر هذه الأنواع المختلفة من الأراضى فى دفتر ٢١٨ عابدين ، المضبطة ٣٠ فى ١٠ رجب ١٢٤٨ (٣ ديسمبر ١٨٣٢) .

المال(١) . وتسمى الوثائق هذه الأخيرة « الأراضى المحلولة » وبلغ عدد مقاطعاتها ٤٨ فى لواء قنـدية ، ٥٥ فى لواء خانيـة و١٨ فى لواء رسمو يديرها نظار تعينهم الحـكومة(٢) .

وقد بادر محمد على بتوجيه عنايته الـكبرى إلى تنظيم أراضى الجزيرة وإدارة مزارعها ، وضبط أمورها ، ومواردها ، فأرسل فى طلب كافة الدفاتر الخاصة بنظام كافة مقاطعاتها كبيرة كانت أو صغيرة ، كما طلب إلى إدارته الحـكومية هناك أن تبعث إليه ببيان توضيحى للحالة التى كانت عليه قبل ثورة اليونانيين هادفاً بذلك إلى تنظيم يحقق الهدوء والاستقرار فى الجزيرة(٣) .

واتضح له من الدفاتر والبيانات التىوصلت إليه من الجزيرة أن من أراضيها ما كان وقفاً على ناس يقيم بعضهم فى الآستانة ، وأن سـوء تصرف محافظها السابق سليمان باشا قد اضطرهم إلى أن يعهدوا بإدارتها إلى بعض من وثقوا بهم من أهل الجزيرة . فأصـدر أمره بنقل إدارة تلك الأوقاف إلى الحـكومة ، وجعلت عليها ناظراً أسمته ناظراً للمقاطعات الموقوفة(٤) ، يقوم بإدارة شئونها ،

---

(١) دفتر ٢١٨ عابدين ، المضبطة ٢٣ ، فى ٢٥ صفر ١٢٤٨ (٢٤ يوليو ١٨٣٢) كما يتضح فى إحدى مضابطمجلس قندية عندما آلت إلى الحكومة أربع مقاطعاتخربةمنالمقاطعات الواقعة فى لواء قنـدية بسبب إنصراف أصحابها عنها ، فقـرر المجلس إدارة شئونها بمعرفة الحكومة ، دفتر ٢١٨ عابدين ، مضبطة ٣٤ بدون تاريخ على أنه الأرجح أن يكون تاريخها فى عام ١٢٤٨ (أى ١٨٣٢ — ١٨٣٣) .

(٢) دفتر ٢١٨ عابدين : مكاتبة ١ ، كشف المقاطعات الخاصة بالحكومة من مقاطعـات كريت فى ٢٨ شوال ١٢٤٧ (٣١ مارس ١٨٣٢) .

(٣) دفتر ٤٠ معية تركى ، مكاتبة ٤٣٤ ، من الجناب العالى إلى القبو كتخـدا فى ١٨ ربيع أول ١٣٤٦ (٦ سبتمبر ١٨٣٠) .

(٤) ومن أوقاف الجزيرة المتعددة وقف وزير الحربية والسردار الأعظم حسين باشا فى كل من خانية وقندية و رسمو ، وقد أخذت تطالب بإيراد هذا الوقف المستحقة فيه حفيدته نايلة هانم (محفظة ١٠٥ عابدين ، وثيقة غير مؤرخـة ، وأنظر كذلك محفظـة ١٠٧ عابدين ملف القبوكتخدا من القبوكتخدا لأحد رجال المعية فى ٢٧ ربيع آخر ١٢٥١) — كما كان للأميرة أسماء أخت السلطان محمود الثانى أوقاف بالجزيرة — ويظهر هذا من إلحاحها فى المطالبة بنصيبها فى هذا الوقف (محفظة ١٠٨ عابدين ، ملف المتفرقات من الأميرة السلطانة أسماء إلى الجنـاب العالى — فى ٧ صفر ١٢٥٢ (٢٤ مايو ١٨٣٦) .

وإرسال إيراداتها إلى مستحقيها(١) .

وكان من أرض الجزيرة مساحات لم يتوافر فيها الخصب، بل كانت أشبه شيء بالأحراج ، ولم يكن فى وسع الحكومة يومئذ أن تقوم على إصلاحها لكثرة ما يتطلبه ذلك من انفاق(٢) . فعهدت بها إلى ملتزمين اضطر بعضهم بعد لأى أن يردها إلى الحكومة لتتولى أمرها وإدارة شئونها(٣) .

ومن وسائل الإصلاح الزراعى التى اتبعها محمد على النظر فى تغيير نظامه الذى كان قائماً فى عهد العثمانيين ، والذى ميز كثيراً من الأغوات الملترمين بكثرة ما أقطعهم من أرض أغنتهم بحيث أضحوا من السادة المترفين إلى أن جاءت الثورة فقضت على نفوذهم ، وحرقت دورهم ، وزروعهم ، وهلك فيها كثير منهم عن غير وارث فضم الوالى أراضيهم إلى أملاك الحكومة ، كما أعفى بعض الملتزمين من إدارة أراضيهم ، وردوها إلى الحكومة ، ولم يبق من طائفة الملتزمين غير قلة ، قرر الوالى أن ترد أملاكهم إلى الحكومة عقب وفاتهم مباشرة مع إعفاء أعقابهم وذرياتهم من الالتزام وحرمانهم من جميع الامتيازات . ولم يفتر فى التماس كافة الطرق والوسائل متذرعاً بأهونها وأدهاها إلى انتزاع الأراضى من الملتزمين وحرمانهم من امتيازاتهم القديمة كلما أمكنه ذلك(٤) .

---

(١) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، مكاتبة ٢٣٩ ، أمر من الجناب العالى إلى محافظ كريت ، ٢٨ جمادى الآخر ١٢٥١ (٢١ أكتوبر ١٨٣٥) .

(٢) دفتر ٢١٨ عابدين ، مضبطة ٦٦ ، بدون تاريخ ، ولكن بما أن المضبطة السابقة لها رقم ٦٥ بتاريخ ٢١ محـرم ١٢٤٩ . . . فهذه المضبطة بتاريخ متـأخر عنه قليلا أى فى نفس العام .

(٣) دفتر ٢١٨ عابدين ، المضبطة ٦٢ ، ١٥ محـرم ١٢٤٩ (٤ يونية ١٨٣٣) وتشهد هذه الوثيقة على تنازل أحد الملتزمين عن مقاطعتى « وقاطوأرخانس » « روغذيا » .

(٤) ويطلق لفظ أغا المقاطعة على ذلك الأغا الذى أصبح ملتزماً لمقاطعة أو لعدة مقاطعات ، وفى العادة المقاطعة تتكون من قرية ، فهو على ذلك يحصل إيرادات قرية واحدة أو عدة قرى ، ويدفع للحكومة فى بادىء الأمر مبلغاً من المال يتناسب مع الأراضى التى تولى التزامها ، ثم يقوم بدفع مبلغ معين من المال للحكومة سنوياً ، حتى يتمكن من الاحتفاظ بهذا الالتزام .

وفرض نظام الإصلاح الزراعى الجديد على من بقى من طائفة الملتزمين ، وكانوا قلة : أن يؤدوا ماعليهم من الأموال الأميرية والأنصبة العينية حالة كانت أم متأخرة ، لاينبغى — كما حددتها حجج الالتزام — أن يتأخر سدادها عن أول شهر مارس من كل عام . فإذا عجز الملتزم أن يقدم ما ينبغى عليه من حصة القمح وجب عليه أن يؤدى ما يساويها زيتاً أو نقداً[١] .

وليس أدل على يقظة محمد على وحرصه على تنفيذ قانون الإصلاح الزراعى لذى فرضه من غضبته حينما بلغه أن أحد الأغوات من لواء « رسمو » قد لجأ إلى الآستانة يلتمس من سلطانها أن يعينه على الحصول على حق الالتزام فى إحدى المقاطعات الشاغرة . فظل متربصاً به حتى عاد فبادر بإصدار الأمر بإعدامه فوراً[٢] .

ورأى محمد على من حسن السياسة أن يكسب ود اليونانيين فرد عليهم ملاكهم التى اغتصبها منهم الترك كما رد على من باعوا أملاكهم أثمانها ، فأرضى بذلك اليونانيين ، وأسخط الأتراك ، ذلك لأنه أعطى اليونانيين حقاً كان قد سلب وحرم الأتراك امتيازات كانت قد أعطيت بغير حق[٣] . ولم يبق أمام الترك إزاء هذا الإجراء العادل إلا أحد أمرين إما البقاء فى المدن متاجرين فيها بالوسائل المشروعة ، وإما مغادرة الجزيرة إلى أحد أملاك العثمانيين التابعة للسلطان تبعية مباشرة[٤] .

---

(١) دفتر ٢١٨ عابدين ، مضبطة ٢١ مجلس خانية بدون تاريخ (على أن المضبطة ١٨ ، دفتر ٢١٨ عابدين ، تاريخها ١٠ ربيع آخر ١٢٤٨ (٨ أغسطس ١٨٣٢) وعلى ذلك فالمضبطة رقم ٢١ بتاريخ مقارب لذلك) .

(٢) **Aff. Etr., Corr., Cons., Annexe à la dépêche No. 28 du 16 Juillet 1834, Fabreguette au ministre, 2ème Partie du Journal de Voyage de Fabreguette (15 Juillet 1834).**

(٣) **Aff. Etr., Corr. Cons., Rapport de Fabreguette au ministre, La Canée, 3 Sept. 1831.**

(٤) ***Bowring's Report*, p. 156.**

وإذ يبلغ ذلك من هاجروا من الجزيرة فراراً بأبدانهم من ظلم الأتراك ، يعودون فوراً إليها فترد عليهم حكومة مصر أملاكهم إن هم آثروا البقاء في الجزيرة يستأنفون إدارتها واستغلال مواردها[١] . ذلك لأن الجزيرة قد كانت في أشد الحاجة إلى من هاجروا منها ليستأنفوا أعمالهم فيها إلا إذا كان الغرض من عودتهم استرداد أملاكهم والتصرف فيها بالبيع[٢] . وزاد اهتمام محمد على بالعناية بالمقاطعات الزراعية المتخلفة ، فهو يريد استغلالها على النحو الذي يرضيه ، ولا ينفك يحث أصحابها أو الملتزمين بها على زيادة العناية بها وتنمية مواردها ، وينذرهم بأن الحكومة على تمام الاستعداد باستردادها إذا ما أهمل شأنها ، ولم تعط الحكومة ما كانت تنتظر منها[٣] . وأوضح ما ظهر من حرصه على ذلك تلك القرارات التي تليت على مجلس خانيه حين زار الجزيرة لأول مرة في عام ١٨٣٣[٤] .

نظام الضرائب :

في الحق أن اليونانيين المسيحيين من أهل الجزيرة قد أظلتهم العدالة تحت راية الحكم المصري فجعلتهم والترك المسلمين متساوين في الحقوق والواجبات ، حاشا ضريبة الرأس التي كانت فرضاً على اليونانيين وكانت تعرف

---

(١) دفتر ٢١٨ عابدين ، مضبطة ٥٤ في ٢٢ ذي الحجة ١٢٤٨ (١٢ مايو ١٨٣٢) وتشير هذه المضبطة من مضابط مجلس خانية إلى أنه على إثر عودة ستة من أهالي « بالي بتره » إلى الجزيرة تقرر أن يعيد المجلس إليهم أملاكهم نظراً لأنهم ينوون الإقامة فيها .

(٢) دفتر ٢١٨ عابدين ، مضبطة ٢٢ في ٢٢ ربيع آخر ١٢٤٨ — أنظر كذلك دفتر ٢١٨ عابدين ، مكاتبة ٥٨ كشف بيان أملاك الرعايا الذين رحلوا من كريت قبل الثورة إلى بلاد أخرى للإقامة فيها من أهالي النواحي الأربع التابعة للواء خانيه ، وأملاك الرعايا الذين فروا منها أثناء الثورة — أنظر كذلك فيما يلي معاملة الحكم المصري في كريت للكريتيين الهيلينيين العائدين إلى الجزيرة .

(٣) ٢١٨ عابدين ، مضبطة ٣٠ في ١٠ رجب ١٢٤٨ (٣ ديسمبر ١٨٣٢) .

(٤) أنظر « فتنه مورنييس ١٨٣٣ » ملحق (٤) .

« بالكرانش » Karatch وكانت فرضاً على القادرين من الذكور ، فجعلها محمد على على درجات ثلاث أدناها أربعة قروش وأقصاها ثمانية وأوسطها ستة قروش . ويتراوح عدد من يلزمون بتأديتها بين ١١ و ١٢ ألفاً . وأثار ذلك سخط المسيحيين ، وعلق على ذلك قنصل فرنسا فى خانيه فقال « لو أن محمد على أعفى السكان المسيحيين من أهل الجزيرة من تلك الضريبة إذن لضمن بذلك عودة المهاجرين من أهلها ولكفى نفسه سخطهم »(١) .

وإذ أحس مصطفى باشا محافظ الجزيرة من مسيحيى الجزيرة بالسخط أنبأ بذلك الجناب العالى واقترح عليه أن يرفع عنهم الجزية وأن يستبدل بها ضريبة عامة يسوى فيها بين المسلمين والمسيحيين مبيناً له أن مثل هـذا الإجراء سوف يرضى المسيحيين من ناحيـة فضلاً عن أنه أجدى على الحكومة وأنفع لها من ناحية أخرى، على أن محمد على — وإن قد آمن بوجهة نظر المحافظ إلا أنه رفض الأخذ بها خشية الغض من سلطانه ، وخوفاً على سمعته فى العالم الإسلامى من أن يساء إليها إن هو خالف ما جرت عليه شريعة المسلمين(٢) .

ولم يقف الأمر عند هـذا الحد بل زيدت الجزية المفروضة على المسيحيين فى عام ١٨٣٥ فازداد سخطهم من ذلك وامتنعوا عن تأديتها . وأراد محمد على أن يبين للمسيحيين عذره و براءته من ذلك الإجراء فكتب إلى محافظ الجزيرة ينبئه بأن ذلك من عمل الباب العالى وأنه ليس قاصراً على كريت وحسب ، بل هو يشمل كافة البلاد الخاضعة للدولة العثمانية ، وطلب إليه تلاوة الفرمان السلطانى

---

(١) Aff. Etr., Annexe à la Dépêche de Fabreguette à Mimaut, La Canée, 20 Janvier 1832.

ويصف فابريجيت الجزية « بأنها ضئيلة ولكنها مذلة للمسيحيين » فى ملحق لخطابه إلى الوزير بتاريخ ١٦ يولية ١٨٣٤ .

(٢) دفتر ١١٩ مجلس ملكى، الوثيقة ٤٤ من جناب الخديو إلى محافظ كريت فى ١٨ رمضان ١٢٥٠ (١٨ يناير ١٨٣٥) .

الخاص بذلك[١] . وتلى الفرمان فى مجلس خانية فى حضور مفتى المسلمين ومطران النصارى ليعلم الجميع أنه قرار عام لايجوز أن يستثنى فى تطبيقه قطر من أقطار الدولة العثمانية ، وليس فى الاستطاعة بعد ذلك إعفاء المسيحين فى الجزيرة[٢] .

وليس يفوتنا أن صاحب مصر لم يكن فى استطاعتـه الاستغناء عن موارد الجزية المفروضة على نصارى كريت ذلك لأنها ضمن المخصصات السنوية المفروضة على مصر وملحقاتها تبعث بها إلى السلطان ، لأنها كانت مخصصـة للانفاق على الأسطول العثمانى ، تودع خزانة دار الصناعة فور وصولها[٣] .

ضريبـة العشر :

لم يكن فرض هذه الضريبة من أعمال محمد على ، بل ليس فيها من عمله غير التسمية ، فهى قائمة من العهد العثمانى ، وأصلها مقدار موارد الضياع التى أقطعها الباب العـالى بعض أغواته فى الجزيرة وقيمتها السبع من مجموع مواردها ، والذى فعله محمد على أنه حول تلك الموارد إلى خزانتـه وأسماها ضريبة العشر[٤] . وفى مقدمة محاصيل الجزيرة التى كان يؤدى عنها ضريبة العشر محصول الزيت ، ويليه فى ذلك محصول الحنطة غير المضروبة ، تتمثل الضرائب المحصلة فى حزمة من كل سبع حزم ، وعلى كل زارع أن يقدم من الرجال والدواب ما يلزم لدرس ما عليه من حزم الحنطة[٥] . وانتقد ممثل روسيا السياسى فى خانية ذلك النظا

---

(١) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، الوثيقة ١٩٦ أمر من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٣ ربيع الأول ١٢٥٠ (٢٠ يولية ١٨٣٤) .

(٢) دفتر ٢١٨ عابدين ، مكاتبة ٢٢٢ من تقرير الباشا المحافظ فى ٢٣ ربيع آخر ١٢٥١ (١٨ أغسطس ١٨٣٥) .

(٣) دفتر ٤ عابدين ، وثيقة ٢٣٦ ، لأحمد فوزى باشا أمير البحـر (وزير البحرية) فى ٢٣ شوال ١٢٥٢ (٣١ يناير ١٨٣٧) .

(٤) دفتر ٤٦ معية تركى ، وثيقة ١٣١ إلى محافظ كريت ، فى ١٧ ذى القعدة ١٢٤٨ (٧ أبريل ١٨٣٣) .

(٥) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، ترجمـة الأمر ٢٠٥ فى ٢٥ ربيع أول ١٢٥١ (٢١ يولية ١٨٣٥) .

الذى اتبعته الإدارة المصرية فى تحصيل ضريبة السبع من الحنطة ، ذاكراً أن فيه مضيعة لوقت الزراع ، وأن النظام القديم كان أجدى وأنفع لأنه يوفر على الزارع ما يضيع من وقت فى درس الغلات ، ويرى أنه قد كان يكفى أن يترك للزارع وحده القيام بعملية الدرس بحيث يقدمها خالصة معبأة[1] .

ولم يكن تحصيل ضريبـة العشر قاصراً على الزيت والحبوب فحسب ، بل عدت ذلك إلى ما توافر فى الجزيرة من محاصيل أخرى كاللوز والجوز والخروب فى لواء خانية . على حين اكتفى بتحصيل ربع العشر عن محصول القسطل[2] وسبع العشر عن زيت أشجار الصنوبر فى لواء رسمو[3] .

وفى نهاية الحـكم المصرى فى عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) أسقطت الإدارة الضريبة العينية فى ضريبة العشر[4] . ووافقت على تحصيلها نقداً بواقع ½ ١٢ قرشاً عن كل موزور من الحنطة ، ½ ٧ قروش عن كل موزور من الشعير[5] .

اضطرار محمد على إلى التوسع فى فرض الضرائب :

أحس محمد على بعد لأى بأن حكم هذه الجزيرة قد أخـذ يثقل كاهله يوماً

---

(١) *Le Règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes*, vol. II, 1ère Partie, p. 330, Thoron à Duhamel, La Canée le 13 Juin 1835.

(٢) دفتر ٢١٨ عابدين ، مكاتبة ٨٤ ، ترجمة ما جـاء فى تقرير البـاشا المحافظ اليومى فى ٢ ذى القعدة إلى غاية الشهر ١٢٤٩ (١٣ مارس إلى ١٠ أبريل ١٨٣٤) .

(٣) دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ٨٥ ، إلى محافظ كريت فى ٢١ شعبان ١٢٤٨ (١٣ يناير ١٨٣٣) .

(٤) دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ١٣٠ ، من الجناب العـالى إلى محافظ كريت فى ١٧ ذى القعدة ١٢٤٨ (٧ ابريل ١٨٣٣) .

(٥) محفظة ٢٦٨ عابدين ، وثيقة ١٠٦ ، فى ١٨ شعبان ١٢٥٥ (٢٧ أكتوبر ١٨٣٩) (ولم يكن أمر الإعفاء من ضريبة العشر أمـراً مألوفاً فى الجزيرة على أن هنـاك استثنائية تسترعى الانتباه فى الوثائق خاصة بإعفاء كبير الأطباء بالجزيرة «كبورال» الفرنسى من ضريبة عشر الزيت من أملاكه لمدة سنوات نظراً لما أنفقه من مصاريف وأموال فى سبيل إنشاء معصرة مائية فى أراضيه لزيادة محصول الجزيرة من الزيت : أنظر محفظة ٢٦٨ عابدين ، مكاتبة ٥٠ ، من محافظ كريت إلى المعية ، وأنظر كذلك ما سبق ص ١١٤ (هامش ٢) .

بعد يوم ، وقد كان شديد الاهتمام بأمرها حريصاً على النهوض بحياتها العمرانية والاقتصادية والصحيـة فلم ير بداً من التوسع فى فرض الضرائب ليتمكن من تحقيق آماله . ففرض ضريبـة على مواد الاستهلاك التى تستورد من القرى إلى المدن ، وثانية على كثير من الصادرات وفى مقدمتها الزيوت(١) . وثالثة على ذبح الماشية(٢) ورابعة على تصدير الأصواف والفراء(٣) . وخامسة على تصدير الحرير، وسادسة على تصدير الشمع ، وسابعة على تصدير الخروب(٤) . وثامنة على الخمور سواء منها ما عرض للتجارة وما ادخر للاسـتهلاك الشخصى ، حتى ضاق بذلك أهل الجزيرة وفـكروا فى الامتناع عن تأديتها(٥) .

---

(١) دفتر ١١٩ مجلس ملكى ، مكاتبة ٤٨ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت ٢١ شوال ١٢٥٠ (٢٠ فبراير ١٨٣٥) .

(٢) كان يؤخذ عن الجمل ثلاثين بارة (القرش = ٤٠ بارة) وعن الخروف ستين بارة ، وعن الثور ثمانية قروش .

Aff. Etr., Corr. Cons. Fabreguette au Ministre, La Canée, 31 Decembre 1832.

(٣) تفرض على كل أقة من الصوف خمسة وعشرون بارة ، وعشرون بارة عن كل فـراء للحملان الصغيرة .

Le Règne de Mohamed Aly d'après les archives Russes, vol. II, 1ère Partie, pp. 329-330.

(٤) تفرض على أقة الحرير خمسة قروش ، وعلى قنطار الشمع اثنا عشر قرشاً ، وعلى قنطار الخروب اثنتا عشرة بارة . وعندما احتج قنصل فرنسا على ذلك أخبره المحافظ بأنه لايستطيع أن يفعل شيئاً بهذا الصدد إلا بعد استشارة محمد على ، وكان احتجاج القنصل يقوم على أن هذه الضرائب المتجمدة إنما سيضطر إلى دفعها الأجانب عند تصديرهم هـذه السلع إلى بلادهم لأن البائع الكريتى سيرفع من أسعار هذه السلع ليغطى هذه النفقات الجديدة .

Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, Candie, 2 Oct. 1832.

وكانت ضرائب البدعة فى بادىء الأمر قاصرة على السلع الخارجة من قنديه وحـدها ، ولكنها لم تلبث أن فرضت على السلع الخارجة من خانيه كذلك . وقد أصر فابريجيت قنصل فرنسا فى خانيه على الامتناع عن دفعها وحث ممثله فى قندية بالمعارضة فيها .

Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, Canée, 24 Août 1833.

(٥) أنظر تفاصيل ذلك فى موضوع « فتنة مورنييس ١٨٣٣ » ، ملحق (٤) وتعرف هذه الضريبة بالضريبة الزجرية ، وقدرها أربع بارات عن كل أقة من الخمر ، و ٨ بارات عن كل أقة من العرق ، دفتر ١١٩ مجلس ملكى ، مكاتبة ٢ من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢١ شعبان ١٢٤٨ (١٣ يناير ١٨٣٣) . وانتقد قنصل فرنسا هذه الضريبة فأشار بأن هذه الضريبة تكلف الحكومة أموالا طائلة فى جمعها ، ولذلك فهى فى الواقع لاتحصل منها إلا على ربح طفيف للغاية على حين أنها تثير فى النفوس كثيراً من العداء إزاء الحكم المصرى .

Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, 30 Décembre 1832.

ومعروف أن محمد على عندما زار كريت زورته الأولى ، أعلن فى بيانه الذى ألقاه بمجلس خانيه حرصه على التخفيف عن أهل الجزيرة وذلك عن طريق إعفائهم من ضريبة الضأن(١) . إلا أنه لم يلبث حتى نكث بوعده حين أصر على إعادة فرضها وذلك إثر وقوع فتنة مورنييس(٢) . وأوضح فى كتابه الذى بعث إلى المسئولين فى الجزيرة أن تجاربه مع أهلها قد بينت أن الإحسان إليهم قد أفسدهم وأطمعهم حتى طغوا وظلوا فى طغيانهم يعمهون(٣) . وكان طبيعياً أن يستاء أهالى الجزيرة من إعادة فرض هذه الضريبة ، وتقدم مأمور أسفاكيه يلتمس إعفاء أهلها من تلك الضريبة فثار محمد على وبادر بالكتابة إلى محافظ الجزيرة بأن أهالى أسفاكيه ينبغى أن يكونوا آخر من يطالبه بهذا الإعفاء وأبعد الناس عن بر الوالى لما عرف عنهم من إثارة الفتن والقلاقل ،وأضاف أنه يزمع السفر إلى الجزيرة وفى نيته إعفاء سكان الجزيرة جميعاً من تلك الضريبة (٤).

ولقد أرهقت الضرائب سكان الجزيرة وأثقلت كواهلهم لأنها تضاعفت عن ذى قبل ، فباتوا يعانون من قلة الدخل والعجز عن الإنفاق(٥) .

---

(١) A. Politis, *Les Rapports...*, Annexe XV, pp. 351-353, Ordre du Vice-Roi d'Egypte, La Canée, 4 Aout 1833.

(٢) أنظر موضوع « فتنة مورنييس » الذى سبق الإشارة إليه .

(٣) دفتر ١١٩ مجلس ملكى ، المكاتبة ٢٥ من الجناب العالى (لم يذكر لمن أرسل لابد وأن يكون موجهاً للمحافظ) فى غرة رجب ١٢٤٩ (١٤ نوفمبر ١٨٣٣) .

(٤) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، الأمر ١٩٢ من الجناب العالى إلى محافظ كريت ، فى ١٦ صفر ١٢٥١ (١٣ يونية ١٨٣٥) — وضريبة الضأن عبارة عن بارتين عن كل رأس ، وعن كل مائة رأس قرص من الجبن وحمل أو اثنا عشرة قرشاً بدلا من الحمل ، وخمسة قروش بدلا من قرص الجبن ، وتقدم هذه الضريبة إما عيناً أو بدلا ، دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، الأمر ١١٣ من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٦ ربيع آخر ١٢٥٠ (١٢ أغسطس ١٨٣٤) . وقد زيدت بعد ذلك من بارتين إلى تسع بارات عن كل رأس ، مما أثار أصحاب قطعان الأغنام وتسبب فى سخطهم .

Le Règne de Mohamed Aly, vol. II, 1ère Partie, pp. 329-330 Thoron à Duhamel, Canée, 13 Juin 1835.

(٥) Aff. Etr., Corr. Cons., Annexe à la dépêche No. 28 on 16 Juillet 1834 de Fabreguette au Ministre.

محمد على وسياسة الاحتكار : بوادر تلك السياسة :

كان ممثلو الدول الأوربية فى الجزيرة لا يأمنون جانب محمد على فهم يعرفون مكره ويعرفون نزعته إلى الاحتكار ، ويخافون أن تمتد إلى الجزيرة، بعد أن حققها فى مصر — فساء ظنهم فيه وفى مقدمتهم قنصل فرنسا ، وكان أشدهم دهشة من ذلك وأكثرهم استبعاداً لوقوعه نظراً لما كان يعرفه عن استقامة المحافظ وسلامة مبادئه . كان ذلك فى عام ١٨٣١ ، وكان القنصل فى المورة ، وكانت الشائعات قد بدأت تنتشر على إثر القرار الذى اتخذه مصطفى باشا محافظ الجزيرة بوقف تصدير الزيت. وكان قرار يدل على بعد نظر الرجل وحصافة رأيه وأمانته السياسية ، أصدره لسببين الأول نقص محصول الزيت ، والثانى حرصه على توفير حاجة السكان من الزيت . وحين اطمأن إلى الوفاء بحاجتهم أصدر أمره بحرية التجارة فيه(١) .

وتشاء الظروف أن تتحقق ظنون القناصل الأوربيين، عند ما بدأت السلطات المصرية فى الجزيرة تسلك فيها سلوكاً يدل على نزعة احتكارية صريحة ، وتتذرع إلى ذلك بما اقتضته المعارك الحربية — التى اضطر محمد على إلى خوضها فى المورة بقيادة إبنه إبراهيم — من كثرة الإنفاق الذى أفقر خزانته واضطره إلى التفكير فى تطبيق نظام الاحتكار فى الجزيرة(٢) .

وتظهر آيات ذلك فى محاولات البكوات من مديرى الأقاليم التابعة لمجلس قندية وفى مقدمتها إقليم Mirabella (ميرا بللا) احتكار المحاصيل الزراعية فى أقاليمهم ، وذلك بمنع الزراع من حرية التصرف فى محاصيلهم بالبيع إلا لأولئك البكوات .وعلى الذين تسرعوا منهم بالبيع لغير البكوات لقاء عربون، ألا يتصرفوا فى بيع محاصيلهم إلا بقدر ما يساوى ما تسلموا من عربون . وواضح من تصرف البكوات ، أنهم كانوا يهدفون به إلى الحصول على أرزاق الزراع بثمن بخس .

(١) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre (Rapport), La Canée 3 Septembre 1831.

(٢) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, La Canée, 3 Sept. 1831.

هنالك لجأ الزراع إلى قنصلى بريطانيا وفرنسا يشكون سوء أحوالهم ، فبادرا بالاتصال بمحافظ الجزيرة الذى لام البكوات على تصرفهم هذا وأمرهم بالعدول عن سياسة الاحتكار ، وذلك عام ١٨٣٢ .

وحين اجتمع به أعضاء مجلس قنـدية بينوا له أن سلوك الزراع فى بيع محاصيلهم قبل موعد الحصاد لقاء دفع العربون يضر بصالح السكان ،أصدر أوامره إلى الزراع بالـكف عن هـذا السلوك والاستعاضة عن البيع مقدماً بالاستدانة من الحـكومة ، وتوقيع العقاب على من يخالف ذلك[1] . وبادر مجلس خانيه فاتخذ مثل هذا القرار .

وكان لهذين القرارين أثر سيىء على حياة الزراع والتجار فى آن معاً ، فالزارع لا يجد ما ينفق على الحصاد إلا عن طريق الاستدانة ، ولم تكن سبيل ذلك هينة ولا ميسورة ، وإنما هى مضنية ، بل معجزة أحياناً ذلك لأن الموافقة على القرض لن يتم إلا إذا تعهد بتسليم بعض محصوله . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعدى الزارع إلى التاجر ، الذى لم يستطع فى هذه الحال أن يدبر أمر اتجاره مع الخارج لأنه لم يكن فى مقدوره أن يعرف مقدار ما يصل إليه من محاصيل الزراع .

وظاهر أن السلطات قد عمدت إلى التضييق على الزراع هادفة إلى تحقيق مصالحها وخدمة أغراضها دون مراعاة مصالح الزراع .

وصدق ما تنبأ به القنصل الفرنسى — كما أشرنا آنفاً[2] — من أن محمد على كان صادق العزم على تنفيذ سياسة الاحتكار التى سلـكها فى مصر بالنسبة لسكان الجزيرة . فمنذ عام ١٨٣٢ أخذ يعمل على اخضاع المجالس لرغباته عن طريق

---

(١) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, Candie, 30 Octobre 1832.

(٢) أنظر ماسبق فى ص ١٢٨ وهو ما جاء فى تقرير فابريجيت المشار إليه فى هامش (١) من هذه الصفحة — وكذلك فى :
Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, La Canée, 30 Décembre 1832.

التخويف والإرهاب ، وفرض الرقابة على رسائل الشكوى والتظلم حين أمر بتلاوتها علناً فى المجالس ، ليؤخذ أصحابها بالعنف والشدة . وتمكن بذلك من القضاء على حرية الرأى ومناقشة أمور الرعايا وبات أعضاء المجالس مسلوبى الرأى والإرادة خاضعين لرأى رؤسائها الذين كانوا ينفذون رغبات الجناب العالى(١) . وقد استطاع بسلوكه هذا أن يحصل على موافقة المجالس على بعض ما فرض من ضرائب دون معارضة .

ولما رأى محمد على أن حصيلة الضرائب المفروضة لا تفى بحاجاته إلى الانفاق على إدارة الجزيرة نازعته نفسه إلى السيطرة عليها وجعلها ملكاً خاصاً له(٢) . ولقد وضحت سياسة الرجل فى قرارات مجلس خانية التى صدرت على أثر زيارته الأولى للجزيرة عام ١٨٣٣ . نقول وضحت سياسته على الرغم من تصريحاته التى قصد بها إلى تهدئة الخواطر وتطييب النفوس ، وإن كنا نعتقد أنه كان يخفى من سياسته غير ما أبدى . فهو قد أوصى إلى المجلس المشار إليه أن الغرض من زيارته

---

(١) فنفى لأتفه الأسباب أحد أعضاء مجلس قنديه وآخر من مجلس خانيه إلى كرابوز
Le Règne de Mohamed Aly, vol. I, 1ère Partie, p. 46.
وقد أشار « باورنج » Bowring فى تقريره أن أعضاء المجلس كانوا يتأثرون برأى رئيس المجلس فلا يجرؤون على معارضة أى مسألة هامة ، بل كان الأعضاء وخاصة اليونانيين يقترحون التصويت والموافقة على كافة الاجراءات التى من شأنها زيادة دخل الحكومة ليظهروا للجناب العالى إخلاصهم وغيرتهم على مصالحه ومكاسبه .
Bowring's Report on Candia, p. 156.

(٢) *Le Règne de Mohamed Aly...*, vol. II, 1ère Partie, pp. 44-50, Thoron à Duhamel, Crète le 8 Septembre 1833.
يرثى طورون فى خطابه هذا لحال اليونانيين من سكان كريت وما نزل بهم من نكبات طوال عشرة أعوام الثورة عند مشاركتهم ليونانيى المورة فى حركتهم الثورية ، يرثى لحالهم لأنهم لم يحققوا بعد ذلك أمانيهم القومية بوقوعهم من جديد تحت الحكم العثمانى . وهو يشير فى الوثيقة نفسها إلى أن محمد على الذى آل إليه حكم الجزيرة قد أوهم الدول الأوربية فى بادىء الأمر بما انشأه من مجالس مشتركة فيها أنه إنما يراعى مصالح الكريتيين — إلا أنه لم يلبث أن تحول عن هذه السياسة عندما بدأ يطبق الأنظمة المصرية فى الجزيرة . ويصل حقد طورون على محمد على أن يصفه بالغش والجشع والخداع :
"Mohamed Ali ne sera donc plus désormais qu'un fourbe, adroit et heureux sous l'enveloppe d'un tyran aride et cruel", p. 48.

حرصه على تشجيع الزراع للنهوض بأحوال الجزيرة ، وآية ذلك أن يصدر أوامره بإعداد قوائم بأسماء زراعها الأغنياء منهم والفقراء على السواء فى كافة القرى والأقاليم ، لينظر فيها هادفاً إلى تنسيق العمل والتعاون بين الفريقين ، بحيث يعين غنيهم فقيرهم ، وليبذل الفقير لقاء ذلك كل ما يملك من جهد فى العمل على تنمية موارد من يخدمون من ذوى اليسار ، كما أصدر أوامره بنقل من يضيق بهم مجال العمل من قرية إلى قرية ، وأشار على الحكومة أن تتخير فى المناطق الزراعية أحسن أنواع الزراعات التى تزكو فى الأراضى الواقعة فى أودية الأنهار . وطلب إليها أن تلتزم تنفيذ ما أشار به .

رفع النقاب عما ستر محمد على من نزعته إلى سياسة الاحتكار :

وليس أدل على نزعة الرجل إلى امتلاك أرض الجزيرة ، ورفع النقاب عما حاول ستره بما أصدر من قراراته التى أسلفنا من أنه يصدر القرارين التاليين أولهما ينص على أن كل مالك لا يستثمر ما بين يديه من أرض للزراعة كما ينبغى يكلف بتأدية ضريبة السبع عنها أياً كانت غلاتها . وينص ثانيهما على أن المالك الذى يهمل بعض ما بين يديه من أرض الزراعة ثلاثة أعوام يعاقب بانتزاعها منه فى السنة الرابعة ، فتؤول إلى غيره ، ولن يكون لمالكها من غلاتها بعد ذلك غير ربع ما تغل وفى ذلك ما يشير إلى أنها أصبحت من أملاك التاج .

ولما كان واضحاً أن عدد سكان الجزيرة لا يكفى لاستثمار أراضيها الزراعية على النحو الذى أراده محمد على ، وفى ضوء القرارات التى أصدرها ، وكان من بين تلك الأراضى ما وقع منها فى سهل « مسارا » Messara الخصيب مما أهمل استثماره على إثر أحداث ثورة الاستقلال اليونانية . فقد بات من الواضح أن القرارات التى سبقت الإشارة إليها قد مكنت الحكومة من أن تضع يدها على

ما يربو على النصف من أصلح الأراضى الزراعية بالجزيرة[1] . ويذهب الممثل الروسى « طورون » Thoron فى تفسيره لسياسة محمد على إلى أبعد من ذلك حين يقول إن محمد على بسلوكه هذا إنما يضع يده على نحو أربعة أخماس أراضى الجزيرة . وهو يدلل على صدق تفسيره لتلك السياسة أن استثمار أراضى الجزيرة يحتاج إلى نصف مليون من الأيدى العاملة على حين أن كافة سكان الجزيرة لا يجاوز عددهم ١٠٠٫٠٠٠ ، ويزيد على ذلك أن الخمس الباقى من أراضى الجزيرة لن يبقى طويلاً فى أيدى أصحابه لأن محمد على عازم على تطبيق القوانين التى طبقها فى مصر على أهل الجزيرة[2] .

ونستطيع أن نتصور مقدار الفزع الذى أثارته القوانين التى أصدرها محمد على فى نفوس الكريتيين والتى ينتظر أن يكلف بتطبيقها عماله الذين طبقوها فى مصر ، لأن آية ذلك فى رأيهم أن محمد على يريد أن يصبح الحاكم المطلق فى الجزيرة على الرغم من الفرق بين طبيعة أرض مصر السهلة التى مكنته من السيطرة على أهلها حتى غلبوا على أمرهم ، وطبيعة الجزيرة الجبلية التى قد لا تمكنه من أن يغلب الجبليين على أمرهم وآية ذلك أن ما نزل بنفوسهم من فزع لم يلبث حتى أدى إلى قيام فتنة مورنييس[3] .

التجـــارة :

ولما أخفق محمد على فى تنفيذ سياسته الزراعية الاحتكارية بسبب عناد أهل الجزيرة ، الجبليين من ناحية ، ومناصرة الدول الأوربية لأهل كريت من ناحية أخرى — لجأ إلى تحقيق أغراضه الاحتكارية عن طريق التجارة وذلك بمنح

---

(١) Pashley, *Travels in Crete*, vol. I, pp. XXXII-XXXIII.

(٢) *Le Règne de Mohamed Aly*..., vol. II, lère Partie, p. 47, Thoron à Duhamel, Crète, le 8 Sptembre 1833.

سبق الإشارة إلى هذه الرسالة فى هامش (١ ، ٢) من ص ١٣٠

(٣) Pashley, *Travels in Crete*, vol. I, pp. XXXIII-XXXIV.

أنظر كذلك « فتنة مورنييس ١٨٢٣ » ، ملحق (٤)

بعض الأفراد الامتيازات الخاصة باحتكار بعض السلع الاستهلاكية . ومن ذلك إرساء مزاد بيع التبغ على أحد الأفراد لقاء مبلغ ١٤٠٫٠٠٠ قرشاً سنوياً . وهو أمر لم يكن مألوفاً لدى أهل الجزيرة من قبل[١] . وبذلك حل الملتزم محل السلطات فى التزام طباق خانية[٢] . ودخل فى باب الالتزام كما تشير الوثائق المصبغة ، ومعمل الشمع ، وتحميص البن والمنحر فى خانية [٣] . ثم مخارط الخشب لقاء مبلغ ٣٧١٠٠ قرشاً سنوياً[٤] . ثم ٣٧٫٥٠٠ قرشاً لقاء التزام الفحم فى خانية وإسفاكية . وبان للسلطات أنها أفادت من نظام الالتزام أكثر مما كانت تفيد من إدارتها تلك المرافق[٥] . ولم يقف أمر الالتزام عند حد ماذكرنا وإنما تشير الوثائق أنه عدا ما ذكرنا من أقاليم إلى قندية ورسمو فوقعت دار التحميص[٦] ، والمناحر[٧] تحت نظام الالتزام . فبلغ التزام مواخير قندية عن سنة مبلغ ٥٨٫٠٠٠ قرشاً[٨] ، وبلغ التزام عوائد أبواب رسمو مبلغ ستة آلاف قرش سنوياً[٩] .

---

(١) دفتر ٤٦ معية تركى ، رقم ٨١ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢١ شعبان ١٢٤٨ (١٣ يناير ١٨٣٣) وهناك وثيقة تشير إلى الشروط الثمانية التى أقرها مجلس خانية بخصوص التزام بيع الدخان ، دفتر ٢١٨ عابدين ، قرار ٣ بدون تاريخ (التقارير الواردة من كريت) .

(٢) دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ٢٠٢ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت ، فى ٢٧ صفر ١٢٤٩ (١٦ يوليو ١٨٣٣) .

(٣) دفتر ٢١٨ عابدين ، وثيقة ٥٦ بدون تاريخ (مجلس خانية) .

(٤) دفتر ٢١٨ عابدين ، مضبطة ٣١ بدون تاريخ فى الغالب فى عام ١٢٤٨ (من قرارات مجلس خانية) .

(٥) (إذ أنها لم تكن تحصل منه عند إدارتها له أكثر من ١٠٫٠٠٠ قرش) دفتر ٢١٨ عابدين ، وثيقة ٩٠ ما جاء فى مضابط خانية فى ٧ ربيع أول ١٢٥٠ (١٤ يولية ١٨٣٤) .

(٦) دفتر ٢٢٢ عابدين ، وثيقة ٢٤٧ من الجناب العالى إلى محافظ كريت ، فى ٣ جمادى الثانية ١٢٥٣ (١٤ سبتمبر ١٨٣٧) .

(٧) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، مكاتبة ٣٦٠ من الجناب العالى إلى محافظ كريت ، فى ١٥ محرم ١٢٥٣ (٢١ أبريل ١٨٣٧) .

(٨) دفتر ٢١٨ عابدين ، ترجمة المضبطة ٢٩ ، فى ١٣ جمادى الآخر ١٢٤٨ (١٣ ديسمبر ١٨٣٢) .

(٩) دفتر ٢١٨ عابدين ، ترجمة المضبطة ٢١ بدون تاريخ (من الأرجح فى ١٢٤٨ — ١٨٣٢ — ١٨٣٣) .

ولم يكن مصطفى باشا محافظ الجزيرة — وهو من رجال محمد على المستنيرين ، بل كان أوسعهم أفقاً ، وأكثرهم إدراكاً لسياسة الجزيرة ، وأعرفهم بطبائع أهلها ومشاعرهم ، بل أكثرهم وعياً باتجاهات الأوربيين وأشدهم صلة بمفاهيم السياسة منهم لوضع الجزيرة وآمالهم فى مستقبل سكانها — مستريحاً لسياسة الالتزام . كما كان يدرك أشد الإدراك الدوافع التى ألجأت الجناب العالى إلى مسلكه السياسى إزاء سكان الجزيرة إذ كان يلمس حاجته الملحة إلى المال ، ويتتبع سياسته فى مصر إلى إرضاء هـذه الحاجة . ويدرك فى الوقت نفسه سوء العاقبة المنتظرة من وراء هذا المسلك . ويشهد عن كثب أن من نتائج هذه السياسة ارتفاع نفقات المعيشة إلى حد دفع بعض نزالها من الأوربيين إلى الرحيل عنها . فهم قد جاءوا إليها طمعاً فى ممارسة التجارة . فوجدوا أمامهم من القيود ما زهدهم فيها ورغبهم عنها . ولم يعد حق التجارة فى سلع الجزيرة من طباق وجلود وخمور حقاً مطلقاً وإنما هو فى أيدى قلة من الأفراد يتحكمون فى بيعه وتقييمه ، كما يتحكمون فى أسعار الواردات من السلع .

ويرى المحافظ كل ذلك ، ويدرك عواقبه ، ويظهر عدم ارتياحه لذلك ، ويبذل قصارى جهده فى إقناع الجناب العالى بالعدول عن هذه السياسة . ولـكنه لا ينجح فى الوصول إلى ما أراد ، ذلك لأنه كان محوطاً بطائفة من قصيرى النظر ومن أصحاب الأغراض الطامعين فى إرضاء الجناب العالى ، ومنهم قائد حامية الجزيرة ورئيسى المجلسين الـكبيرين مجلس خانية ومجلس قندية ، ومن حولها طائفة من كبار موظفى الجمارك الذين لم يفتروا لحظة فى الـكتابة إلى الجناب العالى محذرين إياه من الاستماع إلى آراء المحافظ متهمين إياه بميوله إلى الأوربيين ، وانقياده إلى آرائهم الاستعمارية .

الرسوم الجمركية : كانت الدولة العلية —قبل أن يصل حكم الجزيرة إلى محمد على— قد نظمت الرسوم الجمركية فى الجزيرة فى ضوء المعاهدات المبرمة بين الباب العالى

ودول أوربا لتنظيم أمور التجارة ، ولأمر ما لم تسوى فى تحصيل الجمارك بين تلك الدول بل ميزت روسيا بالتخفيض ، بحيث لم يزد ما يحصل على الوارد منها على ٣٪ على حين ظلت الدول الأخرى تدفع أكثر من ذلك[١] وذلك أمر أزعج الدول الأوربية التى لم تر مبرراً لتمييز الروس عليها . فلما شكت من ذلك ، ورد عليها بأن التمييز إنما بنى على اتفاق خاص بين الدولة العلية وروسيا، لم يرضهم ذلك ، ولم يقنعهم حتى تكرر امتناعهم تأدية الرسوم بحجة أنها مرتفعة[٢] وظلوا يعاودون سلوكهم هذا وارتفعت صيحاتهم محتجين حتى بلغت الباب العالى[٣] ولم ينته تنظيم الرسوم إلا بين يدى محمد على كما سنرى فيما بعد ، حيث وحد هذه الرسوم فأرضى بذلك بقية الدول وساوى بين روسيا وانجلترا وفرنسا[٤] والنمسا[٥] .

وعلى الرغم من ذلك التحديد الذى ذكرنا كانت مصلحة الجمارك فى الجزيرة تسير فى التحصيل حسب هواها ، فتفلت من قيود المفروض من تشاء ، حتى شكا قنصل الروسيا فى الإسكندرية من هذا التصرف إلى الجناب العالى وبين له ارتفاع الرسوم على ما يصدر إلى بلاده من زيت الجزيرة وصابونها[٦] .

---

(١) ١٢٥ مجلس ملكى عالى ، الأمر ١٧٧ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٥٠ (٢١ أبريل ١٨٣٥) .

(٢) ١٢٥ : مجلس ملكى عالى ، الأمر ١٩٣ من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٦ صفر ١٢٥١ (١٣ يونية ١٨٣٥) .

(٣) محافظ ١٠٨ عابدين ، من الصدر الأعظم رؤوف باشا إلى محمد على ، الوثيقة المؤرخة ١٦ جمادى الأولى ١٢٥٢ (١٩ أغسطس ١٨٣٦) .

(٤) ١٢٥ مجلس ملكى ، مكاتبة ٣٢٩ ، أمر من الجناب (العـالى) إلى محافظ كريت فى ١٨ رجب ١٢٥٢ (٢٨ أكتوبر ١٨٣٦) .

(٥) ١٢٥ مجلس ملكى ، مكاتبة ٣٣١ أمر من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى آخر رجب ١٢٥٢ (١٠ نوفمبر ١٨٣٦) .

(٦) ١٢٥ مجلس ملكى، الأمر ٢٩٧ أمر من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٣ ربيع أول ١٢٥٢ (٨ يوليو ١٨٣٦) (فتشير الوثيقة إلى أن هذه الرسوم بلغت ٣١٣٤ قرشاً مع أنها وفقاً للتعريفة المرسومة لم تكن لتزيد على ٤٩٥ قرشاً ، وكذلك طالب قنصل الروسيا بالأسكندرية رد المبلغ الباقى لوكيل قنصل روسيا المقيم فى قندية) وفسر محافظ الجزيرة هذه المخالفة على =

ولما كانت الرسوم الجمركية عنصراً هاماً من عناصر إيراد الجزيرة المصرية ، اهتمت الحكومة بتنظيمها على أساس المساواة ، ولم تفرق فى ذلك بين المسيحيين والمسلمين والشيء الذى لا شك فيه هو أن محمد على قد كان حريصاً كل الحرص على أن يخطب ود الدول الأوربية ويكسب رضاها ، ويشعرها بأن الجزيرة فى يده وتحت رايته خير منها لهم فى يد الدولة العثمانية وتحت رايتها — ولم يفته مطلقاً أن رضا الدول الأوربية ، كفيل بأن يمكن لسلطانه على الجزيرة . فحدد الرسوم الجمركية بالنسبة لتلك الدول على أساس ٣٪ وجعلها قاعدة عامة ، وكان من جراء ذلك أن يتمتع مسيحيو الجزيرة بخفض ما كان مفروضاً عليهم من ٤٪ إلى ٣٪ ، وأن يبتئس المسلمون فيها بما فرض عليهم من زيادة أدت إلى رفع المفروض عليهم من ٢٪ إلى ٣٪ واستطاع بذلك أن يعفى نفسه من أمرين خطيرين ، الأول تهمة التعصب للمسلمين ، والثانى تلك الخسارة التى كانت التفرقة فى المعاملة إذ كان غير المسلمين يلجأون إلى تمرير أرزاقهم وبضاعتهم بإسم المسلمين ، ليعفوا أنفسهم من فرق الرسوم المفروضة .

وفى ذلك ما فيه من خسارة فى موارد الخزانة . وتوكيداً لهذا النظام الجديد أصدر الجناب العالى (محمد على) أمره إلى محافظ الجزيرة بإذاعة النشرات الخاصة بهذا النظام إلى كافة موانى الجزيرة[1] .

= ضوء ما وصله من معلومات من المختصين فى الجمارك الذين تبينوا تفاهة الرسوم المقررة ، وما تتسبب فيه من خسائر فادحة للحكومة ، وما ينتج عنها من تشبث قناصل الدول الأخرى بحقهم فى دفع رسم جمركى مماثل لرسوم روسيا ولذلك قرروا إضافة ١٨ بارة عن كل جرة زيت ، ٣٥ بارة عن كل قنطار من الصابون : أنظر ٢١٧ عابدين ، تقرير ١٣٦ مستخرج من تقارير محافظ كريت فى ١٨ ربيع آخر ١٢٥٢ (٢ أغسطس ١٨٣٦) — وقد حذر الجناب العالى عندئذ محافظ كريت من تحصيل الرسوم الجمركية مضاعفة :

أنظر ١٢٥ مجلس ملكى ، مكاتبة ٣٣٠ ، أمر من الجناب العالى إلى محافظ كريت ، فى ١٧ رجب ١٢٥٢ (٢٨ أكتوبر ١٨٣٦) .

(١) ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ٣٤ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت ، فى ١٤ جمادى آخر ١٢٤٨ (٨ نوفمبر ١٨٣٢) .

على أن محمد على الذى فعل ما فعل مما مر بنا من وصف سياسته لم ينس لليونانيين من أهل الجزيرة ما كان من سلوكهم المرذول وإثارة الفتن التى واجهوا بها سلطانه فى الجزيرة . واليونانيون فى الجزيرة قد كانوا أصحاب نشاط تجارى متصل ، ويمارسونه مستعينين بزوارقهم الصغيرة ، يتنقلون عليها فى البحر بين مختلف الشواطىء الأوربية ، وجزر الأرخبيل ، يحملون إليها من محاصيل الجزيرة : زيتها وصابونها و برتقالها فى سبيل الحصول على القمح والشعير من تلك البقاع(١) .

ومن الحق علينا أن نقرر أن نشاط اليونانيين فى مجال التجارة على النحو الذى قدمنا قد كان عنصراً هاماً فى إيراد الخزانة كل أولئك — على الرغم مما كانوا يلقون من عنت السلطات المسئولة فى الجزيرة . على حين يلقى إخوانهم فى مصر أحسن ما يعامل به الغريب النازح . فقد كان يونانيو الجزيرة فى ظل الحكم المصرى يلقون من المعاملة عكس ما يلقى نظراؤهم فى مصر مما يعوق نشاطهم التجارى فى الجزيرة(٢) .

---

(١) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au ministre, La Canée 20 Janvier 1832.

(٢) A. Politis, *Les Rapports...*, p. 5, Requête des Crétois Héllènes de Candie aux Agents Consulaires de Grande Bretagne, de France et de Russie, Candie, 3 Juin 1833.

فى هذه العريضة التى تقدم بها الكريتيون اليونانيون إلى قناصل إنجلترا وفرنسا وروسيا أشاروا إلى بعض ما تفرضه عليهم السلطات المحلية بالجزيرة من قيود تمنعهم من مبارحة قندية لقضاء بعض حاجاتهم ، وحق بيع ممتلكاتهم دون وجه حق مع أن أتراك « أتيكا » وجزيرة « يوبيه » لا يلقون من السلطات اليونانية مثل هـذا العنت ، وذلك مع العلم بأن القائمين على إدارة الجزيرة يلمسون مدى نشاط هؤلاء الرعايا اليونانيين فى ميدان التجارة وما يترتب عليه من ربح وفير للخزانة المصرية على الرغم مما يلقون من عقبات وصعوبات .

وقد بلغ مركز الكريتيين اليونانيين فى الجزيرة من الحرج والدقة أن محمد على نفسه قد صرح لقناصل الدول فى الجزيرة أثناء زيارته الأولى لكريت بأنه لن يسمح — مهما كانت المعاذير — لأى كريتى يونانى بالبقاء فى الجزيرة ومن ثم بات مركزهم مهدداً — كما أخذت شكاويهم وعرائضهم تترى على قناصل الدول الأوربية . وقد بذل ستيليانوس بروجلو Stylianos Peroglou الذى عين قنصلا لليونان بالجزيرة فى خريف ١٨٣٣ جهوداً =

كانت قندية أيام حكم العثمانيين ثغر الجزيرة الأول . فلما آل حكم الجزيرة إلى محمد على فقدت قندية مكانتها ، وغدت « خانية » ثغر الجزيرة ، وكانت خليقة بذلك . فمرساها أصلح ، وإقليمها أغنى وأخصب . هنالك انتعشت فيها حركة التجارة وباتت السلع تتدفق عليها(١) .

= متواصلة لتسوية مشاكل اليونانيين بالجزيرة . ومكاتباته إلى « طوسيجه » (Tossizza) قنصل اليونان فى مصر مليئة بالشكوى من معاملة الإدارة المصرية للرعايا اليونانيين بالجزيرة ومحاولتها إلزامهم ترك الرعوية اليونانية .

(*Ibid.*, pp. 41-42, Peroglou à Tossizza, Canée, 2/14 Feb. 1835).

وفى عام ١٨٣٦ زف « طوسيجه » لبروجلو نبأ إقلاع الإدارة المصرية بالجزيرة عن محاولتها طرد اليونانيين الكريتيين من الجزيرة لتعارض ذلك مع علاقات الصداقة بين مصر واليونان .

(*Ibid.*, pp. 75-76, Tossizza à Peroglou, Alex., 21 Mai, 2 Juin 1836).

على أن شكوك محمد على فى الرعايا اليونانيين لم تكن على غير أساس . ففى خريف ١٨٣٨ قدم أحد اليونانيين الكريتيين المدعى Bicostratis من جزيرة « ميلو » Milo فنزل فى قرية « سانت روميلى » St. Roumeli بين « اسفاكيا و سلينو » ، وكان غرضه إثارة السكان على الحكم المصرى .

(*Ibid.*, pp. 164-165, Peroglou à C. Zographos, La Canée, le 29 Septembre - 11 Octobre 1838).

وقد أثار ذلك مخاوف اليونان ، فحذر « بروجلو » من عواقب ذلك الأمر وما قد يجره على اليونانيين فى الجزيرة من اضطهادات واعتقالات وضحايا ومصادرات كتلك التى وقعت نتيجة لأحداث ١٨٣٣ .

(*Ibid.*, p. 167, C. Zographos à Peroglou, Athènes, 2/14 Octobre 1838).

على أن هذه الحركة لم تسفر عن شىء ، كما أن الحكومة اليونانية استطاعت عن طريق قنصلها فى كريت أن تقضى على شكوك الباشا التى أثارتها عصابة « بيكوستراتيس » .

(*Ibid.*, pp. 194-195, Peroglou à Tossizza, La Canée, le 16/28 novembre 1838).

(١) C.R. Scott, *Rambles in Egypt & Candia*, pp. 260-261.

وتظهر هذه الحقيقة واضحة من كشوف حسابات إيرادات جمارك السلع المصدرة والواردة إلى هذين الثغرين وثغر رسمو عن سنوات ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ .

فبلغت إيرادات جمرك قندية عن وارداتها ١٤١٤ر٠٦٨ر١٢ ، بينما إيرادات جمرك خانية عن وارداتها ٩ ٧ ٧ر٢ ٦٧ر٢٤ ، أما إيرادات جمرك رسمو عن للواردات ٧٧٠ر١١٨ر٢ .

وبلغت إيرادات جمرك قندية عن الصادرات ٣٢٤ر٥١٤ر٣ بينما إيرادات جمرك خانية عن صادراتها ٢٣٧ر١٣٦ر١٦ ، أما إيرادات جمرك رسمو عن الصادرات فهى ٥٠٣ر١٣٠ر٧ .

ويلاحظ فى هذه الاحصائيات مدى زيادة الواردات على الصادرات فى كل من ثغرى =

صـادرات الجزيرة :

لم تـكن صادرات الجزيرة غنية ولا وفيرة ، وإنما كانت فى الواقع قليلة ، أهمها الزيت والصابون ، ثم العسل والبرتقال والشمع والليمون وبعض الفواكه ، ثم قدر يسير من الحـرير الخام[1] . وقليل من الصـوف . وأخيراً الخرنوب (الخروب) وبعض اللوز والزبيب ثم الجبن .

فأما الزيت فبلغ ما كان يصدر منه سنوياً ٢٥٠٫٠٠٠موزور[2] . وقد كان فى مقدمة صادرات الجزيرة تطمع فيه الدول المختلفة ولا سيما فرنسا ، ويتنافس قناصلها وممثلوها فى الحصول على أكبر قدر منه .

أما الصابون فبلغ ما كان يصدر منه سنوياً حوالى ٥٠٫٠٠٠ قنطاراً ، كما بلغت الصادرات من البرتقال والليمون ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ أقة ، ومن الخرنوب ٤٠٫٠٠٠ قنطاراً ، ومن العسـل ٩٠٫٠٠٠ أقة ، ومن الشمع ١٠٫٠٠٠ أقة ، ومثلها من اللوز ، والزبيب ٣٠٠٠ قنطـاراً ، ومن الجبن ٥٠٫٠٠٠ أقة ، ومن الأصواف ما يزن ٤٫٥٠٠ قنطاراً . ولم يزد ما كان يصـدر من حريرها الخام على ١٠٠٠ أقة[3] .

أهم الدول المستوردة :

كانت مصر فى مقدمة الدول المستوردة من محاصيل الجزيرة . وكان الزيت

= خانية وقندية إلى جانب ملاحظة زيادة الأثنين فى خانية عنهما فى قندية ، أما ثغر رسمو وهو أقلها إيرادات جميعاً فيلاحظ أن إيرادات جمرك رسمو عن الصادرات تزيد عن الخاصة بالواردات .

أنظر كشوف رقم ١٠٩ من ٧١٨ وارد عابدين، عن إيرادات جمارك قندية وخانيه ورسمو .

(١) C.R. Scott, p. 315.

(٢) اتضح من الوثائق فى عابدين أن الموزور عبارة عن عشر أقات ، ويرمز إلى الموزور فى الوثائق الفرنسية بالمستاش Mistache .

(٣) *Diplomatic Documents Concerning Affairs of Egypt, Campbell's Report on Candia*, 1833, p. 136.

والزيتون — وهما من أجود محاصيلها — فى مقدمة ما تستورد(1) . ولما علم محمد على برخص أسعار الحرير فى الجزيرة(2) طمع فى استيراد أكبر قدر منه ، فأنفذ أمراً إلى محافظها بألا يفرط فى شىء من الحرير الذى تنتجه الأقاليم التى تديرها الحكومة(3) . وفى عام ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣) طالبت حكومة مصر بكافة الناتج من معامل تلك الأقاليم وقد صدر إليها فعلاً(4) .

وتشير الوثائق إلى شدة اهتمام حكومة مصر بحرير الجزيرة على قلته ولا أدل على ذلك من أن تجعل على مصلحة الحرير فى الجزيرة ناظراً مصرياً يدعى حافظ أفندى . بادرت بتعيينه عقب وفاة سلف له كان يدعى أحمد أفندى . وزيد على ذلك أن أوصى محافظ الجزيرة بتعيين وكيل لتلك المصلحة اختاره من ذوى الخبرة من أعضاء المجلس(5) .

الجلود :

ولما رأى محمد على شدة حاجة مصر إلى الجلود ، أخذ يمد بصره إلى الجزيرة

---

(١) أنظر مدى إهتمام مصر بكل من الزيت والزيتون وسياستها ازاء المحصولين فيما تقدم ص ١٠٩ — ١١٧ .

(٢) إذ بلغ سعر الأقة منه فى عام ١٢٤٦ مبلغ ٩٥ قرشاً كما بيع منه ١٤٢ أقة ، دفتر ٤٦ معية تركى ، الوثيقة ١ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٢ ربيع ثانى ١٢٤٨ (١٨ سبتمبر ١٨٣٢) .

(٣) الوثيقة السابقة ، دفتر ٤٦ معية تركى ، الوثيقة ١ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٢ ربيع ثانى ١٢٤٨ (١٨ سبتمبر ١٨٣٢) .

(٤) دفتر ٤٦ معية تركى ، الوثيقة ١٦٩ من الباك الافندى إلى محافظ كريت فى ٧ محرم ١٢٤٩ (٢٧ مايو ١٨٣٣) فصدر إلى مصر من الحرير ما وزنه ١٢٣ أقة ، ٢٢٠ درهما (دفتر ١١٩ مجلس ملكى ، المكاتبة ١٨ ، من المعية السنية إلى ركى أفندى ، فى ٥ رجب ١٢٤٩ (١٨ نوفبر ١٨٣٣) .

(١) دفتر ٨١٤ ديوان خديو تركى ، المكاتبة ٣٧ ، فى ٢٧ شوال ١٢٥١ (١٥ فبراير ١٨٣٦) ؛ ولم يكن بالجزيرة إلا بعض مناسج صغيرة للحرير S.R. Scott, *Rambles in Egypt & Candia*, p. 292.

ويفكر فى اتخاذها حقلاً لتنمية هذه الثروة ، ويستورد إليها أجود أنواع الضأن من جنيف[١] . ولكنه لم يلبث حتى أدرك أن جلد المعز أفضل وأجود ، وأن الانفاق على تربية المعز ، واستغلال جلوده أقل بكثير من الانفاق على تربية الضأن واستغلال جلوده ، فجعل المعز مكان الضأن . واكتفى باستيراد جلد المعز[٢] . وانتهى به الأمر إلى سياسة احتكار هذه السلعة فجعل تصديرها قاصراً على مصر ، وكتب إلى محافظ الجزيرة يحرم عليه بيع جلود المعز ، ويأمره بتصديرها إلى مصر[٣] .

ثمار البلوط :

ولم يفتر محمد على فى استغلال محاصيل الجزيرة ، فلم يكد يتبين ما يثبت فى أرضها من شجر السنديان (البلوط) وما يمكن أن يفيد من ثمره فى الصباغة . وبخاصة صباغة الطرابيش حتى بات يفكر فى استغلال ذلك الثمر إلى أبعد مدى . وآية ذلك أن يختار بعض الخبراء بجمع تلك الثمار من أهل الشام ثم يبعث بهم إلى الجزيرة ليعلموا أهلها صنعة الجمع ثم يعودوا إلى بلادهم من بعد ذلك[٤] وكان عدد من اختار من الخبراء خمسة ، وزعهم بين المناطق التى يكثر فيها ذلك الشجر ،

(١) فتشير إحدى الوثائق إلى تسليم ٢٥٣ رأساً وتوقع وصول ٥٥٠ أخرى ، ٨٨ معية تركى ، الأمر ١٢٥ فى غرة ذى القعدة (٧ فبراير ١٨٣٧) — ولا أدل على اهتمام مصر بالحصول على هذه الجلود من مطالبتها بـ ٢٠٠٠٠ قطعة فى بادىء الأمر كما هو مبين فى إحدى الوثائق حيث تشكو مصر إلى محافظ كريت عدم إرسال ما اتفق عليه من جلود والاكتفاء بارسال ٨٨٩١ قطعة فقط وتطالب بالباقى (١١١٠٩) .

(٢) دفتر ٢٢٤ عابدين، المكاتبة ١٢٨ فى ٦ ربيع الأول ١٢٥٥ (٢٠ مايو ١٨٣٩).

(٣) وتبين بعد ذلك أن القطع المقرر إرسالها إلى مصر قد ازدادت فبلغت الضعف ٤٠٠٠٠ من جلد الماعز ، ٢٢٤ عابدين ، المكاتبة ١٣٦ من قلم الإيراد إلى محافظ كريت فى ١٩ ربيع أول ١٢٥٥ — (٢ يونيو ١٨٣٩) محفظة ٢٦٨ عابدين ، مكاتبة ٥١ حمراء ملف كريت ، فى ٢١ ربيع آخر ١٢٥٥ (٤ يولية ١٨٣٩) .

(٤) دفتر ٢٢٢ عابدين ، المكاتبة ٢٠٧ من الجناب العالى إلى شريف باشا ، فى ٢٤ ذى القعدة ١٢٥٣ (١٩ فبراير ١٨٣٨) .

فبعث بثلاثة منهم إلى قندية ، وبعث باثنين إلى إسفا كيا وسلنه ، يرافقهما وكيلا الناحيتين المذكورتين لمعاونتهما على إرشاد الأهالى إلى جمع ذلك الثمر واستغلاله فى صناعة الطرابيش[١] . ونتج عن سياسة محمد على فى استغلال تلك الثمار أمران : الأول ارتفاع سعر تلك الثمار فبلغ الضعف[٢] . والثانى أن فرضت على المنتجين فى الجزيرة ضريبة العشر عن محصول ثمار البلوط عيناً لا بدلاً كما كان مقرراً من قبل ، فهو لازم لإمداد مدبغة رشيد وعلى محافظ الجزيرة أن يبلغ أمر ذلك كافة الأقاليم المنتجة لهذا المحصول[٣] .

ولم يلبث أهالى الجزيرة حتى تعلموا جمع ثمار البلوط ، ومرنوا على طبخها واستخدامها فى الصباغة ، وحتى استطاعوا أن يفيدوا من ذلك ، فقد بلغ ثمن الأقة ستين قرشاً .

وعلى الرغم من أن أهالى الجزيرة قد كانوا فى غفلة عن استغلال هذا الثمر والإفادة منه فى وقت مبكر، فقد كان المستقبل بين أيديهم كفيلاً بتحقيق مرانهم ومهارتهم فى هذا الميدان بحيث يصبحون قادرين على الوفاء بحاجة مصر من هذا المحصول وتصدير الفائض إلى الخارج[٤] .

---

(١) محفظة ٢٦٥ عابدين تلخيص محضر مجلس خانية ، ١٣٣ حمراء ، المشتمل على ١٣ قراراً فى موضوعات شتى ٦ صفر ١٢٥٤ (١ مايو ١٨٣٨) .

(٢) محفظة ٢٦٥ عابدين، مكاتبه رقم ١٧ أمر مستخرج من مضبطة خانية فى ٥ محرم ١٢٥٤ (٣١ مارس ١٨٣٨) (فبلغ ثمن الأقة منها خمسين بارة بدلا من خمسة وعشرين من قبل) .

(٣) محفظة ٢٦٥ عابدين ، من قرارات مجلس قندية ، وثيقة ٣ محضر جلسة الاثنين ٢٦ صفر ١٢٥٤ – (٢١ مايو ١٨٣٨) ولما كانت رشيد فى حاجة إلى ٥٦٠ر٣٠٠ أقة منه سنوياً ، فقد استفهمت مصر من المسئولين بالجزيرة عن الكمية التى يمكن أن تصدرها الجزيرة من هذا الصنف سنوياً ، وقد أبلغها رئيس مجلس قندية السيد أبو بكر راتب بأن الجزيرة على استعداد فى ذلك العام أن تمدها بما يبلغ زنته ٣٥٠٠٠٠ر أقة من الصنف المذكور (محفظة ٢٦٥ متفرقات كريت ،وثيقة ٢٢١ مسلسل من أبى بكر إلى كبير معاونى الجناب العالى).

(٤) محفظة ٢٦٥ عابدين ، وثيقة ٢٣٩ خلاصة صادرة من مجلس خانيه فى ١٧ ربيع ثانى ١٢٥٤ (١٠ يوليه ١٨٣٨) .

بريطانيا تنافس مصر فى الحصول على مستخرجات ثمار البلوط :

لم يكد محمد على يظهر عنايته بمحصول البلوط على نحو ما قدمنا ، حتى بلغت حصيلته ١٥٠٠ قنطاراً . هنالك بادر قنصل إنجلترا فى الجزيرة إلى شراء هذا القدر، وأخذ يغرى المنتجين فيمدهم بدفع الثمن مقدماً ، وأذاع أنه اتفق مع الزراع على شراء ذلك القدر وأنه قام بتأدية الثمن كله ، وإن كان قد ثبت أنه لم يدفع أكثر من خمسمائة قنطار .

وتدخل قنصل بريطانيا العام فى الإسكندرية ، فأخذ يشكو من سلوك حكومة مصر وتصديها لحرية التجارة ، ويعيب عليها سياسة الاحتكار[١] . هنالك تصدى مصطفى باشا محافظ الجزيرة للرد على هذه الشكوى فبين ما فيها من مبالغة ، وكيف أن الأمر لا ينطوى على نية الاحتكار ، وكل ما فى الأمر أن الجناب العالى فى زيارته الثانية للجزيرة قد تبين جودة ثمار البلوط ، وفطن إلى فائدته فى صناعة الصباغة ، فعمل على تنميته وحسن استغلاله ، فنما . ورعاه ، واستخدم فى ذلك الخبراء من أهل الشام ، فبات من حقه أن ينظم هذه الصناعة فى الجزيرة ، ولم يكن عليه من حرج بعد هذا كله فى أن يصدر أوامره إلى إدارة الجزيرة بأن يكون محصول ثمار البلوط من نصيب مصر . ورأى محمد على ألا يعطى قنصل بريطانيا فرصة الاحتجاج والشكوى والطعن على سياسة مصر فى إدارة الجزيرة من أجل هذه المسألة التافهة ، وأعلن أنه شديد الحرص على مراعاة صلات الود والصداقة بين البلدين ، فسمح له بالحصول على خمسمائة قنطار أخرى كان قنصلها قد طلبها بحيث أصبح نصيب بريطانيا من تلك الثمار حوالى ثلثى محصول الجزيرة[٢] . وأخذ قنصل بريطانيا يؤدى للزارع ثمن ما يطلب

(١) دفتر ٢٢٣ عابدين ، مكاتبة ١١٩ أفادة إلى محافظ كريت فى ١٧ رمضان ١٢٥٤ (٤ ديسمبر ١٨٢٨) .

(٢) محفظة ٢٦٥ عابدين ملف كريت ، الإفادة ٤٩ حمراء من محافظ كريت إلى كتخدا الجناب العالى فى ١٥ شوال ١٢٥٤ (أول يناير ١٨٣٩) .

مقدماً حتى يضمن الحصـول على ما يريد[١] . وكان من نتائج ذلك أن يصبح نصيب مصر من تلك الثمار ضئيلاً خصوصاً إذا علمنا أن الجزيرة نفسها قد كانت تستهلك قدراً من هذا المحصول ، وبخاصة فى مدبغـة « رسمو » . ولم يبق لمصر بعد هذا كله غير قدر يسير لا يكفى حاجة مدبغة رشيد . وهنالك اضطر محمد على إلى أن يلجأ إلى الحيلة فأصدر أمره إلى محافظ الجزيرة بأن يبعث إلى مصر كل ما يجمع من ثمار البلوط أولا بأول بحيث لا يجد قنصل بريطانيا ما يريد منها ، وحتى لا يكون هناك محل للشكوى والاحتجاج[٢] . ووعد المحافظ بتنفيذ ذلك فبلغ نصيب مصر حوالى ١٧٠٫٠٠٠ . وبذلك لم تعد مصر فى حاجـة إلى الاستيراد من الخارج[٣] .

وأثارت هـذه السياسـة سخط أهالى كريت ، فأخذوا يدربون رجالهم على صناعة الصبغة ، وبلغ عـدد من حذقوها من أهل سنجق قنـدية وحدها ثمانية وأربعين .

واشتدت حاجة مصر من محاصيل الجزيرة إلى حجر المسن ، يأتيها من منطقة صخرية تدعى « بره بتره » Pera Petra عن طريق ميناء قندية[٤] . وقد تبين لها بعد استيراد أول شحنة أنه من الخير مضاعفة الصادر من هـذه السلعة اقتصاداً فى النفقات وتخفيضاً للسعر[٥] .

---

(١) محفظة ٢٦٠ عابدين ، الإفادة ١١٩ حمراء من محافظ كريت إلى الباشمعاون ، ١٤ جمادى أولى ١٢٥٥ (٢٦ يوليه ١٨٣٩) .

(٢) دفتر ٢٢٤ عابدين ، مكاتبة ١٥٦ ، من محافظ كريت إلى الباشمعاون فى ٢٤ جمادى الأولى ١٢٥٥ (٥ أغسطس ١٨٣٩) .

(٣) محفظة ٢٦٨ عابدين ، ملف كريت ، ترجمة الإفادة ١٤٢ حمراء من محافظ كريت إلى الباشمعاون ، فى ١٤ رجب ١٢٥٥ (٢٣ سبتمبر ١٨٣٩) .

(٤) محفظة ٢٦٥ عابدين ، الوثيقة ٢٠٩ حمراء ٦٦ أصلية من السيد أبو بكر راتب ناظر مجلس قندية إلى المعية فى ١١ جمادى الثانية ١٢٥٤ (أول سبتمبر ١٨٣٨) (شحنت هذه الكمية من حجر المسن على مركب أحد سكان « سوده » ويدعى عبادى وأرسلت إلى مدير أشغال الجهادية البرية بالاسكندرية ليوصلها إلى ديوان الجهادية) .

(٥) محفظة ٢٦٨ من مصطفى باشا إلى الباشمعون ، فى ٥ رجب ١٢٥٥ (٢٤ سبتمبر ١٨٣٩).

وكانت فرنسا من أشد دول أوروبا اهتماماً بالحصول على بعض سلع الجزيرة وفى مقدمتها الزيت ، وقد لقيت فى سبيـل ذلك كثيراً من العنت ، وتعرضت تجارتها فى تلك السلعة إلى كثير من التقلبات منـذ أيام القرن الثامن عشر. وكانت صناعة الصابون فى إقليم « بروفانس » تعتمد على زيت الجزيرة إلى حد كبير . وكان الزيت فى مقدمة السلع التى تستوردها فرنسا من محاصيل الجزيرة ، و بلغ مقدار ثمن ما تستورد منه ٩٩ ٪ من مجموع ما تنفق فى شراء ما يلزمها من محاصيل الجزيرة ، وكان حظها فى ذلك يتأرجح دائماً بين النجاح والاخفاق(١).

ويقبل القرن الثامن عشر ، ويظل الزيت كما كان أهم ما تستورد فرنسا من سلع التجـارة مع الجزيرة ويبـدى قنصل فرنسا أسفه من ذلك حين يشـير إلى أن الزيت يكاد يكون السلعة الوحيـدة الظاهرة فى العلاقات التجـارية بين البلدين(٢) .

على أن شكوى فرنسا من سوء علاقتها التجارية لم يقف عند حد الأسف الذى أبداه قنصلها فى خانية ، بل تعدتها إلى نوع من الهلع والجزع عندما تعطل الفنار فى ثغر خانيـة وتهدم رصيف الميناء فيه ، وبات من المتعذر تصـدير الزيت إلى فرنسا ، فيهرع إلى المحافظ و يطلب إليه فى إلحاح الإسراع فى إصلاح الميناء منذراً

---

(١) أنظر تفاصيل هذا الموضوع فى Paul Masson, *Histoire du Commerce Français Dans le Levant au XVIIIe siècle,* (Paris, 1911), pp. 606-608.
(وهو يشير إلى نجاح فرنسا فى الفترة بين ١٧١٥ ، ١٧٢٩ فى شراء زيوت من الجزيرة يعادل ثمنها فى المتوسط ٩٥٠٫٠٠٠ Livres وانخفاض هذه الكمية فى الفترة ١٧٤٨-١٧٥٦ إلى ما يعادل ثمنه ٤٣٠٫٠٠٠ Livres أى إلى أقل من النصف . ولا أدل على أهمية الزيت بالنسبة لفرنسا من أنها لم تعين قنصلا جديداً لها ليحل محل « بيزونيل » Peysonnel فى الفترة بين ١٧٥٧ — ١٧٦٥ . وتولى أعمال القنصلية أحد موظفيها ويدعى « أمورو » Amoureus كنائب للقنصل . وعندما نجح الأخير فى الحصول على تأييد السلطات فى كريت وثقة المسئولين فى إعادة تجارة الزيت فى الفترة بين ١٧٦٨ — ١٧٨٧ إلى ما كانت عليه فى بداية القرن ١٨ أعيدت القنصلية فى خانية من جديد ، كما عين نائب للقنصل فى قندية) .

(٢) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, 24 Août 1832.

إياه بالتوقف عن تأدية ضريبة الفنار إلى أن يتم إصلاح الميناء[١] . ويواصل القنصل سعيه فى سبيل الوصول إلى ما يريد ، لا يفتر ولا يكل ولا يمل ، وتتاح له الفرصة أن يلقى المحافظ عند مروره بقندية ، وتسفر المحادثات بينهما عن نتائج ترضى فرنسا آيتها أن تحصل على التصريح لسفنها بنقل شحنات الزيت من ثغور عدة لم تكن ترسو فيها من قبل ، وهى « سبينا لونجا » Spina Longa « وسان نيكولا » San Nicola «وسيتيا» Saite ، «ولياراتيتيا» Liaratetia وأخيراً قندية ، وكان التصدير منها قبل ذلك وقفاً على زيت الحكومة وصابونها. فغدت بمقتضى ذلك التصريح ثغراً حراً . كما كان لهذا التصريح أثره فى تخفيض سعر الزيت الذى لم يعد بعد حكراً لبعض الوكلاء فى رسمو وخانية[٢] .

التهريب فى التجارة :

تنبهت الإدارة الحاكمة فى الجزيرة إلى التهريب وخطره ، فقرر مجلس قندية عقاب من يمارسونها بالضرب ثمانين جلدة ثم مصادرة بضاعتهم واستيلاء الحكومة عليها ، ثم جعل الجزاء بعد ذلك مضاعفة الرسم الجمركى على المهربين[٣].

---

(١) وتبلغ هذه الضريبة أربع بارات عن كل موزور من الزيت .
Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette à Mimaut, La Canée, 10 Mars 1834. (Annexe à la Lettre du 15 Mars 1834).
(وقد عانى القنصل الفرنسى من ذلك وغيره كثيراً ؛ فشكا إلى وزير خارجية بلاده من جراء تعنت القائم بأعمال جمرك خانيه الذى كان يتحكم فى أسعار الزيت والكميات المباعة منه لأنه إلى جانب وظيفته الحكومية كان من أثرياء تجار الزيت مما جعله قادراً على استمالة كافة تجار الزيت وتحريضهم على عدم التصرف فى أى كمية من زيتونهم دون استشارته ، وأشاع عندئذ أنه إنما يفعل ذلك لصالح الحكومة وزيادة إنتاجها مما جعل مجلس رسمو يخول له هذه السلطة بل جعل مجلس خانيه كذلك يحذو حذو مجلس رسمو ، فتسبب ذلك فى رفع أسعار الزيت وتحديد كمية المصدر منه) .
Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, La Canée, 23 Avril 1834).
(٢) Aff. Etr. Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, La Candie, 30 Juin 1834.
(٣) دفتر ٢١٨ عابدين ، مضبطة رقم ٢٨ مجلس قندية فى ١٨ جمادى الآخرة ١٢٤٨ (١٢ ديسمبر ١٨٣٢) . ففرض رسم جمركى مضاعف على « نيقولى قونصلى » عندما قام بتهريب بعض الجبن وعلى آخر نجح فى تهريب براميل سمك فى ميناء قندية .

والظاهر أن ذلك الجزاء لم يكف لردع المهربين ، فقد باتوا يمارسون عملهم[١] .

وهنالك اقترح « كامبل » Campbell قنصل بريطانيا فى مصر أن يكون من حق الحكومة المصرية فى كريت جعل الرسوم ضعفين على من يضبط من المهربين البريطانيين مرتين ، ومصادرة بضاعته إذا هو ضبط للمرة الثالثة . ورضى محمد على باقتراح « كامبل » فقرر تطبيقه على كافة المهربين من رعايا الدول الأخرى[٢] .

ولم يتهاون الجناب العالى فى تنفيذ أوامره الخاصة بمصادرة البضائع المهربة ليجعل من ذلك رادعاً لمن تسول لهم أنفسهم ممارسة التجارة عن هذا الطريق[٣] واعترض قنصل فرنسا على هذا السلوك خشية من أن يسىء رجال الجمارك من الأتراك استعمال السلطة واستغلال النفوذ[٤] . إلا أن محافظ الجزيرة أصر على تنفيذ أوامر الجناب العالى التى تقضى بالمصادرة موضحاً أن الغرض من ذلك لم يكن تنمية خزانة الدولة وتزويدها بإيراد جديد ، وإنما كان القصد منه ردع المهربين . ولا أدل على ذلك من أنه أمر بألا تكون المصادرة فى غير حدود الجمارك[٥] .

الحالة الاقتصادية فى الجزيرة :

إن أيسر النظر فى حالة الجزيرة خلال الأعوام الثلاثة من وقوعها تحت الحكم المصرى يدل فى وضوح على أن مصر قد خسرت ولم تفد من سيطرتها على الجزيرة

---

(١) *J. Bowring's Report*, p. 160.

(٢) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، ترجمة الأمر ٢٧ من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٣ رمضان ١٢٤٩ (١٤ يناير ١٨٣٤) .

(٣) دفتر ٤٦ معية تركى ، ترجمة المكاتبة ٣٨ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٤ جمادى الآخر ١٢٤٨ (٨ ديسمبر ١٨٣٢) .

(٤) (كما حدث عندما قام أحدهم بمصادرة بعض السلع فى دكان بالسوق على أساس أنها وصلت إلى صاحبها بطريق غير مشروع) .

(٥) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, La Canée, 24 Août 1833.

فمصر قد أنفقت أكثر مما ربحت من موارد الجزيرة . ومعنى ذلك — فى لغة الاقتصاد — أن المنصرف أكثر من الايراد . وأكبر مصادر الايراد ما كان يجبى من ضريبة العشور . وحسبنا أن ننظر فى ذلك الجدول الذى أعده القنصل البريطانى « كمبل » Campbell فى تقريره الذى كتبه عن كريت حين رافق الجناب العالى فى زيارته الأولى للجزيرة فى شهر أغسطس ١٨٣٣ .

ايرادات الجزيرة ١٨٣٣

	قرشاً
ضريبة العشور	١ر٩٠٥ر٨٢١
الميرى (العوائد على سلع الاستهلاك التى تمر بالجمارك)	٦٦٣ر١٦٢
ايراد الجمارك على الواردات والصادرات	٥٦٤ر٠٠٠
الدخان	١٣٢ر٠٠٠
الجلود	٩٨ر٠٠٠
الملح	٤٣ر٠٠٠
القهوة المحلية	٣٧ر٠٠٠
مواد الصباغة	٢٠ر٠٠٠
النشوق	٨ر٠٠٠
السمك	٥ر٠٠٠
المشروبات الروحية	١٣٢ر٠٠٠
قطعان المواشى	٤٠ر٠٠٠
مكوس بوابات المدن	٥٠ر٠٠٠
ضرائب عن الزيت المصدر	٦ر٥٠٠
عوائد عن الحمالين	١٤ر٠٠٠

	قرشاً
ضريبة الرأس (الكراتش)	١٨٠ر٠٠٠
على وجه التقريب (٧) خطأ فى كشف كامبل[١]	٣ر٨٩٨ر(٤)٨٣
	جملة الايرادات

مصروفات الجزيرة فى عام ١٨٣٣

مرتب المحافظ	٢ر٥٠٠ر٠٠٠
رواتب أعضاء مجلس قندية ٣٣ عضواً ٢١ منهم من الترك ١٢ من اليونان	٢٦٦ر٠٤٠
رواتب أعضاء مجلس خانية من ١٦عضواً ١١ منهم من الترك و ٥ من اليونان	١٨٥ر٧٠٠
رواتب أعضاء مجلس رسمو من ١١عضواً ٧ منهم من الترك و ٤ من اليونان	٦٥ر٨٠٠
رواتب أعضاء مجلس أسفاكية من خمسة أعضاء كلهم من اليونان	١٨ر٠٠٠
الخزانة العامة	١٢٠ر٠٠٠
دور الجمارك فى أنحاء الجزيرة المختلفة	٤٩ر٧٤٤
رواتب القضاة	١٨ر٠٠٠
رواتب المفتين	٦ر٠٠٠

(١) *Diplomatic Documents concerning Egypt*, *Campbell's Report*, p. 134, Approximate Table of the Revenues of the Island of Candia.

وتوجد القائمة نفسها فى تقرير باورنج ص ١٨٣ .

بلغت ايرادات الجزيرة فى عام ١٨٣٢ ؛ أى العام السابق للإيرادات المشار إليها فى تقرير كامبل ٥٠٠ر٨٩٨ر٣ قرشاً — أى أن إيرادات الجزيرة فى عامى ١٨٣٢و١٨٣٣ واحدة تقريباً

R. Cattaui, vol. II, 2ème Partie, pp. 410-411, 124 *Isis* (Tableau Statistique de l'Egypte, pp. 342-420).

	قرشاً
تـكاليف التحرير الخـاصة بالجريدة الأسبوعية المـكتوبة بالتركية واليونانية	٢٧ر٣٣٥
	٣ر٢٧٦ر٦١٩
الحاميـة النظامية وقوامها ٤ر٠٠٠ رجلاً مرتباتها ٢ر٤٦٤ر٠٤٠ أقواتهـا ٢ر٠٠٧ر٥٠٠ معداتها ١ر٦٣٠ر٠٠٠	٦ر١٩١ر٥٤٠
الحامية غير النظامية (الألبانية)	١ر٧٦٠ر٠٠٠
	١١ر١٣٨ر١٥٩ جملة المصروفات
فإذا طرحنا منها الايرادات وهى	٣ر٨٩٨ر٤٨٣ جملة الايرادات
كان ما تتحمله الدولة من نفقات ومصاريف	٧ر٢٣٩ر٦٧٦

— ترتب على الخطأ السابق فى تقرير الايرادات أن الرقم الأخير بعد الطرح هو ٧٦ (٣) ر٧ر٢٣٩[1] .

(١) *Ibid.*, p. 138, Table of the Expenses of Government of Candia.
وتوجد القائمة نفسها فى تقرير باورنج ص ١٨٤ .
إذا قارنا بين إيرادات ومصروفات الجزيرة فى ١٨٣٢ كما أوردها القنصل الانجـليزى فى مصر كامبل بتلك التى ذكرها الرحالة « باشلى » فى نفس التاريخ تقريباً (فى كتابه الجزء الثانى ص ٣٠٦ ، ٣٠٧) لوجدنا اختـلافاً بيناً بين الاثنين . فعلى حين أن الايرادات فى تقرير كمبل لاتصل إلى أربعة ملايين قرشاً (تبلغ ٣ر٨٩٨ر٤٨٣) قرشاً — نجدها عند باشلى تقرب من ١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ قرشاً (تصل إلى ٩ر٨٧٥ر٦٩١) وهذا مما يجعل العجز فى ميزانية الجزيرة عند كمبل كبيراً يزيد على سبعة ملايين قرشاً ، على حين أن هناك شبه تعادل بين الإيراد والمنصرف فى باشلى — بل إن الإيرادات تزيد بحوالى ٣٦٧ر٥٣٢ قرشاً .
والرأى الراجح هو رأى كامبل كما يبدو فى تقريره ، لأن كافة المصادر ومنها الوثائق الأصلية تؤيد الرأى وهو أن الجزيرة كانت عبئاً ثقيلا على محمد على ، فيؤيد هـذا الرأى « فابريجيت » قنصل فرنسا عنـدما كتب تقريره عن ميزانية كريت فى ١٨٣٢ ، فهو يشير فيها إلى عجز حوالى ثمانية ملايين قرشاً ، أنظر هامش (٤) ص ٨٩ فيما سبق ، كما يؤيد الرأى نفسه ممثل روسيا فى خانية عندما يذكر أن إيرادات الجزيرة قد بلغت فى ١٨٣٢ — ٣ر٨٩٨ر٥٠٠ .

وهكذا تبين من هذا الجدول — ونحن ننظر فى الإيراد والمنصرف مقدار ما أرهق الخزانة المصرية من تلك النفقات الباهظة التى بذلها فى إدارة الجزيرة ، وأوضح ما يظهر أمر ذلك فى ضخامة الرواتب التى كان يتقاضاها كبار الموظفين ، وفيما كانت تنفقه حكومة مصر على قواتها العسكرية الضخمة لتزويدهم بالرواتب والعتاد والقوت .

ولم يفت أمر ذلك انتباه القنصل البريطانى الذى اقترح على الجناب العالى تخفيض الرواتب بغية الموازنة بين الإيراد والمنصرف ، وحتى لا يبقى حكم الجزيرة عبئاً ثقيلاً على خزانة مصر : فهو يقترح على سبيل المثال — جعل رواتب المحافظ ١٫٠٠٠٫٠٠٠ قرشاً بدلاً من ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ قرشاً مما يوفر ١٫٥٠٠٫٠٠٠ قرشاً — وجعل رواتب رؤساء المجالس الثلاثة ٩٠٫٠٠٠ قرشاً بدلاً من ٢٧٠٫٠٠٠ قرشاً مما يوفر ١٨٠٫٠٠٠ قرشاً . و بذلك يصبح الوفر فى هذا الباب ١٫٦٨٠٫٠٠٠ قرشاً ويقترح الاكتفاء بجعل رجال الحامية ٢٠٠٠ ألفين من النظاميين مع تخفيض رواتب ضباطها كما يرى الاستغناء عن رجال الحامية غير النظاميين — و بذلك يصبح الوفر فى هذا الباب ٤٫٣٦٠٫٠٠٠ قرشاً — و بذلك يصبح الوفر فى النفقات ٦٫٠٤٠٫٠٠٠ قرشاً . ويقترح عليه آخر الأمر أن تكون نفقات إصلاح الطرق والموانى والقلاع من حصيلة الرسوم والعوائد التى تجبى على بعض السلع ثم من العوائد الجمركية(١) .

= — أشير إليه فى هامش (١) ص ١٤٩

R. Cattaui, vol. II, 2ème partie, pp. 410-411, 124 *Isis.*

على أن محمد على لم يلبث أن نجح فى مضاعفة ايرادات الجزيرة كما يشهد بذلك طورون مثل روسيا فى خانية ، وإن لم تكن تلك الزيادة كافية لتغطية كافة مصاريفه .

"J'apprécie en attendant, que Mehemet Ali a su doubler les révenus de la Créte ; mais toutefois, la Porte en retirait plus de bénéfices, parcequ'elle ne faisait aucun frais, tandis que si nous comprenons l'entretien des troupes qui gardent la Crête, je ne pense pas que le Vice-roi puisse couvrir ses dépenses."

R. Cattaui, vol. II, 2ème partie, pp. 298-299.

(١) *Diplomatic Documents concerning Egypt, Campbell's Report* 1933, p. 140.

نفس للتعليقات فى تقرير باورنج ص ١٨٤

Observations on the Tables 1, 2, 3, 4 (Inclosive in Campbell's dispatch of 29th. August 1833).

ويرى « فبريجيت » قنصل فرنسا فى خانية مثل هذا الرأى ، مبيناً أنه ليس من خير الجزيرة وأهلها رفع رواتب الموظفين والجنود ، إذ أن تغطية هذه النفقات إنما يجىء عن طريق الضرائب التى تنوء بها كواهل أهالى الجزيرة ، ويزيد على ذلك فى رأيه أنه إذا كانت لمحمد على سياسة خاصة فى رفع رواتب موظفيه من رجال الإدارة وجنود الحامية ، فعليه أن يتحمل وحده عبء ذلك وإعفاء أهالى الجزيرة من فرض الضرائب التى تثقل كواهلهم .

ولا يقف القنصل الفرنسى فى نقده عند هذا الحد ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك حين يعيب على حكومة مصر اعتمادها — فى حكم الجزيرة وإدارتها وإقرار الأمن والسلام فى ربوعها — على تلك الحاميات الضخمة . ويرى أنه إذا كانت سبيل الجناب العالى إلى حكم الجزيرة لا تستقيم إلا باستخدام تلك الأعداد الضخمة من الإداريين والعسكريين من ذوى الرواتب الباهظة ، فأولى به أن يتخلى عن حكمها . ويرى آخر الأمر أن الجناب العالى لن ينجح إطلاقاً فى تحصيل ثلث ما ينفق على الجزيرة إن هو سلك فى حكمها سياسة الاحتكار التى اتبعها فى مصر(١) .

ويعود القنصل الفرنسى بعد ذلك بسبعة أشهر مؤكداً ما رآه من قبل ومشيراً إلى أن الإدارة مازالت عاجزة عن ضبط الموازنة بين الإيراد والمنصرف — على الرغم من مرور ثلاث سنوات على وجود الجزيرة تحت راية مصر . فالضرائب تزداد ، والإدارة تتعثر سبيل الإصلاح ، وأهالى الجزيرة يزداد سخطهم على سياسة الحكم المصرى .

ولكنه لا يرى مناصاً من الاعتراف بأن بعض الشر أهون من بعض حين يقرر أن دول أوروبا قد كانت حكيمة حين وافقت على اختيار محمد على لإدارة

---

(١) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, 31st. December 1832.

شئون الجزيرة ، فهو قد استطاع — فى رأيه — بقوته ومكانتـه ، وفلسفته ونشاطه أن ينشر الأمن فى ربوع الجزيرة . ولم يكن فى استطاعة غيره من رجال السلطان وباشاواته من ذوى الآراء العتيقـة أن يملأ مكانه فى الجزيرة . ولو آل حكم الجزيرة إلى غير محمد على إذاً لتبدل الحال غير الحال وساء المآل . ولاستؤنفت الحروب بين الترك واليونان ، ولقضى على المسلمين فى الجزيرة ، ويعجز ملك اليونان إن آل حكم الجزيرة إليه عن إطفاء نار الفتنة التى مازالت تستعر فى ربوع المورة ثم هو يعترف آخر الأمر بأن الجزيرة مدينة للحكم المصرى بذلك الهـدوء الشامل الذى يسود ربوعها[١] .

الصناعـة :

لم يكن للصناعة فى الجزيرة مكان يدانى مكان الزراعـة . وإليك بعض الصناعات التى عرفت فى الجزيرة وفى مقدمتها صناعة الزيت الطيب يعصره أهلها من زيتون الجزيرة الوفير ، تدخر منه ما يفى بحاجة أهلها ، وتصدر منه إلى مصر وبعض البلاد الأوربيـة ما يفيض عن ذلك . وقد أشرنا إلى هـذه الصناعة فى الكلام عن الزراعة والتجارة[٢] .

---

(١) Aff. Etr. Corr. Cons., Annexe à la dépêche du 16 Juillet 1834, Fabreguette au Ministre, 2ème Partie du Journal de voyage de Fabreguette:

"L'Ile doit donc aux Egvptiens le calme dont elle jouit en ce moment".

وقد عبر ممثل روسيا فى خانية عن هذا الرأى نفسه ، وأثنى على حكم المصريين فى كريت بعد مضى مايقرب من ثلاث سنوات على الحكم المصرى فيها :

"Je vous répète, Monsieur le consul général, que les grandes Puissances dans leur politique avec l'Orient, doivent se féliciter d'avoir fait comprendre la Crête dans le Governement de l'Egypte ; car l'on ne peut disconvenir que l'administration Egyptienne, toute imparfaite qu'elle est, a cependant fait faire quelques progrès à ces contrées; tandis que sous celle de la Porte bien certainement, ce pays-ci serait encore dans l'état le plus déplorable."

Thoron à Duhamel, la Canée, 13 avril 1837, R. Cattaui, vol. II, 2ème partie, p. 298.

(٢) أنظر ماسبق الإشارة إليه فى باب التنمية الاقتصادية فى الجزيرة ص ١٠٨ ومايليها .

وعلى صناعة الزيت قامت فى الجزيرة صناعة الصابون وازدهرت وبخاصة فى قندية التى اشتهرت بصابونها الجيد(١) .

وعرف سكان الجزيرة منذ القديم كيف يعصرون النبيذ من كرومها واشتهرت بعض بقاعها بأجود أنواع النبيذ(٢) . على أن الناتج من هـذا العصير قد كان يستهلك محلياً . وقد كان حظ مصر من هذه الصناعة لا يعدو ما كان يتبقى فى الدنان من رواسب العصر ، وكان يسمى الطرطير ويستفاد منه فى صبغ الطرابيش والجوخ ، وبلغت حاجة مصر من ذلك نحو خمسين قنطاراً(٣) إلا أنها لم تجد أكثر من مائتى أقة ، وجدتها فى إقليم قندية . هنالك صدرت الأوامر إلى مجلس خانية ورسمو بتوفير أكبر قدر ممكن من الطرطير فى النواحى التابعة لها . ويبعث مجلس خانية أحد رجاله إلى كيسامو حيث يتوافر النبيذ فاستطاع أن يحصل على خمسة آلاف أقة من الطرطير(٤) . وعندما تبينت مصر جودة طرطير قندية طالبت بإرسال المزيد منه ، كما أوصت ببحث الأسباب التى أدت إلى عدم جودة الطرطير فى خانية(٥)

---

(١) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, La Canée, 15 Mai, 1831
ويشير باورنج فى تقريره (المكتوب قرب نهاية الحكم المصرى ١٨٣٨) إلى وجود تسعة مصانع فى قندية وستة فى رسمو وثمانية فى خانية . وإذا كان فى إمكان هذه المصانع أن تنتج من الصابون سنوياً مازنته ٦٠٠ طن ، فإنها مع ذلك لا تنتج عادة أكثر من نصف هذه الكمية . ويضيف التقرير إلى ذلك أن الشرق كله يقدر نوع الصابون المصنوع فى الجزيرة ولا سيما فى قندية ، وأن أثمانه فى تريستا ترتفع عنها فى أى سوق أخرى .

(٢) أنظر ماسبق ص ٥ — ٦ وهامش ١ ص ٦ .
Bowring's Report, pp. 158-159.

(٣) محفظة ٢٦٥ عابدين ، متفرقات كريت ، الوثيقة ٢٤٤ مسلسل ، ٢٥ أصلى ، من السيد أبو بكر راتب إلى كبير معاونى الجناب العالى فى ١٧ ربيع أول ١٢٥٤ (١٠ يونية ١٨٣٨) .

(٤) ورد فى الوثيقة أن سـعر الأقة منها ٢٠ بارة ، وبعد إجراء اللازم لتجفيفه بلغ سعر الأقة منه ٤٤ بارة ، وأرسل رئيس مجلس خانيه ، خليل أفندى يستفهم من المعية السنية إذا ما كان ذلك الصنف صالحاً أم لا ؟ وإذا ما كان السـعر مناسباً (محفظة ٢٦٥ عابدين ، ترجمة الوثيقة ٢٤ أصلى فى ٩ جمادى الأولى ١٢٥٤ (٣١ يوليه ١٨٣٨) .

(٥) تبين أن عدم صلاحية قفل خانيه ترجع إلى جدته واحتفاظه ببعض الماء [محفظة ٢٦٥ عابدين ، الإفادة ٨٠ حمراء ، من محافظ كريت إلى الباشمعاون فى سلخ رجب ١٢٥٥ (١٩ أكتوبر ١٨٣٨)] .

كذلك نجحت الجزيرة فى صناعة الصبغة تستخلصها من بعض ألوان شجر السنديان (البلوط) فأضافت بذلك عنصراً آخر من عناصر صناعة الصباغة والدباغة[١] . وقد كانت مدابغ قندية وغيرها فى أشد الحاجة إلى هذا العنصر الجديد[٢] . وقد سبق الحديث عن ذلك وما بذلت مصر فى سبيل تنمية هذه التجارة من جهود فى كلامنا عن التجارة[٣] .

كذلك كانت فى الجزيرة صناعة الأكياس من شعر الماعز الذى كان يوجد فيها بكثرة . وقرر مجلس قندية تحريم تصدير شعر الماعز بغية تنمية هذه الصناعة بتوفير خاماتها ، وصدرت الأوامر إلى جمرك قندية وجمارك غيرها من ثغور الجزيرة بمنع تصدير الشعر إلى الخارج[٤] .

وعرفت الجزيرة صناعة النسيج ، ونسج الصوف ، وظهرت براعة الكريتيين فى تلك الصناعة فى إقليم من أقاليم الجزيرة وهما « ميرابيللا » و « لاشيد » ، وقد أعجب محمد على بالعباءات التى صنعت من نسيج الجزيرة ونفعها فى الوقاية من برد الشتاء ومطره ، فأوصى باستيفاد فريق من نساجى البلدين المذكورتين مزودين بأنوالهم لإقامة مناسج فى مصر تمارس نسج ما يكفى من القماش اللازم لمعاطف الجند[٥] . والظاهر أن محمد على رأى أن جو الشام أكثر ملاءمة لصناعة النسج ، فلم يكد النساجون الثلاثة يبلغون مصر حتى بادر بإرسالهم إلى الشام ومعهم أزواجهم وأنوالهم ليقوموا فوراً بممارسة هذه الصناعة بغية توفير المعاطف للجند[٦] .

---

(١) أنظر ما سبق عند الكلام عن ثمار البلوط وأهميتها فى الصباغة (ص ١٤١ — ١٤٤) .

(٢) Scott, *Rambles in Egypt & Candia*, p. 292.

(٣) أنظر ما سبق ص ١٤٠ — ١٤١ .

(٤) ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ٢ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٢ ربيع الآخر ١٢٤٨ (١٨ سبتمبر ١٨٣٢) .

(٥) ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ٢٤ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٨ رجب ١٢٤٨ (٢٢ ديسمبر ١٨٣٢) .

(٦) ٤٧ معية تركى ، مكاتبة من المعية إلى أفندى الديوان ١٨ ذى القعدة ١٢٤٨ (١٨ أبريل ١٨٣٣) .

وهنالك زاد اهتمام مصر باستيراد حاجتها من أصواف الضأن وأصواف الماعز ، كما صدرت الأوامر إلى محافظ الجزيرة بمراعاة الوفاء بحاجة مصر من هذه الخامات وحاجة الجزيرة منها ، ثم تصدير الفائض بعد ذلك[١] .

وأقيمت فى رسمو صناعة الجلود ، ولكنها لم تزد على الوفاء بحاجة السكان[١] . وعرفت الجزيرة صناعة أخرى ، وهى صناعة القرميد ، وقد شجع محمد على أهل الجزيرة على النهوض بها حين تبين أن الناتج منها لا يقل فى جودته عما يستورد من بريطانيا ، وأنه أقل ثمناً ، وأشد صلاحية فى بناء الأفران[٣] . وفكر محمد على فى تجربة قرميد الجزيرة فبعث يطلب منه ما يكفى لبناء فرن واحد ، وعند المقارنة تبين له أن أجوده ما يصنع فى قرية « جيراكى » Ghéraki فاستورد منه أول الأمر مائتى لبنة ، ووعد رئيس مجلس قندية بأن يبعث بالمزيد منه فى أقرب فرصة ممكنة ، وبعث مع ذلك — إلى مصر قدراً من التراب الذى يصنع منه ذلك القرميد فى نواحى الجزيرة ومنها « أسيتس » Asites التابعة لإقليم « مليفزى » Malevezi وقرية « سمارى » Samari التابعة لإقليم « بديه » Pidé وقرية « سيلامو » Silamos التابعة لإقليم « تمنوس » Temenos وأخيراً قرية « جيراكى » Ghéraki التابعة لناحية « بديه »[٤] .

الأسفنج :

ولم يقف إهتمام مصر بتنمية موارد الجزيرة واستغلال ثرواتها فى البر والبحر

---

(١) مجلس ١٢٥ ، مجلس ملكى ، مكاتبة ١٥٥ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٧ رجب ١٢٥٠ (٢٩ نوفمبر ١٨٣٤) .

(٢) *Bowring's Report*, p. 159.

(٣) دفتر ٢٢٢ عابدين الوثيقة ٢٨ من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٨ ذى القعدة ١٢٥٣ (١٣ فبراير ١٨٣٨) .

(٤) محفظة ٢٦٥ عابدين ترجمة الوثيقة ٩٢ أحمر ، ٤٧ أصلى ، فى ٨ جمادى الأولى ١٢٥٤ (٣٠ يولية ١٨٣٨) .

عند حد ماذكرنا وإنما بذلت كل ما تستطيع من جهد فى استغلال كافة موارد الجزيرة ، فشجعت مشروع صيد الأسفنج فى مياه قندية ، ورخص مجلس قندية لبعض الأفراد فى القيام بصيد الأسفنج فى مياه كريت وكانوا قد تقدموا إليه بالتماس ذلك على أن يتعهدوا للحكومة المحلية بتأدية ١٩½٪ من ثمن ما يحصلون من صيد الأسفنج علاوة على رسوم جمركية قدرها ٣٪[١] .

المرجان :

ولما علمت الإدارة المصرية بوجود المرجان عند ساحل « استيه » بعثت بثلاثة من الغواصين استطاعوا أن يستخرجوا من صافى المرجان ١٧٩ درهماً[٢]. واهتم الجناب العالى بأمر المرجان ، فطلب إلى أحد رجاله المدعو بغوص بك أن يقوم بتدبير الخبراء الأور بيين من القاهرة أو الاسكندرية وأن يبعث بهم مزودين بأدواتهم إلى الجزيرة[٣] . فوقع اختيـاره على خبير إيطالى يدعى القبودان

---

(١) (وقرر المجلس تعيين حارس لكل قارب من قوارب الصيد بأجرة يومية قدرها أربعة قروش وتعيين ناظر على كافة القوارب المذكورة وأشـير فى المجلس إلى أن النفقات تصل إلى ٥٠٠ قرشاً نظراً لاستخدام عشرة مراكب للصيد . ويتساءل عندئذ الجناب العالى إذا ما كانت المبالغ المحصلة على الأسفنج ستكفى لسداد النفقات المقررة لهذا المشروع — دفتر ٢٢٢ عابدين المكاتبة ٢١٦ من الجناب العالى إلى ناظر مجلس قندية ، فى ١٢٥٣ (٤ سبتمبر ١٨٣٧) .

(على أن هذا المشروع لم يثمر الثمار المرجوة منه فقد اتضح أن القوارب المستخدمة فى صيد الأسفنج بعد أن بلغت اثنتا وأربعين قارباً قد نقصت إلى ستة نظراً لفرار الباقى — وقد نبه الجناب العالى إلى تلافى ذلك فلا تمنح الرخصة لاصطياد الأسفنج إلا بعد تقديم الضمانات الكافيه [دفتر ٢٢٢ عابدين ٤ مكاتبة ٢٥٢ من المعية إلى ناظر مجلس قنـدية فى ٩ رمضان ١٢٥٣ (٧ ديسمبر ١٨٣٧)] .

(٢) ولكن اتضح أن صناعة الآلات اللازمة لهذه العملية ستكلف حوالى ألف قرش ، وقد رؤى عـدم تخصيص رواتب معينة للغواصين والاكتفاء بوعدهم بالمكافأة عند نجاح المشروع والحصول على كمية من المرجان تتناسب مع ما استخرجوه منه فيحفزهم ذلك على الاجتهاد والمثابرة فى هذا السبيل — دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، الأمر ٢٣٢ من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٣ جمادى الآخرة ١١٥١ — (٦ أكتوبر ١٨٥٣) .

(٣) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، الأمر ٢٨١ من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٣ ذى الحجة ١٢٥١ ، (١٠ أبريل ١٨٣٦) .

« اندريا »(١) ولم يلبث هـذا الخبير أن علم الناس ألوان المرجان الثلاثة التى استخرجها لهم من سواحل الجزيرة(٢) . كما بصرهم بطريقة استخراج المرجان ، حتى إذا ما أتقنوا ذلك استغنت الإدارة عن خدمة الخبير . وقد أتقن صنعته فعلاً اثنان من أبنـاء الجزيرة وهما « عبـد الله أغا » والقبودان « يانى » من أهل الجزيرة(٣) . واستطاع الغواصون من المواطنين بإرشادهما أن يستخرجوا المرجان من غير ما ذكرنا من شواطىء كريت ومنها شواطىء جزيرة « ابسيرا » (إبسارا) الواقعة أمام قلعة اسبرانقه(٤) .

الفحم :

كان اكتشاف الفحم فى الجزيرة نتيجة للصدفة وآية ذلك أن فريقاً من الجند قد خرجوا يطاردون ثلاثة من اللصوص فى جبال «إسفاكية» و« إبواصيل» ولما يئس الجند من القبض على اللصوص ، عادوا أدراجهم فوقعوا على الفحم عند قرية من قرى « إبواصيل » يقال لها « اوطرا » Lutra وتبين بعض الخبراء أنه فحم حجرى ، هنالك بعثت سلطات الجزيرة إلى تلك القرية بنفر من العمال عددهم ستون للتنقيب عن الفحم(٥) .

ولم تلبث جهود الإدارة فى الجزيرة فى البحث عن الفحم حتى أسفرت عن

---

(١) محفظة ٢٦٥ عابدين ، ٢٤ أصلى ، من السيد أبو بكر إلى كبير معاونى الجناب العالى فى ١٧ ربيع أول ١٢٥٤ (٨ يونية ١٨٣٨) .

(٢) [وقد تميزت ألوان المرجان الثلاثة بجودة نوعها وارتفاع أثمانها — محفظة ٢٦٥ عابدين ، ٣٢ أصلى ، من السيد أبوبكر إلى كبير معاونى الجناب العالى فى ٢٤ ربيع آخر ١٢٥٤ (١٧ يوليه ١٨٣٨)] .

(٣) محفظة ٢٦٥ عابدين ، أصلى من ناظر مجلس قندية إلى المعية السنية فى ١١ جمادى الثانية ١٢٥٤ (أول سبتمبر ١٨٣٨) .

(٤) محفظة ٢٦٥ عابدين ، ٤٨ أصلى ، من ناظر مجلس قندية إلى المعية السنية فى ٨ جمادى الأولى ١٢٥٤ (٣٠ يولية ١٨٣٨) .

(٥) (واستمر هؤلاء العمال فى عملية الحفر واستخراج الفحم مدة خمس ساعات ، فاستخرج=

العثور على الفحم فى منجم ثان بجوار قرية « بيرى » Peri[1] ثم فى منجم ثالث فى مكان يقال له « مرثيو »[2] ويهتم محافظ الجزيرة ببحث موضوع الفحم ، وتكاليف استخراجه وتصديره إلى الأسكندرية[3] . فلا يلبث حتى يتبين أن فحم « ميريثو » أجود من فحم « لوطره » وأنه يفى بحاجة مصر ، ويغنيها عن الفحم البريطانى[4].

= منه مازيد على ثمانمائة وأربع وسبعين أقة . ويقع هذا الموقع على مسيرة أربع ساعات من قلعة رسمو إذا استخدمت دواب النقل ، على حين أنه يبعد عن ساحل البحر من الجانب الآخر مسيرة ساعتين ونصف ساعة ، على أنه لاتوجد موانىء فى هذه الناحية ، ولكن السفن تستطيع أن ترسو على ذلك الساحل فى فصل الصيف ، وقد سارع المحافظ بإرسال ذلك الفحم إلى مصر لفحصه — محفظة ٢٦٨ عابدين ، المكاتبة ١٣ من رسمو من مصطفى باشا إلى محافظ كريت إلى إلى المعية السنية فى ٢١ ربيع أول ١٢٥٥ (٤ يونيه ١٨٣٩). وداومت السلطات المسئولة فى الجزيرة على استخراج ذلك الفحم من تلك الناحية مدة ثمانية أيام فاستخرجت ما قدره ٦٠٦ قناطير باعتبار زنة كل قنطار أربعاً وأربعين أقة ، ولكنها توقفت بعد ذلك حتى تصلها أخبار من مصر عن مدى صلاحية ذلك الفحم (محفظة ٢٦٨ عابدين المكاتبة ١٩ من مصطفى باشا محافظ كريت إلى المعية السنية فى ٢٢ ربيع الأول ١٢٥٥ (٥ يونيه ١٨٣٩) وأسرعت مصر بالرد على المحافظ مخبرة إياه بصلاحيته وأهميته للصناعة ، حاثة إياه على إرسال المزيد منه لأن القليل منه لايكفى — دفتر ٢٢٤ عابدين ، مكاتبة ١٤٠ إلى محافظ كريت فى آخر ربيع الاول ١٢٦٥ (١٣ يونيه ١٨٣٩) . ثم لاتلبث مصر أن تكتب لمحافظ الجزيرة حاثة إياه على الاهتمام بالبحث عن الحديد كذلك ، مؤكدة أن قنصل النمسا فى مصر قد أخبر الجناب العالى بأن معدن الحديد كان يستخرج من الجزيرة .

— دفتر ٢٢٤ عابدين ، مكاتبة ١٤١ إلى محافظ كريت فى ٣ ربيع الآخر ١٢٥٥ (١٦ يونيه ١٨٣٩) .

(١) وذلك المكان تابع لناحية «كنوريو» من نواحى قنديه ولكنه يبعد عن قنديه مسافة ست ساعات على ظهور الدواب — ويتميز الطريق بوعورته .

(٢) ويتميز هذا الموقع الثالث بقربه من البحر، فاهتم به المختصون واستخرجوا منه ٥١٧٠ أقة فى بحر ثلاثة أيام . محفظة ١٦٨ عابدين ، المكاتبة ١٥ أصلية من محافظ كريت إلى الباشمعاون فى ٢٢ ربيع الآخر ١٢٥٥ (٥ يولية ١٨٣٩) .

(٣) محفظة ٢٦٨ عابدين، المكاتبة ٢٤ أصلية، من مصطفى باشا محافظ كريت إلى حضرة صاحب الدولة ولى النعم فى ٢ ربيع الآخر ١٢٥٥ (١٥ يونيه ١٨٣٩) وملحق بالوثيقة تقرير عن الجهود المبذولة للبحث عن الفحم فى المناطق المختلفة ابتداء من يوم الاثنين ١٢ ربيع الآخر إلى يوم الاثنين ١٩ منه ١٢٥٥ (٢٥ يونيه إلى ٢ يوليه ١٨٣٩) .

(٤) دفتر ٢٢٤ عابدين، مكاتبة ١٥٣ إلى محافظ كريت فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٥٥=

يتضح مما تقدم أن السلطات المصرية بالجزيرة لم تدخر وسعاً فى العمل على استغلال موارد الجزيرة والاهتمام بمرافقها الاقتصادية المختلفة من زراعية وصناعية وتجارية لعلها تنجح فى الحصول على زيادة الإيراد تعوضها من نفقاتها الضخمة على شئون الجزيرة ، ولم يفت الحكومة فى الوقت ذاته العمل على توفير رفاهية العيش لسكان الجزيرة بفتح أبواب العمل والكسب فى وجوههم . ومما لاشك فيه أنها قد نجحت بعض الشىء فازدادت إيرادات الجزيرة وازداد دخلها من التجارة ، يتضح أمر ذلك من التقرير التجارى الذى كتبه ممثل انجلترا فى الجزيرة « أونجلى » Ongley حيث جاء فيه « زادت صادرات الجزيرة فى ١٨٣٨ بما يربو على ٣٠٫٠٠٠ جنيهاً عن عام ١٨٣٧ — فأصبح مجموعها ٩٥٫٠٠٠ جنيهاً ». فأما الواردات فظلت على ما كانت عليه فى السنة السابقة أى حوالى ١٢٠٫٠٠٠ جنيهاً(١) .

ولا أدل على ذلك النجاح الذى أحرزته السلطات المصرية فى إدارتها للجزيرة ما جاء فى تقرير آخر للقنصل الانجليزى نفسه فى مارس عام ١٨٣٨ عندما صرح بزيادة عدد سكان الجزيرة زيادة مطردة منذ عام ١٨٣٠(٢) (أى منذ بدء

= (٢٢ يوليه ١٨٣٩) [وعنيت مصر باستخراج الفحم والحديد فأوفدت المهندس عبد الكريم أفندى ليتولى ذلك الأمر ، محفظة ٢٦٨ عابدين ، مكاتبة ٤٨ أصلية من مصطفى باشا إلى المعية السنية فى ١٥ جمادى أولى ١٢٥٥ (٢٧ يوليه ١٨٤٩) واستمر العمل فى منجمى الفحم فى « لوطرا » « ومريشو » على الرغم من قلة الأيدى العاملة (حوالى مائتين فقط) محفظة ٢٧١ عابدين ، وثيقة ١٤٢ ، من مصطفى باشا إلى المعية فى ٩ جمادى الآخرة ١٢٥٦] .

(١) P.R.O., F.O. 78/370, Commercial Report on Crete for 1838 by Ongley.

(٢) يعزو القنصل الانجليزى زيادة عدد السكان اليونان إلى عودة عدد كبير من المهاجرين ، وإلى خلو البلاد من الطاعون وغيره من الأوبئة ، وإلى الزيجات التى تمت على إثر عودة الهدوء إلى الجزيرة بينما يعزو عدم ازدياد سكان الريف من المسلمين إلى تبرمهم بالحكم الجديد الذى تميز بعدم تحيزه لفريق دون الآخر — وفيما يلى ماجاء فى هذا التقرير بخصوص السكان وفيه شهادة طيبة تؤكد مدى عدم تحيز الحكم المصرى لفريق دون الآخر ، وتشير إلى بعض آثار هذا الحكم الطيبة : =

الحكم المصرى بها) وما ترتب عليها من زيادة فى الإنتـاج الزراعى ، وزيادة فى الدخل بالتالى . وهو يتنبأ فى هذا التقرير بأن الدخل لن يلبث فى بحر بضع سنوات أن يزيد على المنصرف إذا ظل سكان الجزيرة يتمتعون بالحالة الصحيـة الطيبة التى سادت الجزيرة منذ عشر سنوات تقريباً بفضل الأنظمة الصحيـة الدقيقة التى تعم الجزيرة منذ بدء الحكم المصرى فيها(١) .

= "The Musulman rural population, does not increase, owing to their already mentioned dislike of the present impartial system of Government. The Turks have augmented in number only in the Cities. The number of Greeks both in Town & Country has greatly increased, this is to be attributed to the return of many of the Emigrants to the absence of Plague or any other unusual malady, and the number of marriages which took place immediately on the return of tranquillity, and which still continues, because the peasant finds it advantageous to have a wife who will prepare his meals and aid him in the management of his farm".

Report on Crete by Ongley (Inclosure in Dispatch No. 2 of March 22, 1838, P. R.O., F.O., 78/340. (Part II). London.

(١) نفس الوثيقة الانجليزية . *Ibid.*

العناية بشئون التعمير والأمن ونشر العدل

ورعاية السكان صحياً وثقافياً

شقى الكريتيون بحكم العثمانيين وإدارتهم وبما شاع من فساد الحكم وسوء الإدارة من الفتن والقلاقل وانتشار الفوضى ، واضطراب الأمن فى كافة ربوع الجزيرة ، وتسبب كل أولئك بالإضافة إلى قيام الثورة اليونانية فى عام ١٨٢١ واندفاع السكان فى تيارها الجارف وبخاصة المسيحيون منهم منتهزين فرصة الثورة أملاً فى الخلاص من النير العثمانى والتمتع بالحرية فى ظل الحكم اليونانى فى رسم الصورة المنكرة التى بدت فيها الجزيرة وحياة أهلها يومئذ وكان من نتائجها أن خربت الديار ، وفسدت الزروع ، وأزهقت النفوس(١) .

تلك صورة الجزيرة حين آلت إلى الحكم المصرى عام ١٨٣٠ ، وهى صورة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها أفزعت محمد على وأسعدته فى آن معا ، أفزعته لأنه أشفق على نفسه من سوء ماورث من تلك التركة الثقيلة البشعة التى قد يقتضيه قبولها كثيراً من البذل والانفاق والسهر والعرق ما يضنيه ويرهقه من أمره عسراً . وأسعده الأمل فى أنه قد يدرك بجهوده وسلوكه ويقظته وحرصه على سمعته وكرامة سلطانه ما لم يدركه العثمانيون بغفلتهم وسلطانهم المبعثرين بين أيدى طوائف منحلة من البشوات والأغوات ، وفى أنه قد يصل بهذا كله إلى إرضاء شعور الكريتيين وتطمين نفوسهم .

لم يلبث محمد على حتى أدرك كل ذلك وأحاط به خبراً ففكر وقدر ، وبدأ فى غير بطء ولا أناة فى المبادرة بإقامة ما تخرب من ديار الجزيرة ، وإصلاح ماتلف من مزارعها وكرومها ، والعمل على نشر الأمن بين ربوعها . وأعلن عزمه

---

(١) أنظر فيما تقدم ص ٤٩ وما بعدها (ثورة الاستقلال اليونانية وأثرها على الكريتيين) .

على ذلك ونشره بين أهالى الجزيرة فى النداءات المتتابعة التى وجهها إليهم ، لتهدأ نفوسهم ، ولتطمئن قلوبهم .

ولم يفت محمد على أن أهم ما يرضى النفوس الملتاعة حين يضنيها الفقر ، ويعضها الجوع بأنيابه القاسية ، أن تحسين اقتصاديات الجزيرة ينبغى أن يكون فى المحل الأول . ولما كانت اقتصاديات الجزيرة إنما تعتمد أساساً على حركة التصدير والاستيراد اتجه همه إلى إصلاح الموانى والعناية بأمرها وتنظيم إدارتها . وقد كان يدرك بفطنته ما يكون لذلك من أثر فى إرضاء الدول الأوربية وقد كان ممثلوها فى الجزيرة وبخاصة ممثلو فرنسا يهتمون بالحصول على أكثر قدر من زيت الجزيرة . وقد كان أهم محاصيلها وأبرز سلع التجارة فيها . فأخذ يستحث سلطاته المختصة بأن يبذلوا جهد طاقتهم فى إصلاح الموانى وتبرئتها من كل عطب أو خلل[١] . ولم يأل المختصون من رجال حكومته جهداً فى العمل على تنفيذ أوامره فأعادوا بناء ثغر خانية ورصفه ، وأقاموا مناراً جديداً . ثم وسعوا ميناء « رسمو » ووسعوا فى مبانيه ومرافقه . وحين سمع محمد على بما أصاب ثغر قندية من جراء العواصف والأنواء لم يتوان مطلقاً فى إصدار أوامره إلى مجلسها بالمبادرة إلى تطهيره وتعميقه وتزويده بكافة مايلزم من مواد لجعله ثغراً صالحاً مزوداً بكل ماينبغى لأمثاله من الثغور . واهتم كذلك بثغر « سودة » وقد كان يعلق عليه من الآمال ما يجعله أليق ثغور الجزيرة برسو أكبر عدد من السفائن من ناحية ، واتخاذه قاعدة لأسطوله المصرى من ناحية أخرى[٢] .

---

(١) دفتر ٢١٠ عابدين ، مكاتبة ٢٦١ ، من محافظ كريت إلى مجلس قندية (بدون تاريخ) .

(٢) Dodwell, *the Founder of Modern Egypt*, p. 243.

ولباورنج وصف دقيق لموانى الجزيرة المختلفة : « خانيـــه » وهو أكثر استخداماً فى عهد الحكم المصرى ، و « سودة » و «قنديه» و «سبينا لونجا» وهو يشير كذلك إلى ثغر «آيونقولا» (سانت نقولا) — على بعد بضعة أميال جنوبى « سبينالونجا » فيذكر أنه — على الرغم من صغره — صالح لإيواء السفن ، فهو يلى ثغر سودة فى صلاحيته ، وهو يذكر كذلك ثغر « لوترو » Lutro على الساحل الجنوبى للجزيرة = *Bowring's Report*, pp. 161-162.

ثم اتجه محمد على إلى إصلاح الطرق فى كريت ، وإن كانت لم تلق من العناية بإصلاحها مالقيت الثغور التى أصلحت كافة الطرق المؤدية إليها ، على حين ظل ما عداها معطلا أو كالمعطل[١] وليس معنى ذلك أن السلطات المصرية قد أهملت إصلاح طرق الجزيرة وشوارعها . فهذا « باورنج » Bowring يقرر أن شوارع الجزيرة أصلح من نظائرها فى كافة أملاك الدولة العثمانية . ويكفى أن السلطات المصرية قد أعانت كل ذى دار بتمهيد الطريق المؤدى إلى داره[٢] . ولم تقف السلطات المصرية فى إصلاح الطرق عند حد ماذكرنا وحسب ، بل قامت بإصلاح الطرق التى شقت داخل الزروع والكروم خلال عهود الفتن والقلاقل أيام حكم العثمانيين[٣] .

العناية بنشر الأمن :

ولم يفت محمد على خلال حكمه فى الجزيرة أن يضع تأمين السكان على أرواحهم وأرزاقهم فى المحل الأول ، وليس أدل على ذلك مما جاء فى كتابه إلى محافظ الجزيرة من الرضا عن سياسته وحسن سلوكه ، واستقامة سعيه ، ونشاطه الجم ، وسهره الدائم على نشر الأمن ، وإذاعة الطمأنينة ، وحماية السكان من عبث العابثين ، وتسرب العناصر الفاسدة المفسدة إلى مدن الجزيرة وقراها وأرجائها ، ويبين له رضاه عن نشاطه حين ينتقل بين ربوع الجزيرة ليطمئن سكانها على حياتهم ، وأرزاقهم ، وليستحثهم على استغلال كل شبر من أراضيهم فى تنمية أرزاقهم

= وقد أشير إلى ثغر « لوترو » عند الكلام عن إسفاكية (فى ملحق ٣) وأنظر كذلك خريطة كريت فى نهاية الكتـاب لتتحق من مواقع هـذه الثغور المختلفة . وقد ذكر « باورنج » ما تكلفته الحكومة المصرية من نفقات لإصلاح هذه الموانى المختلفة ولإدخال بعض الترميمات على كل من قلعتى « كرابوزا » و « سودا » *Bowring's Report*, p. 162.

(١) *Bowring's Report*, p. 162.

(٢) "Since the Viceroy has had the island, the streets have been paved and they are now better than in almost any town of Turkey", *Ibid.*, p. 162.

(٣) دفتر ٢١٨ عابدين ، المضبطة ٢٤ فى ٩ ربيع آخر ١٢٤٨ (٥ سبتمبر ١٨٣٢) .

وتحسين أمور معاشهم ، ويؤكد له فى آخر الرسالة أن أهم شىء لديه ، وغاية آماله فى حكم الجزيرة ، هو نشر الأمن ، وتحقيق وسائل الراحة والرخاء والطمأنينة بين أهالى الجزيرة(١) .

وليس من شك فى أن محمد على قد أفاد من تلك المحن العاتية التى نزلت بأهل الجزيرة أيام وقوعهم تحت راية العثمانيين فبات يحذر عماله من الوقوع فى تلك الأخطاء التى وقع فيها عمال العثمانيين فأفسدوا حياة السكان ، وأضاعوا سلطانهم فى الجزيرة ، وحذر محافظ الجزيرة من الوقوع فيما وقعوا فيه من أخطاء ، وأوصاه بألا يتورع فى استخدام كافة وسائل العنف والقسوة لنشر الأمن ، وإذاعة الطمأنينة ودرء الفساد ولم ينس أن يحذره آخر الأمر من الانصياع إلى وساطة ذوى النفوذ ممن يحمون أصحاب العبث مبيناً له مايترتب على ذلك من أسوأ العواقب التى تؤدى أو هى قد أدت بالفعل إلى إنسلاخ الجزيرة من حكم العثمانيين، وما ترتب على ذلك من خسائر فى الأموال والأرواح ، ومشيراً إلى كتب التاريخ تمتلىء بالدروس والعبر التى ينبغى أن ينتفع بها ، وكيف كان مصير الحكام الذين أهملوا الانتفاع بتلك الدروس(٢) .

واهتدى محمد على إلى الانتفاع بفرق الشرطة من الألبانيين المحافظة على سلامة الجزيرة وأمنها فى كافة الربوع والأقاليم(٣) .

وكان من أهم ما عنى به محمد على تشديد الحراسة على سواحل الجزيرة ، وقد كان المشاغبون وأصحاب الفتن من جزر البحر يتسللون إليها فى غفلة من الحراس

---

(١) « ثم (عليك) أن تبذل كذلك همة كبيرة فى سبيل تحقيق أملى الأصلى الكبير فى الجزيرة وهو بسط الأمن والراحة والهدوء بين أهاليها » ، دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، الأمر ٩٧ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٤ ربيع ١٢٤٨ (١٣ يونية ١٨٣٤) .

(٢) دفتر ٢١٠ عابدين ، المكاتبة ٥٥ ، محافظ كريت فى ٢٤ ربيع أول ١٢٤٨ (٢١ أغسطس ١٨٣١) .

(٣) أنظر ما تقدم ص٩٨ .

بين الحين والحين(١) ، فبعث إلى رجال إدارته يوصيهم باليقظة وإنزال أشد ألوان العقاب بالمهملين من الحراس بعدما بذل غاية الجهد فى تيسير مهمتهم والعمل على راحتهم ، فبنى لهم دوراً يلجأون إليها حين يشتد البرد ، وقد كانوا من قبل يلوذون بالكهوف والأغوار(٢) .

ومن الوسائل التى اتخذتها السلطات المصرية لحماية أمن السواحل ، إصدار الأوامر المشددة بمنع السفن والزوارق من الاقتراب من السواحل إلا حيث توجد الثغور . وظاهر أن أوامر السلطات كانت خالية من العسف ، هادفة إلى خير الجزيرة وتأمين سلامتها ، ولا أدل على ذلك من أن يستمع محافظها إلى شكوى أهالى إحدى القرى من أن تنفيذ تلك الأوامر فيه إضرار بمصالحهم لبعد الشقة بين قريتهم وبين أقرب ثغور الجزيرة . فلا يلبث حتى يقتنع ، فيصدر أوامره باستثنائهم من تطبيق الأمر ، ويكتب بذلك إلى مجلس قندية ورسمو ويوصيهما بتعيين أحد رجال الجمارك لتنظيم رسو السفن والزوارق عند ساحل القرية المذكورة(٣) .

---

(١) (فى سبتمبر ١٨٣٢ دخل خفية بعض القادمين من جزيرة كورفو : وهم عبد الله الكريدى ، وصرافان من الأرمن الكاثوليك ، قصد ثلاثتهم الجزيرة ليبثوا فيها الفتنة والفساد فبادرت حكومة مصر بمطالبة المسئولين بإجراء تحقيق دقيق للتوصل إلى معرفة الميناء الذى نزل فيه هؤلاء الثلاثة والجهات التى قصدوا إليها ، والأشخاص الذين كانوا على اتصال بهم فى الجزيرة ، كما أمرت بإيداعهم السجن حتى ترد أوامر أخرى من مصر) .

دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ٥ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٣ ربيع آخر ١٢٤٨ (١٩ سبتمبر ١٨٣٢) .

(٢) (صدرت تلك الأوامر على أثر حادثة تسلل جديدة عندما نجح شخصان مسلمان فى الدخول إلى الجزيرة قادمين من إحدى الجزر القريبة فى غفلة من الحراس) .

دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ٦٢ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٩ رجب ١٢٤٨ (٢٢ ديسمبر ١٨٣٢) .

(٣) دفتر ٢١٨ عابدين ، مكاتبة ١٣٢ ، من تقرير المحافظ اليومى فى ٢٧ ذى الحجة ١٢٥٢ (١٤ أبريل ١٨٣٦) .

كذلك بذلت السلطات المصرية غاية الجهد فى مكافحة الجريمة ، وكانت الجزيرة من قبل مسرحاً لجرائم القتل والنهب والسطو . فأنذرت أهل القرى والأقاليم المختلفة بفرض غرامات مالية معينة على أهل كل قرية أو إقليم يتوانى فى الإرشاد عمن يرتكب جريمة القتل[١] .

وليس أدل على الاهتمام بشئون الأمن والحرص على تنظيم وسائله من أن محافظ الجزيرة لم يغادرها عندما اضطر إلى الإسهام فى حروب الشام — قبل أن يتخذ من الإجراءات مايكفل أمر ذلك ، فخصص توكيداً للأمن وضبط أموره مايزيد على ستمائة رجل من مختلف العساكر أنزلهم فى « سلنة » و « رسمو » و « أمارية » و « قنـدية » و « إسفاكية » ، وبذلك ساد الجزيرة أمن شامل[٢] وحرصت السلطات على أخذ العابثين والمعتدين من رجال الأمن بالصارم العنيف[٣] .

---

(١) دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ١١ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٥ جمادى الأولى ١٢٤٨ (١٠ أكتوبر ١٨٣٢) . وعندما فر أحد القتلة اليونانيين من أهالى أسفاكية إلى ديار أخرى بعـد أن قتل زميله بالقرب من قرية « ميلوبوطامو » صدرت الأوامر ببيع ممتلكات القاتل وحرمان ورثته منها ، واستخدام ما تبقى من أمواله بعد توفية ديونه فى الإنفاق على إنشـاء بعض الطرق والجسور ، والعناية بها (دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ٥٨ من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٩ رجب ١٢٤٨ (٢٢ ديسمبر ١٨٣٢) — وعندما ارتكب أحد اليونانيين جريمة قتل مستخدماً السكين ، صدرت الأوامر بمنع أهـالى الجزيرة من حمل سكاكين يزيد طول كل منها على شبر بما فى ذلك قبضتها .

(دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ٢١٨ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت ، بدون تاريخ) .

(٢) وزع المحافظ طوائف الجند على نواحى الجزيرة المختلفة . فأقام فى « سانه » طائفة من عساكر السكبان وعلى رأسها على أغا الوكيل العسـكرى الذى ظل على رأس قوة من أربعة وأربعين جندياً ، وفى رسمو وأمارية أقام أربعة وخمسين جندياً — كما اشترك معهم فى رسمو مائة وتسعة من جند فرقة أخرى . أما فى قندية فكان يوجد من عساكر السكبان مائتا جنـدى من أتباع القائد سعيد بك بالإضافة إلى مائة وخمسين جندياً من جنود مصطفى باشـا . كما أقام المحافظ من جنده مايزيد على المائة فى إسفاكية وخمسين آخرين بناحية خانية . محفظة عابدين ٢٦٨ ملف كريد ، الارادة ١٣١ حمراء ، من محافظ كريت إلى باشمعاون الجناب العـالى فى ١٦ جمادى الأولى ١٢٥٥ (٢٨ يوليه ١٨٣٩) .

(٣) ففى ناحية إسفاكية اعتدى عساكر القائد حسين أغا الكريدى على ممتلكات بعض الأهالى =

ومن الوسائل التى اتخـذت لضمان الأمن ، وإذاعة الطمأنينة فى النفوس المبادرة بالقضاء على الشائعات الـكاذبة المغرضة المثيرة وإنزال العقاب بمصدريها ومروجيها[١] .

وأثمرت جهود المصريين فى الجزيرة ، فمـكنتهم من القضاء على الفتن وإذاعة الأمن وحسبنا أن نعرف أن الأسفاكيين وكانوا مشهورين بإثارة الفتن وحب العبث ، والميل إلى العدوان وإنهاك الحرمات[٢] قد هدأوا ورشدوا وانصرفوا عن غيهم[٣] .

= وتسببوا فى ضياع وسرقة جزء كبير من أموالهم ،مما جعلهم يسرعون بتقديم الشكوى إلى المحافظ الذى أجرى تحقيقاً عاجلا تبين له فيه صحة ذلك ، كما اتضح له أن قيمة ما فقده المعتدى عليهم يزيد على ٩٩٠٠ قرشاً فأمر القائد بتعويض الأهالى عن خسارتهم ، قام فعلا بذلك ، ثم نحى ذلك القائد وعين مكانه محمد على أغا من أغوات دائرته الخاصة ليصبح قائداً على تلك الناحيـــة (محفظة عابدين ٢٦٨ ملف كريد ، الإفادة ١٨ حمراء ، مكتوبة للباشمعاون فى ٧ ربيع الآخر ١٢٥٥ (٢٠ يوليه ١٨٣٩) .

وصدرت شكوى أخرى من بعض عسكر قندية قدمها قنصل انجلترا فى مصر لاعتدائهم على أحد رعايا انجلترا فى الجزيرة وسرقة ما معه من نقود قدرها ٩٧٥ قرشاً ، فطالبت مصر المختصين فى الجزيرة بالتعجيل بإجراء تحقيق ، ومعاقبة العسكر الجناة وتغريمهم المال الذى أخـذوه منه أو تسببوا فى ضياعه ، أما إذا كانوا لايملكون المبلغ فعلى الإدارة فى الجزيرة أن تتولى صرف هذا المبلغ من أموال الدولة دفتر عابدين ٢٢٤ المكاتبة ٢١٥ إلى محافظ كريت ١٥ ذى القعدة ١٢٥٥ (٢٠ يناير ١٨٤٠) .

(١) ومنها ما اتبع بصدد إزماع الإدارة فرض ثلاثة قروش على كل جرة من الخمر ، وكان مروجو هذه الإشاعات طائفة من المفسدين بنواحى قنـدية ، فعجل المختصون بالقبض عليهم ومحاكمتهم ، ولم يكتف بذلك بل نشر فى جريدة الوقائع الكريدية خبر تكذيب هذه الاشاعات ومعاقبة المفسدين المروجين لها حتى تسود الطمأنينة والهدوء فى النفوس . (دفتر ١٢٥ مجلس ملكى عالى ، الأمر ٢٣١ من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٣ جمادى الآخرة ١٢٥١ (١٦ أكتوبر ١٨٣٥) .

(٢) أنظر ملحق (٣) عن إسفاكية .

(٣) وتبين تحولهم هذا عندما عاد اليهم وكيل ناحية إسفاكية وكان قد هرب من مجلس خانية إلى بلاد المورة ، وحرضهم على الثورة على الحكم القائم ، فلم يصغ إليه زعماء إسفاكية وأحبطوا بذلك مسعاه ، بل وأعادوه من حيث أتى (المورة) كما اتفقوا فيما بينهم على أن يبعدوا عن بلادهم إسفاكية كل من يقبل إليها قاصداً إثارة الفتن والاضطرابات ، محفظة عابدين ٢٧١ ملف كريد ، الإفادة ٥٣ ، من محافظ كريت إلى الباشمعاون فى ٨ شوال ١٢٥٦ (٣ ديسمبر ١٨٤٠) .

ولم تقف عناية محمد على بأمور الجزيرة عند حد تأمين أرزاق الناس وأبدانهم فحسب ، بل عدت ذلك إلى عقولهم يحافظ عليها من الفساد الذى يصيبها بوقوع أصحابها تحت تأثير الدراويش من أهل النصب والشعوذة وترويج الخرفات . وأوصى مجالس الجزيرة بحبس من يقع فى أيدى السلطات من أولئك الدجالين أو نفيه إلى تركيا(١) .

كما اشتد حرصه على رعاية الأخلاق والسلوك والآداب والعامة . ومن ذلك مثلا أن مجالس الجزيرة تحدد ساعات فتح أندية الشراب (المواخير) وتأمر بإغلاق ما كان منها خارج للميناء بعد الغروب من كل يوم(٢) . كما قضت السلطات المصرية على دور البغاء وكانت مفسدة فى أنحاء الجزيرة(٣) .

وحسبنا دليلاً على سلوك المصرين وأمانتهم وسيرتهم من رعايا الجزيرة ما أبدوه من الحرص على صيانة العرض وعقاب من ينتهكه مسلماً كان أم غير

---

(١) لم يغب على محمد على أمر الدرويش القادم من «بنى غازى» فتبين رقة حاله أثناء وجوده بالحجر الصحى ، ولكن لشدة ما كانت دهشته عندما علم بأن ذلك الدرويش قد استأجر مسكناً فى خانية وأخذ فى خداع ضعاف العقول ، فقصده أناس كثيرون يحملون كميات ضخمة من العسل والسكر وغير ذلك من المؤن ، كما أصبح يملك ملابساً كثيرة ، بل وأمسى يمتلك عبيداً وجوارى بل وأخذ ينعم على بعض الناس بالمال ، ويعجب الجناب العالى لعدم وصوله ما ينبىء عن هذه الأحوال على الرغم من أهميتها وما يتطلبه الموقف من طرد ذلك الدجال وأمثاله من أصحاب الحيل والتزوير ، وهو فى النهاية يوصى بحبسه ثم نفيه إلى تركيا حتى يق الناس شروره ، ويشير إلى حكمة سرعة البت فى معالجة أمثال هذه المسائل ، ففى نظره سلامة كل بلد إنما تتوقف على يقظة القائمين على شئونه وانتباههم إلى كل حادثة فى حينها ذلك لأن معالجة الأمور بسرعة ينقذ البلاد ويخلصها من كثير من الشرور — دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ٨ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٤ ربيع أول ١٢٤٨ (٢٠ أغسطس ١٨٣١) .

(٢) دفتر ٢١٨ عابدين ، مجلس قندية فى جمادى الآخر ١٢٤٨ (١٢ نوفمبر ١٨٣٢) .

(٣) وهناك وثيقة تشير إلى وجود بعضها فى خانية حيث تتسبب البغايا فى إحداث المشاجرات والمنازعات من وقت لآخر ، وإصابة الجند بشتى الأمراض المعدية ، ولذلك يرى « المختصون فى مصر منع هؤلاء النسوة من مزاولة ذلك الفحش ، ومعاقبتهن عقوبات صارمة اذا خالفن » دفتر ١٢٥ مجلس ملكى عالى ، الافادة ٩٢ ، من المعية السنية إلى ناظر مجلس خانية فى ٢٦ محرم ١٢٥٠ (٤ يونيه ١٨٣٤) .

مسلم ، وهم إنما يفعلون ذلك غيورين ومؤمنين على حين يتستر غيرهم من قناصل الدول الأوربية على جرائم العرض(١) .

الرعايا الصحية :

ليس يبدو غريباً — بعد الذى وقع فى الجزيرة من حروب متصلة ، وما قام فيها من ثورات وفتن متتابعة يقفو بعضها بعضا — أن يعم الجوع ، وتنتشر الأوبئة . ولم يكن غريباً أن يظهر محمد على وهو الحريص على سمعته السياسية من ناحية ، الطامع فى استغلال موارد الجزيرة من ناحية أخرى ، اهتمامه البالغ بصحة شعبها . فأصدر أوامره المشددة إلى مجالسها يوصيها بالحرص على تشديد الرقابة على السواحل حتى لاتفلت سفينة من الحجر الصحى بغية اتقاء انتشار الأوبئة ، وأخذت المجالس بدورها تنظم أمر ذلك ، وتجعله مناوبة بين السكان مسلمين ومسيحيين ، كباراً وصغاراً ، جاعلين أمرها بأيدى شيوخ المناطق وأمراء البحر فيها يحاسبون على ذلك أمام المجالس(٢) .

وأخذت المجالس تزود المدينة بدور الحجر الصحى فى كل من قندية ، وخانية ، وسودة(٣) . وهى لم تقتصر فى ذلك عند حد ماذكرنا من تلك الثغور

---

(١) تذكر وثائق عابدين حادثة أمرأة يونانية من قرية « استاوراكا » إعتدى عليها يونانيان وضرباها ضرباً مبرحاً ثم قاداها إلى منزلها حيث شهرا عليها سكينا وتمكنا بذلك من هتك عرضها ، وماكان من أمر ترحيل القنصل اليونانى للمعتدين على المرأة مما أغضب المحافظ ، فأرسل يؤنب القنصل ويحمله تبعة ذلك ويخبره بأنه من واجبه أن يساعد السلطات القائمة فى الجزيرة على القبض على اليونانيين الذين يخالفون القانون وينتهكون الحرمات ، وتقديمهم إلى المجالس لتوقع عليهم العقاب الذى يستحقونه ، دفتر ٢١٨ عابدين ، مكاتبة ٩٤ بمضى ما جاء فى التقرير اليومى للمحافظ .

(٢) من قرارات مجلس خانية فى أول مارس ١٨٣٣

A. Politis, *Les Rapports entre la Grèce et l'Egypte*, pp. 519-522.

(٣) وتشير بعض الكشوف إلى المبالغ التى أنفقت فى سبيل إتمام هذه المبانى المختلفة ، دفتر ٢١٤ عابدين مضبطة ١٥ بدون تاريخ ، وتحوى كشفاً بالمبالغ المصروفة لإنشاء المحجر الصحى فى ميناء سوده ودور الحكومة والمبانى الأخرى فى خانية فى تاريخ ٢٩ صفر ١٢٤٧ (٩ أغسطس ١٨٣١) .

بل عدتها إلى أماكن أخرى(١) . كذلك توسعت المجالس فى إنشاء المصحات ودور العلاج(٢) . ويظهر وباء الطاعون فى جزيرة رودس ، ثم فى أزمير فيأخذ المحافظ فى الإكثار من تلك المنشآت خشية أن يتسرب هذا الوباء إلى الجزيرة مستعيناً فى ذلك بجهود كبير الأطباء فيها(٣) . واهتمت السلطات كذلك بتزويد

---

(١) Aff. Etr. Corr. Cons., Annexe à la dépêche de la Canée, 2 avril 1832 "Note sur le journal qui se publie à la Canée, 27 Juin 1832".

(٢) ويشير كامبل قنصل إنجلترا العام فى مصر فى تقريره الذى كتبه عن كريت عقب زيارته لها مع الجناب العالى فى صيف ١٨٣٣ إلى تلك المصحات العديدة التى أقامتها السلطات المصرية بالجزيرة فى جهات شتى منها . *Campbell's Report*, 1833, p. 82.

(٣) وهو « جوزيف كابورال Joseph Caporal » وقد عرف بتفوقه العظيم فى مهنته وبعد نظره ، ومراعاته الدقيقة للمرضى. فكان له دوره المشهود فى عيادة المرضى بالمستشفيات وتوفير كافة وسائل الراحة لهم ، وزيارتهم مراراً لدرجة أنه كان لا يبخل بالزيارة على بعضهم أربع مرات فى ليلة واحدة إذا كانت حالتهم تستدعى ذلك حتى يراقب عن كثب تطور العلاج ومدى صلاحيته . دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، ترجمة الأمر ١٢٩ فى ١٧ جمادى أول ١٢٥٠ (٣١ سبتمبر ١٨٣٤) .

وكان للطبيب نشاطه الملحوظ فى الميدان السياسى كذلك ، فكثيراً ما كان يدلى بآرائه التقدمية لمحافظ الجزيرة مصطفى باشا فيما يتعلق بادارة الجزيرة . ونجح فعلا فى تقديم خدمات جليلة فى هذا الشأن على أن مركزه كان حرجاً للغاية : فالأتراك لا يثقون فيه ويحسدونه على مكانته وحظوته لدى المحافظ ، واليونانيون لايحبونه لأنه وافق على خضوع الجزيرة للأتراك ، ثم أن الأوربيين يحقدون عليه لأنه يقاوم رغباتهم غير المشروعة Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette à Mimaut, la Canée, 20 Janvier 1832.

وقد نال هذا الطبيب الفرنسى تقدير الجناب العالى الذى لم يلبث أن منحه رتبة قائمقام ووسام الامتياز تقديراً لخدماته السابقة وأوصاه بان يداوم على اجتهاده وإخلاصه فى العمل لينال أسمى الدرجات ، دفتر ١٢٥ مجلس ملكى ، رقم ٢٣٧ ، من الجناب العالى إلى كبورال فى ٢٨ جمادى الآخرة ١٢٥١ (١٨٣٥/١٠/٢٢) ولم يلبث أن شغل إلى جانب وظيفته (كبير أطباء الجزيرة) منصب إدارة المحاجر الصحية . ولم تكن السلطات المصرية فى الجزيرة لتستطيع الاستغناء عن خدماته ولو لبعض الوقت ولا أدل على ذلك من تلك الوثيقة التى أشار فيها هذا الطبيب إلى حاجته الماسة إلى أجازة خمسة أو ستة شهور يسافر أثناءها إلى بلاد اليونان طلباً لتغيير الهواء والعلاج وزيارة الأهل والولد — فلم يسمح له بذلك إلا بعد لأى فعين أخاه وكيلا عنه فى القيام بادارة شئون المحاجر الصحية كما عين ابن أخيه « جوانى كوريس » وكيلا عنه للقيام بمهمته كطبيب ولعلاج المرضى أثناء غيابه . محفظة ٢٦٥ عابدين ، كريت ، ملف شهر ذى الحجة ١٢٥٤ (٩ مارس ١٨٣٩) منح الأجازة فى بداية عام ١٢٥٥ — دفتر ٢٢٤ تلخيص المكاتبة ١٢٢ إلى محافظ كريت فى ٢٤ محرم ١٢٥٥ (٩ أبريل ١٣٨٩) .

دور الحجر الصحى والمستشفيات ودور العلاج عامة بالأطباء والممرضين والصيادلة(١) .

ويتحدث قنصل فرنسا عن تقدم الرعاية الصحية فى الجزيرة ، فيشهد بجهود السلطات المصرية التى بذلت فى سبيل ذلك ، ويمتدح سياستها فى جعل الرعاية الصحية مصلحة من مصالح الحكومة ، على حين أنها لم تكن كذلك من قبل ، ويرى أنها أصبحت خليقة بالتشجيع ، وجديرة بتلقى المعونات الأوربية حتى تصبح كفيلة بوقاية شعب الجزيرة من العلل والأوبئة(٢) .

كذلك أخذت السلطات المصرية تنشر الوعى الصحى بين سكان الجزيرة غير مفرقة فى ذلك بين المسلمين والمسيحيين ، وتعمل على تزويدهم بالأمصال الواقية من الأمراض المعدية ، يؤتى بها من أوربا وتصرف للشعب بالمجان(٣) .

وينتشر وباء الكلب فى الجزيرة بعد أن ظهرت بوادره فى ناحية « أبقرونا » ويكون من نتائج ذلك هلاك بعض الناس والحيوان ، هنالك أصدرت الحكومة أوامرها المشددة بمراقبة الكلاب فى كافة أنحاء الجزيرة وإعدام المصاب منها

---

(١) يشير القنصل الفرنسى فى خانية فى صيف عام ١٨٣٢ إلى وجود ثلاث مستشفيات بالجزيرة إلى جانب صيدلية بها صيدلى ومساعده بالإضافة إلى الطبيب « كابورال » .

Aff. Etr., Corr. Cons., Annexe à la Dépêche de la Canée du 25 Août 1832.

ورد فى الوثائق ذكر طبيب يدعى « سانيانو » فى قندية بقى بها خمسة أشهر ثم لم يلبث أن حل محله آخر (دفتر ٢١٨ عابدين مضبطة ٢٠ لمجلس قندية بدون تاريخ) كما ورد ذكر الطبيب الذى كان يشرف على المحجر الصحى فى خانية وسودة وهو الطبيب برزيق (دفتر ٢١٨ عابدين مضبطة ٢٠ لمجلس خانية بدون تاريخ) .

(٢) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, Rapport, La Canée 3 Septembre 1831.

(٣) اهتمت السلطات المختصة فى الجزيرة بتوفير الدواء على أنواعه بالجزيرة ، ولقى مستشفى خانية الحديث عناية فائقة من المسئولين فزود بما يلزمه من دواء وأدوات (دفتر ٧٨٧ ديوان خديو ، وثيقة بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة ١٢٤٨ — ١٢ نوفمبر ١٨٣٢) — كما زودت صيدلية خانية بكميات وفيرة من مختلف أنواع الدواء (دفتر ٧٦٢ ديوان خديو ، وثيقة ٩٦ معرفى ٢٤ ربيع ثانى ١٢٥٤ — ١٩ أغسطس ١٨٣٥) .

بالـكلب[١] . ويعارض المفتى قرار الحكومة ، مشيراً إلى عدم جواز الإعدام إلا بعد التحقق من الإصابة . فيتقدم القنصل البريطانى ومعه طائفة من التجار المسلمين والمسيحيين إلى مجلس خانية،ويتقدم معهم طائفة من رجال الدين فيلتقون جميعاً فى المجلس لمناقشة الأمر ، ويصر الفريق الأول على إعـدام المصاب منها وحسب . وأخيراً يتخذ المجلس قراراً بإعدامها جميعاً[٢] .

ولن يقف اهتمام حكومة الجزيرة بالرعاية الصحية عند حد ما ذكرنا بل هى قد أمرت بالحجر على السلع المستوردة حتى تتأكد من فحصها وخلوها من الأوبئة التى يحتمل أن تصيب سكان الجزيرة ، وفرضت على مسـتورديها من الفوائد ما يقتضى بقاءها فى دور الحجر . وظل أصحابها يؤدونها دون معارضة[٣] .

---

(١) دفتر ٢١٨ عابدين مكاتبة ٨٤ ترجمة ما فى تقرير الباشا اليومى فى ٢٠ ذى القعدة إلى نهاية الشهر ١٢٤٩ (٣١ مارس ١٨٣٤) .

(٢) دفتر ٢١٨ عابدين مكاتبة ٨٨ — ترجمة مافى تقرير الباشا اليومى فى١٧ محرم ١٢٥٠ (٢٦ مايو ١٨٣٤) .

(٣) إلى أن كانت معارضة بعض ممثلى الدول الأجنبية فى كريت على الخضوع للحجر الصحى وتأدية رسومه مع أن هذا الرسم كان من قيمة السلع التى يحجر عليها بالإضافة إلى أجور تدفع للحراس القائمين على حراستها ، وتبلغ ٥ ر ٤ قرشاً للحارس ، وكان ذلك عندما وصلت السنيور « دومونيقو » من رعايا سردينيا سلعاً من أزمير ومالطة ، ورفض أن يدفع عليها هذه الرسوم والأجور ، وأعانه على ذلك قنصل سردينيا «مستفليج» ، ضمن أوراق محفظة قرارات مجلس قندية يوجد محضر الجلسة مجلس خانية فى يوم الخميس ٢٢ صفر ١٢٥٤ (١٧ مايو ١٨٣٨) وقد كان الموضوع الثانى فيها يتعلق بموقف القنصل من هذه المسألة ولكن الوثيقة تذكر أن «ستفلنج» كان قنصل النمسا وذلك التاجر من رعايا النمسا (محضر جلسة ٢٦ ربيع آخر ١٢٥٤ — ١٩ يولية ١٨٣٨) . وقد أكد ذلك « كبورال » كبير أطباء الجزيرة و « قسطنديو موجو » وكان يشغل عندئذ منصب مدير المحجر الصحى . فأرسل مجلس خانية يستجوب القنصل على ذلك الموقف ، فأجابه على ذلك بكتاب قرىء على المجلس : أعلن فيـــه القنصل سروره لتدخل المجلس فى هـــذا الأمر ولا سيما — على حد قوله — أن رجال الحجر قد عادوا إلى إتبـــاع الطرق المخالفة للمتبع ، وطلب من المجلس القضاء على هذه المخالفات ، مبيناً أن هذه السلع ليست مما يحجر عليه صحياً ، وأنه على استعداد لإثبات ذلك ، ثم طلب الإفراج عنها وتسليمها إلى صاحبها فوراً ، ولكن تبين أن تلك السلع كانت خاضعة للحجر الصحى ، ولذلك رفع الأمر إلى الجناب العالى بسبب قعنت صاحبها =

العناية بشـئون التعليم والثـقافة :

كانت ظلمـات الجهل تغشى أنحاء الجزيرة من أقصـاها إلى أقصاها . وكان الأهالى ينفرون من التعليم ويصدون عنه . ويشير إلى تلك الحقيقة الرحالة « باشلى » الذى زار بلاد اليونان ١٨٣٣ ثم عرج على الجزيرة نفسها سنة ١٨٣٤. وكيف راعه خلال زيارة أديرتها أن رجالها لا يتميزون فى معلوماتهم عن أفقر طبقات الفلاحين ، ويذكر بهذه المناسبة ما فعله « أوتو » ملك اليونان الذى شدد الرقابة على أديرة اليونان وأمر بتخصيص إيراداتها للانفاق على رعاية الشئون التعليمية والنهوض بها[1] .

وقد كان محمد على علياً بذلك منذ البداية ، فأشار فى تصريحاته أول عهده إلى نية الحـكومة فى إنشاء مدارس لتعليم أبناء المسـلمين وأخرى لتعليم أبناء المسيحيين ، لتنوير عقولهم بعد الذى غشيها من ظلمات الجهل ، ولم يفتر منذ اللحظة الأولى فى حث المسـئولين على بذل الجهود فى النهوض بالجزيرة ورفع مستوى الحياة فيها[2] .

= (دفتر ٢٦٥ عابدين ، ملف كريت ، فى محرم الأمر ٥ أصلى (٧٢ احمر) من حافظ خليل ناظر مجلس خانية إلى المعية فى ١٧ محرم ١٢٥٤ (١٢ أبريل ١٨٣٨) .

كما تقدم قنصل انجلترا العام فى مصر (كامبل) بشكوى إلى محمد على بناء على ما كتبه له ممثله فى الجزيرة بخصوص زيادة مدة الحجر الصحى ورفع رسمه بالنسبة للبضائع والمنقولات الواردة من المورة والجزر السبع ، محفظة ٢٦٨ عابدين مكاتبة ١٠٦ ، خانية فى ٢٣ شعبان ١٢٥٥ (١ نوفمبر ١٨٣٩) واتضح فى النهاية أن ذلك كان إجراء حكيماً اتخذ بسبب ظهور الوباء فى إحدى الجزر ، فتقرر زيادة مدة الحجر وإخراج كل محتويات السفن والسلع الواردة من هذه البلاد وإبقائها فى المحجر الصحى ، وأخذ عوائد قدرها ١ ٪ من قيمتها ودفع يوميات الحراس المنتدبين للمحافظة عليها ، ترجمة المرفق الثانى الملحق بالخطاب السـابق فى ٢٧ شعبان ١٢٥٥ (٥ نوفمبر ١٨٣٩) .

(١) Pashley, vol. II, pp. 27-28.

(٢) دفتر ٢١٠ عابدين المكاتبة ٢٥٩ فى ٤ ربيع الآخر ١٢٤٨ (٣١ أغسطس ١٨٣٢) من الجناب العالى — لم يذكر المرسل إليه لعله مجلس خانية .

ثم يزور الجزيرة زورته الأولى فى صيف سنة ١٨٣٣ ويحاول أن يتبع القول بالعمل فيطلب إلى مجلس خانية إنشاء مدرستين إحداهما لأبناء المسلمين وأخرى لأبناء المسيحيين ، ويطلب إلى أعضاء المجلس أن يتشاوروا فى اختيار أصلح الأمكنة لبناء المدرستين ، وأوصى بتوفير كافة وسائل الصحة والراحة للتلاميذ ، وذلك بأن يكون لكل مدرسة حديقة واسعة ، كما أوصى باتباع الدقة فى اختيار المعلم الصالح ، والموظف الكفء ، والخادم الأمين،مصرحاً آخر الأمر ،بأن يكون كل ذلك على نفقة الحكومة يرى من الحق عليها أن تنقذ شعب الجزيرة من الجهالة والضلالة ، وأن ينوروا أبصارهم وبصائرهم بالمعرفة والثقافة(١) .

وحين يقع الاختيار على قرية من قرى « أبوقرونا » يقال لها نيوخوريو Neokhorio لبناء المدرستين يرتاب الأهالى فى نية محمد على ويوجسون من ذلك خيفة ، حين يخطئون فى تفسير نيته ، فيتوهمون أن غرضه كان جمع أبناء الأهالى فى هذا المكان تمهيداً لترحيلهم على إحدى السفائن المقلعة من خليج « سودة » إلى مصر(٢) .

وتزداد أوهام الكريتيين وتشتد مخاوفهم فيضطر مصطفى باشا محافظ الجزيرة وهو يفرق حشود المتظاهرين فى «مورنييس» ١٨٣٣ إلى إعلان عدول الحكومة عن بناء المدارس ، وعدولها عما جاء فى تصريح الجناب العالى بإجبار الأفراد على مساعدة بعضهم بعضا فى فلاحة الأرض(٣) .

وتنتهى أنباء ذلك إلى محمد على ويأسف أشد الأسف من أن تؤول نواياه الطيبة إلى عكس ما أراد ، وينقلب أسفه إلى غضب شديد على أهل الجزيرة ،

---

(١) دفتر ٤٥ معية تركى ، الأمر ٢٢٧ ، الأمر الصادر من الجناب العالى إلى مجلس مشورة خانية فى غرة ربيع الآخرة ١٢٤٩ (١٨ أغسطس ١٨٣٣) .

(٢) Pashley, vol. II, p. 27.

(٣) *Ibid.*, vol. I, p. XXXV.

وتظهر آيات غضبه هذا حين يتقدم إليه قنصل النمسا السابق بالجزيرة « هيولت دركولس » بعد عامين من تلك الحوادث ويطلب إليه إنشاء مدرسة لتعليم الكريتيين وأخذهم بأحدث نظم التعليم فيرد عليه قائلاً عندما قصدت كريت فيما سبق ، كنت استصوبت إنشاء مكاتب للمسلمين والأروام رغبة منى فى ترقية الشعب ، وأملاً فى اعمار المملكة ، فلما اتصل نبأ رغبتى بالشعب أخذوا يذيعون فيما بينهم ضروباً من الأراجيف ، ولن أنسى أبداً صنيعهم الذى جعلنى أندم على عطفى عليهم ، ثم أمر بعدم التصريح له بذلك نظراً لجهل الأهالى وتعصبهم الشديد[1] .

ثم يمضى على ذلك عام ويجىء إلى الجزيرة معلم أمريكى وزوجه ، كانا قبل ذلك فى المورة ، فيقصدان إلى خانية ، ويقيمان فيها ، ويطلب ذلك الأمريكى أن يصرح له بإنشاء مدرسة على نفقته الخاصة يؤمها من يريد من أبناء الأوربيين ليتعلموا فيها بعض اللغات الأوربية كالفرنسية والايطالية[2] ويتصل محافظ الجزيرة بالجناب العالى لينبئه بذلك ويستطلع رأيه فيه . فيجيبه بالرفض مبيناً أنه لم يسمح بمثل ذلك فى البلاد الإسلامية[3] .

وينتهز الأمريكى فرصة زيارة محمد على الثانية فيوسط قنصل بلاده فتقبل وساطته مشترطاً ألا يكون التعليم فى تلك المدرسة قاصراً على أبناء الأوربيين وحسب بل ينبغى أن يتعلم فيها أبناء اليونانيين أيضاً[4] . ولم تلبث المدرسة غير

---

(١) دفتر ٣٦ معية تركى ، الوثيقة ٦٦ ، من الجناب العالى إلى بوغوص بك فى ٩ رمضان ١٢٥١ (١٩ ديسمبر ١٨٣٥) .

(٢) محفظة ٢١٨ عابدين الوثيقة ١٤٤ من تقرير محافظ كريت اليومى فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٥٢ (٢ أبريل ١٨٣٧) .

(٣) دفتر ٢٢٢ عابدين ، الأمر ١٩ من الجناب العالى إلى محافظ كريت من قرية روغديا فى ١٤ ربيع آخر ١٢٥٣ (١٨ يولية ١٨٣٧) .

(٤) دفتر ٢٢٢ عابدين الأمر ٥٧ من الجناب العالى إلى محافظ كريت من قرية روغديا فى ١٤ ربيع آخر ١٢٥٣ (١٨ يولية ١٨٣٧)

قليل حتى ازدهرت وبلغ عدد تلاميذها مائة من البنين وثمانين من البنات[١] . وفى عام بلغ عدد تلاميذها ثلثمائة من البنين ، وخمسين ومائة من البنات ، كما أدى رواجها إلى سعى قندية سعياً حثيثاً لإنشاء مدرسة مماثلة لها بها[٢] .

وهنالك بادر محمد على بإنشاء مدرسة أميرية[٣] فى قندية لتعليم أبناء المسلمين ؛ يقرأون فيها القرآن الكريم ، ويتعلمون فيها اللغة العربية ، وجعلها على غرار مدرسة المبتديان فى مصر ، ونظم لهم من الرواتب ما كان لنظرائهم فى المدرسة المذكورة[٤] . وفى الوثائق ما يشير إلى أن عدد التلاميذ فى مدرسة قندية قد بلغ تسعة وعشرين ومائة . كما تشير قوائم الكتب التى كانت ترسل إليها أن العناية بالدين كانت فى المحل الأول ، فالقرآن الكريم وكتب الارشاد إلى قواعد الصلاة وكتب أخرى ، نوردها كما جاءت فى البيان : « متن كلستان الفارسى » و « بند عقار » و « تحفه ذهبى » و « سبحه حبييان » و « تحفه خيرت » و « الدرية »[٥] .

ونحت الحكومة فى تنظيم تلك المدرسة نحوها فى تنظيم نظيراتها فى مصر من حيث استعمال الألواح ، ترى فى ذلك تعويداً للطلاب على كتابة الدرس واستظهاره ، وتجويد الخط ، وتصويب الإملاء ولم يكن أمر ذلك معروفاً فى الجزيرة من قبل[٦] .

---

(١) *Browing's Report*, p. 163.

(٢) P.R.O., F.O. 78/412, Report on the Jsland of Crete for 1839 by Ongley, Inclosure in Ongley's Letter, No. 4 of 31 Janu. 1840.

(٣) وردت هذه الصفة « الأميرية » فى محفظة ٢٧١ عابدين الإفادة ١٤١ فى ٢١ شوال ١٢٥٥ (٢٨ ديسمبر ١٨٣٩) وكانت تتضمن طلباً بإرسال ٢٠٢ كتاباً للمدرسة المذكورة.

(٤) دفتر ٢٢٢ عابدين الأمر ٣٩ من الجناب العالى إلى محافظ كريت من شيرا فى ١٢ رجب ١٢٥٣ (١٢ أكتوبر ١٨٣٧) .

(٥) محفظة ٢٦٨ عابدين الوثيقة ١٥٩ حمراء ١٤٠ أصلية من محافظ كريت إلى الباشمعاون فى ٢١ ذى القعدة ١٢٥٥ (٢٦ يناير ١٨٤٠) .

(٦) دفتر ٢٢٤ عابدين مكاتبة ٢٢٨ إلى محافظ كريت فى ١٧ ذى الحجة ١٢٥٥ (٢١ فبراير ١٨٤٠) .

ولم يقف محمد على فى رعاية المسلمين وتعليمهم فى كريت عند حد ماذكرنا بل جعل مسجد الوزير فى قندية مدرسة لعلوم الدين ، وجعل النظارة عليها لرجل من ذوى الكفايات الممتازة اسمه « الحاج حيدر أفندى الكريتى »(١) .

ولم تهمل الإدارة المصرية شئون غير المسلمين ، فقد كانت فى قندية مدرسة تضم من أبناء المسيحيين نحو خمسين تلميذاً يعلمون فيها اللغة الاغريقية ، وفى رسمو مدرستان لنفس الغرض وإن كان الانفاق عليها مما أسهم به الأهالى . على أن هذا النوع من المدارس المسيحية قد كان يتبع نظاماً عقيما لاغناء فيه . فهو لايختلف عن النظم التى سادت فى عهد الأتراك من حيث قصره على دروس الدين تتلى على التلاميذ باللغة الإغريقية القديمة التى لايستسيغها عقل الناشىء ولا يدرك منها قليلاً ولا كثيراً(٢) . وإنما يلقنها ليتلوها كما يفعل الببغاء . مثله فى ذلك مثل الناشىء فى بعض الدول الأوربية حين يتلو صلاته باللغة اللاتينية أو كمثل الناشىء المسيحى فى مصر يتلو صلاته باللغة القبطية التى لايفهم منها كثيراً ولا قليلاً .

الوقائع الكريتية :

ظاهر منذ اللحظة الأولى التى آل حكم الجزيرة فيها إلى محمد على أن اهتمامه بأمرها لم يكن يقل عن إهتمامه بمصر ، — وما ندرى — لو امتدت الأيام بحكومته فيها — كيف كان يصبح مصيرها بين يديه ، نراه يخطط لإدارتها منذ اللحظة الأولى ، ويتطلع إلى مستقبلها منذ آل حكمها إليه ،لا يكاد يفرق بينها وبين ملكه

---

(١) وكان يرأسها من قبل أحد أقارب العالم المذكور وهو المرحوم الحاج سليمان أفندى محفظة ٢٧١ عابدين الإفادة ١٥٩ حمراء ، من محافظ كريت إلى الباشمعاون فى ٤ شعبان ١٢٥٦ (١ أكتوبر ١٨٤٠) .

ولم يتحقق لى من دراسة الوثائق إذا ما كانت هذه المدرسة هى مدرسة قندية الأميرية بعينها أم أنها مدرسة أخرى أقل شأناً منها إذ لم يرد بشأنهما شيئاً كثيراً وإن كنت أرجح الأمر الثانى .

(٢) *Bowring's Report*, p. 136.

المريض فى مصر . أنظر كيف يأمر بإصدار صحيفة أسبوعية ، يسميها الوقائع الكريتية ، على نحو جريدة الوقائع المصرية فى مصر يصدرها باللغتين التركية واليونانية . ويختار للاشراف على تلك الصحيفة رجلاً من كتاب ديوانه يدعى على أفندى جام ، فيجعله ناظراً لديوان الوقائع ، ويطلق يده فى الإعداد لإصدارها فيبعث إليه بكافة أدوات المطبعة التركية من مصر(١). ويطلب إلى محافظ الجزيرة أن يكمل له المطبعة اليونانية من بلاد المورة(٢) واستكملت دار الطباعة لإصدار الوقائع فى خانية وأسندت نظارتها إلى على أفندى الذى مر ذكره، يعاونه فى ذلك حسين أفندى القندرلى أحد رجال الوقائع المصرية الملمين بفنون الطباعة ، وكانت علامة الوقائع المميزة الهرم وشجرة الزيتون(٣) .

وأقام محمد على داراً أخرى للطباعة فى قندية(٤). واستقدم لها العمال والفنيين

---

(١) دفتر ٧٥٧ ديوان خديو ، مكاتبة ١٨٢ من الديوان إلى محمد بك ناظر المهمات الحربية فى ٢٢ ربيع أول (١٠ سبتمبر ١٨٣٠) .

(٢) دفتر ٤٠ معية تركى ، مكاتبة ٤٨٠ من الجناب العالى إلى مصطفى باشا فى ربيع الآخر ١٢٤٦ (٢٣ سبتمبر ١٨٣٠) .

(٣) دفتر ٧٥٦ ديوان خديو ، الأمر العالى ٤٦٤ إلى الديوان فى ١٣ ربيع الآخر ١٢٤٦ (١ أكتوبر ١٨٣٠) وأنظر نموذجاً للصفحة الأمامية للوقائع الكريتية فى ملحق ٥ .

(٤) ومن الواضح فى الوثائق والمراسلات التى تبودلت بشأن إقامة المطبعتين فى الجزيرة ، ومن الأسماء المتعددة التى ذكرت لموظفين يعملون فيهما أن مطبعة خانية كانت المطبعة الأكثر أهمية ، كما أن هذه الوثائق قد نصت صراحة على أن مطبعة خانية هى التى كانت تتولى إصدار جريدة الوقائع الكريتية [دفتر ٧٧٦ ديوان خديو ، مكاتبة ٣٦ فى محرم ١٢٤٧ (٣٠ يونية ١٨٣١)] .

والغالب أن المطبعة الأخرى القائمة فى قندية لم يكن لها نفس الأهمية ، ولربما كانت تستخدم لأغراض أخرى تتصل بإدارة الجزيرة وتدوين بعض المنشورات والأوراق الرسمية المختلفة الخاصة بهذه الإدارة ، وليس يعنى هذا أن مطبعة خانية لم تكن تؤدى هذه الأغراض — ومن العمال الذين ذكرت أسماؤهم فيما يتعلق بالعمل فى ماكينات الحجر فى قندية : يوسف بدران ، وعلى أبو حمد ، وحسن منصور (دفتر ٧٧٦ ، رقم ٣٦ ، الوثيقة السابقة) .

على أن محمد على قد ظل يواصل اهتمامه بالجريدة والمطبعتين فى كريت ، فعنى بأمر تغيير الحروف القديمة الموجودة فى مطبعتى كريت بأخرى جديدة وإرسال القديمة منها إلى مصر =

مع زملائهم الذين وصلوا إلى خانيـة[١] . كما رتب لهم معـاشهم من أجر وطعام وكساء[٢] .

ولم تكن صحيفة الوقائع بالشيء الهين فى حياة الجزيرة والإشارة إلى الاهتمام بشئونها ، فقد كانت تشتمل على النشرات الجوية ، وتسجل فى صدرها الأنباء الخاصة بالجناب العالى الداخلية والخارجية ، ونشاطه الحربى، وأنباء انتصاراته[٣] .

= بعد خصم قيمتها من ثمن الحروف المرسلة إلى كريت [دفتر ٧٦٢ ديوان خديو ، رقم ٥٣ فى ٢٥ محرم ١٢٥١ (٢٢ مايو ١٨٣٥)] .

كما عنى بإرسال المـادة السوداء المسـتخدمة فى الطباعة من مصر بصفة دائمة ومستمرة . (دفتر ٧٦٢ ديوان خديو ، رقم ٢٤٠ ، فى ١٤ شعبان ١٢٥٢ (٢٤ نوفمبر ١٨٣٦) .

(١) دفتر ٧٧٦ ديوان خديو ، مكاتبة ٣٦ ، خلاصة صادرة من مجلس خانية خاصة بكريت فى ١٩ محرم ١٢٤٧ (٣٠ يونية ١٨٣١) ومن الموظفين الذين ذكرت أسماؤهم ممن يعملون فى مطبعة خانية : عفيفى زرقانى ، وعلى عونى ، وحـماد شـاهين ، وسليمان شمس الدين ، وسليمان أبو الخير .

(٢) دفتر ٧٥٩ صادر ديوان خديو ، ١٩٨ ، فى ١١ ربيع آخر ١٢٤٦ (٢٩ سبتمبر ١٨٣٠) . وبلغت رسوم الجريدة سـنوياً ثمانين قرشاً (دفتر ٧٦٢ ديوان خديو ، مكاتبة ٢٤١ ، فى ٦ رجب ١٢٥٢ (١٧ أكتوبر ١٨٣٦) . وقد اشترك فى هذه الجريدة عـدد غير قليل من كبار الضباط فى الجيش الكريتى ، وشخصيات كبيرة أخرى فى كريت ومصر — ولكن الكثيرين منهم تأخروا فى دفع اشتراكاتهم مما جعل مجلس خانية يتخذ قراراً بالعمل على تحصيل هذه المبالغ (دفتر ٧٨٧ ديوان خديو ، تلخيص قرار مجلس خانية فى محرم ١٢٤٩ (٢٢ مايو ١٨٣٣) — وكان محمد على يحصـل على خمس عشرة نسخة من كل عـدد منها ، ولكنه لم يلبث أن أصدر أوامره فى ١٢٥٣ بأن يكتفى بإرسال ثلاث نسخ منها [دفتر ٢٢٢ عابدين ٧٢ ، من المعية إلى محافظ كريت فى ٢٣ ذى القعدة ١٢٥٣ (١٨ فبراير ١٨٣٨)] .

وقد اشترك فيها كذلك كافة قناصل وممثلى الدول الأجنبية فى كريت .

Aff. Etr., Corr. Cons., Annexe à la dépêche de Fabreguette au Ministre, la Canée 2 avril 1832, Note sur le journal qui se publie à la Canée, 27 juin 1832.

وحفظت فى مجلس خانية مجموعة أعداد الوقائع فى مجلد خاص بها ، بينما أعد مجلد آخر منها أرسل إلى الدفترخانة فى مصر [دفتر ٧٦٢ ديوان خديو ، ١٩٥ ، فى ٢٤ محـرم ١٢٥٢ (٣٠ يونية ١٨٣٠)] .

(٣) أنظر كيف يزور الجزيرة فى عام ١٨٣٣ فتتبع أنباءه وكيف كان الأهالى يستقبلونه ، وتسجل تصريحاته وأوامره ووصاياه ، فيبعث بها تباعاً إلى مجلس خانية ، تشير إلى مدى اهتمامه باستغلال كل شيء فى أرض الجزيرة بغية تنميـة محاصيلها وإفادة الأهـالى منها (أنظر ماسبق ص (١٣٠ — ١٣١) .

واهتمت الصحيفـة بتسجيل كل ما يجرى داخل الجزيرة من حوادث ومحاكات ، تستقى أنباءها من تقارير المجالس . فتسجل بذلك نشاط الحـكومة القضائى والإدارى والإنشائى. كما تسجل عدد السفن التى ترسو فى ثغور الجزيرة ، وما تحمل إليها أو تنقل منها من سلع ، وتسجل آخر الأمر نشاط الحـكومة ، فتذكر الإصلاحات العديدة التى قامت بها فى مختلف أنحاء الجزيرة ، وتذكر اهتمامها برعاية الشئون الصحية فى بلاد الجزيرة من أقصاها إلى أدناها(١) .

كلمة الختام فى سيرة محمد على فى حكم كريت :

نستطيع — فى ضوء ما مر بناء من أنباء الجزيرة ، وما وقع فيها من أحداث، أن نقرر مطمئنين أن السنوات العشر التى جرت فى حياتها بين يدى محمد على — كانت خير أيامها بالقياس إلى أيام حياتها الأخر بين أيدى من حكموها من الترك والأوربيين . وإذا كانت ظروف الـكريتيين قد جعلت حياتهم نزاعاً متصلا بين كفاحهم فى سبيل الحرية والاستقلال ، وأطماع المستغلين من دول الاستعمار ، فإن السنوات العشر التى انقضت من حياتها بين يدى محمد على قد كانت من غير شك أحسن أيامها على كل حال . بل إن الناظر إليها فى ضوء الحقائق التاريخية ليراها كالحلم السريع فى حياة الـكريتيين .

حقيقة أن الاستعمار شر كله ، ما فى ذلك ريب . ولـكن بعض الشر أهون من بعض على كل حال ، فإذا كانت الظروف السياسية فى تاريخ مصر مثلا قد جعلت حياة أهلها بين يدى محمد على خيراً من حياتهم بين أيدى الفرنسيين خلال حكمهم القصير ، وبين أيدى المماليك خلال حكمهم الطويل من قبل ، فإن حياة الـكريتيين خلال السنين العشر بين يدى محمد على قد كانت خير أيامهم جميعاً .

(١) Aff Etr., Corr. Cons., Annexe à la dépêche de Fabreguette au Ministre, La Canée 2 avril 1832.

ليس من شك فى أن سيرة التاريخ فى حياة الشعوب تختلف باختلاف طبائع الشعوب ، وطبيعة أوطانها . وليس من شك أيضاً فى أن طبيعة الوطن المصرى تختلف اختلافاً كبيراً عن طبيعة جزيرة كريت ، وأن طبع الشعب المصرى القديم العريق الخلاق البناء الذى استطاع بثورته المتصلة فى سبيل الوجود الحى المشرق الأثير المؤثر فى آن معاً إنما يختلف عن طبع الشعب الكريتى المهتز بين أمواج البحر وأمواج أطماع المستعمرين من شرق الأرض وغربها فى حوض البحر .

إن القدر التاريخى فى حياة أبطال السياسة قد فتح لمحمد على ثغرة أنفذته إلى المسرح ليلعب عليه دوره العالمى فى القرن التاسع عشر ، فاستطاع بما توافر له من طبع المغامر أن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه ، ولا أدل على ذلك من أن سيرته قد هزت دول أوربا ، فأقامت دنياهم وأقعدتها حتى باتوا يخشون خطره وأخذوا يتربصون به الدوائر ، ويحاولون تقليم أظفاره وسد المسالك فى وجه أطماعه ، ويظفرون آخر الأمر بأن يجعلوا بينه وبينهم سداً صاغراً أسواره من تلك الأحجار الصلبة واللبنات المتراخية التى أحكموا وضعها فى السد بالمواد التى حبكوا إصدارها فى مؤتمر لندن ١٨٤٠ الذى انتزع من بين يديه حكم جزيرة كريت .

لم يكن مسلك الرجل السياسى فى إدارة الجزيرة يختلف فى خطوطه العريضة عن مسلكه فى مصر ، فهو قد أخذ منه اللحظة الأولى يدرس أحوالها فى دقة ويقظة محاولاً جهد طاقته أن يصلح ما اختل من أمورها ، وهو لايفتأ يوجه ملاحظاته الشديدة إلى أعضاء مجالسها ، ويحثهم على أخذ الأمور بالجد . أنظر كيف يعيب تراخيهم فى تدوين مضابط المجالس ، وتفصيل التقارير الخاصة بشئون الجزيرة وأحوالها(١) .

(١) دفتر ٤٦ تركى ، مكاتبة ٣٥ ، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٤ جمادى الآخر ١٢٤٨ (٨ نوفبر ١٨٣٢) .

وهو حريص أشد الحرص على أن تصله التقارير تباعاً وفى حينها ليتتبع فيها ببالغ الدقة سير الأمور فى الجزيرة ، ثم هو حريص على رفع الظلم وإقامة العدل بين الناس والبت السريع فى إصلاح المعوج من أمورهم(١) .

وهو لايكاد ينظر فى أمور الزراعة حتى يبادر بضبطها بغية زيادة الدخل ويبادر إلى التوصية بحصر الأراضى الزراعية التى تولى عنها أهلها فأهمل حالها . وكان أكثرها فى منطقتى قندية ورسمو ، ويطلب إلى المسئولين موافاته على الفور بما تم فى أمرها بالتفصيل(٢) .

وبين وثائق عابدين من ذلك العهد ما يدل فى صراحة ووضوح على نيته الصادقة فى النهوض بالجزيرة وتحسين أحوالها وزيادة دخلها(٣) . لايفتأ يستحث المسئولين فيها على مراقبة سير الأعمال والمثابرة عليها ببالغ الدقة ومنع السخرة إلا أن تكون خدمة عامة لاتخص فرداً بعينه أو طبقة بعينها ، ويصدر فى شأن ذلك أوامره الصارمة(٤) .

---

(١) دفتر ٤٦ تركى ، مكاتبة ١٩ ، من الباشا إلى ناظر مجلس رسمو فى ٢٩ رجب ١٢٤٨ (٢٢ ديسمبر ١٨٣٢) .

(٢) دفتر ٤٦ معية تركى ، مكاتبة ١٣٢ ، إرادة إلى محافظ كريت فى ٣ رمضان ١٢٤٨ (٢٤ يناير ١٨٣٣) .

(٣) دفتر ٢١٠ عابدين ، المكاتبة ٦١١ ، صورة الأمر السامى الذى أصدره جناب الخديو إلى مآمير نواحى خانية : « قد كنت أفكر فى عمـــار جزيرة كريت وإتمام وسائل الرفاهية والراحة لجميع أهاليها ورعاياها منذ فوضت إرادتها إلى عهدتى ولا أخفى عليكم إنى أنشأت فيها ونصبت (فيها) موظفاً مخصوصاً لكل مصلحته ولم آل جهداً فى إصدار الأوامر إلى أولئك الموظفين من مصر والإسكندرية فى كل مناسبة حاثاً إياهم على إتمام هذا العمران — وقد قدمت شخصياً إلى الجزيرة وعاينت كل شىء فلم أجد ما كنت أرجو — ومن أجل ذلك فها أنذا أرسل إليكم القرار الذى اتخذه مجلس خانية على إثر الأمر الذى أصدرته إليه ، وذلك لتطلعوا عليه وتتشاوروا فيما يجب » .

(٤) كان ذلك إثر ما انتهى إليه عند أبنـــاء الجزيرة وإثر إنسحاب جيشـــه منها من أن مسلماً من أعيـــان الجزيرة يقال له « على أغا سوختة زاده » قد أساء معاملة بعض الرعايا المسيحيين . وكيف أن بعض المسلمين من كبـــار الملاك قد كانوا يسخرون المسيحيين فى أعمال

ثم أنظر إلى تلك الوثيقة من دفاتر معيته، وإنها لوصية إلى محافظ الجزيرة مصطفى باشا مطولة مفصلة فيها النصح والارشاد، والانذار والوعيد. فهو يذكره بما ينبغى لمثله من يقظة، وبما يحتمه عليه منصبه من واجبات منها: تنبيه أعضاء المجالس إلى ضرورة العناية بما يقدم إليهم من سكان الأهالى ومطالبهم، ورعاية مصالحهم والرفق بهم — ثم إلى الاهتمام بأحوال الحامية المعسكرة فى الجزيرة، وتوفير السكن والغذاء لهم.

ثم يعود فيذكر له علمه بسلوك أمير اللواء فى قندية وكان يدعى عثمان بك، وكيف أنه أهمل رعاية عسكره والنظر فى تعليمهم وتوجيههم، وانصرف عن القيام بواجبه إلى ما وفر لنفسه من أسباب الراحة والدعة والعيش الخفيض، ويحذره من الإهمال والتراخى، وإلا غدا فى سيرته مثله كمثل ذلك العابث فى قندية. ثم يبدى غضبه من إهمال المجلس وغفلته حين يسكت عن سلوك ذلك المرتشى الخطير من موظفيه وكان يدعى سليمان الذى بات يرهق الفقراء بكثرة مايطلب منهم من رشى لقاء تيسير أمورهم.

ويمضى فى وصيته فيذكره بما طلب إليه من تقارير مفصلة عن نشاط المجالس

= البناء وزراعة الأرض فيحولون بذلك بينهم وبين رعاية مصالحهم والنهوض بأعباء معاشهم. محفظة ١٠ بحر وبراً، وثيقة ٨، من عبده يوسف إلى الجناب العالى فى ٥ محرم ١٢٤٨ (٤ يونية ١٨٣٢).

ولا أدل على مراعاة المجالس حماية المسيحيين من محاولة استغلال بعض الأتراك لهم من القرار الذى أصدره مجلس خانية ليحمى سكان قرية « بلاتينيا » من استغلال بعض كبار موظفى الترك وأعيانهم فقد تبين أن هؤلاء يستغلون مراكزهم فى الحصول على ما يلزمهم ويلزم دوابهم من طعام وشراب دون مقابل أثناء مرورهم بالقرية المذكورة وهى على الطريق بين خانية و« كيسامو » و« سلينو » - فأصدر مجلس خانية استنكاره لهذا الاستغلال وأصدر قراراً يقضى بتحظير استغلال أهل هذه القرية، وتوقيع أقصى العقوبات على المخالفين لهذا القرار كما أصدر أمراً بتوقيع منشورات بالتركية واليونانية للتنبيه على الجميع باتقاء الوقوع فى مثل هذه المخالفات.

Politis, *Les Rapports de la Grèce et de l'Egypte pendant le Règne de Mohamed Aly 1833-1849*, pp. 518-519, Rome 1935.

من قرارات مجلس خانية – نشر باليونانية فى الوقائع الكريتية.

فى مراعاة سلوك الأهالى ، وما يؤديه الملتزمون من جهود فى سبيل تعمير الجزيرة ، والنهوض بمزارعها . ولا يريد أن ينتهى من رسالته تلك إلى المحافظ حتى يوجه إليه أعنف اللوم على إهماله فى إرسال التقارير الوافية المفصلة ؛ متهماً إياه بالركون إلى الراحة يستمرىء لذاتها بعد الفراغ من تهيئة الأمور فى الجزيرة . ولا يخفى عليه آخر الأمر ما انتهى إليه من أنباء تلك الشائعات الدائرة حول مسلكه ومسلك أمير اللواء عثمان بك فى قندية . ويعلن إليه عزمه على إجراء التحقيق فى كل ذلك عند قدومه إلى الجزيرة فى القريب العاجل . ولا يفتأ يكرر فى وصيته إلى المحافظ ضرورة الحرص على استتباب الأمن ورعاية مصالح الفقراء ، ويهدد من يهملون أمر ذلك بالعقاب الصارم . ويختتم رسالته إلى المحافظ بحثه وحث رجاله على مواصلة الطواف بأنحاء الجزيرة لمعاينة أمورها وتفقد أحوال أهلها[١] .

ولا تكاد تلك الوصية تبلغ الجزيرة لتوضع تحت نظر المحافظ ، بل لا تكاد تستقر بين يديه أسبوعاً حتى يتلقى من محمد على أمراً مشدداً بالإسراع فى إنجاز ما بين يديه من أعمال ، ويحذره من أى إهمال أو تأخير مبيناً له ما يترتب على ذلك من وقوع الأذى بالفقراء وتعطيل مصالحهم . ثم يعود فيأمره بعدم الكف عن الطواف بالقرى ليتحرى بنفسه سير الأمور ، ومدى مراعاة العدل فى معالجة أمور الناس . إذ ليس يكفى فى رأيه أن يلتفت إلى الشائعات أو الأخذ بالشبهات وإنما يجب على المسئولين أن يبحثوا ويستقصوا وأن يدققوا بالنظر بأنفسهم فى كل كبيرة وصغيرة ، حتى تتوافر أسباب الراحة للناس .

ويوصى المحافظ أن يصحب فى طوافه بالقرى فى أنحاء الجزيرة اثنين أو ثلاثة من أعيان كل إقليم للاستعانة بخبرتهم فى الوقوف على أمور الناس والاستفادة بآرائهم فى تحقيق العدالة بين الناس[٢] .

---

(١) دفتر ٤٦ تركى ، ١٣٥ ، إرادة إلى محافظ كريت فى ١٧ ذى القعدة ١٢٤٨ (٧ أبريل ١٨٣٣) .

(٢) دفتر ٤٦ معية تركى ، ١٨٤ ، إرادة من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٢ صفر ١٢٤٩ . (٣١ يونية ١٨٣٣) .

ولن يقف محمد على عند حد ما ذكرنا من دقته بل هو يطلب إلى المحافظ أن يوافيه بمحاضر وافية مفصلة عن اجتماعات المجالس، وذلك لأنه حريص على أن يعرف أنواع مايعرض عليها من قضايا ، وكم من هذه القضايا تنظر فيها المجالس يومياً ، بل هو يبالغ فيسأل عن عدد ساعات كل جلسة ، ومدى ما ينجز خلال تلك الجلسات وما لم ينجز وأسباب كل ذلك[١] . ثم هو يظهر غاية اليقظة والدقة حين يسأل عن أسباب تغيب من لايحضر بعض اجتماعات المجلس من الأعضاء . وقد يبحث بنفسه تلك الأسباب ليعرف مدى جديتها . أهي بعذر مقبول أم هي مجرد إهمال[٢] .

ولا نريد أن نسترسل فى ذكر الأمثلة والشواهد الدالة على يقظة الرجل ودقته وصبره على معالجة الأمور فقد يطول نبأ أمر ذلك حتى نشفق على القارىء من الضيق والملل[٣] .

وبعد فما أكثر مادوى صوت الأيام باسم محمد على وذكراه وما أكثر ماجرت به الأيام من حوادث بين يديه . وما أكثر ما كتب الناس عنه وما أكثر

---

(١) دفتر ٣٦ معية تركى، ٢٦٢، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ٢٨ جمادى الأولى ١٢٤٨ (٢٣ أكتوبر ١٨٣٢) .

(٢) دفتر ١٢٥ مجلس ملكى عالى ، وثيقة ١٦٩، إلى محافظ كريت فى ١٨ رمضان ١٢٥٠ (١٨ يناير ١٨٣٥) .

(٣) وهو دقيق الملاحظة فمنذ اطلاعه على مضبطة نواحى رسمو الأربع يتنبه إلى عدم ذكر إيرادات محكمة إحدى النواحى « ناحية ايواصيل » فيكتب مستفهماً عن ذلك الأمر : متسائلا عما إذا كان مبعث ذلك عدم وجود محكمة فى هذه الناحية أو أن ذلك مرجعه مجرد الإهمال — دفتر ١٢٥ مجلس ملكى، وثيقة ١٦٣، من الجناب العالى إلى محافظ كريت فى ١٨ رمضان ١٢٥٠ (١٨ رمضان ١٨٣٥) .

والرجل كذلك معنى عناية خاصة بأن تأخذ العدالة مجراها، فيثير انتباهه صدور أحد الأحكام الجائرة بخصوص إحدى المسلمات، فهو ينبه المختصين وهو يأمرهم بعدم هضم حقوق الفقراء — إلى أن الغرض الأساسى من إنشاء المجالس فى الجزيرة هو العناية بمصالح السكان وصيانتها من الظلم وحماية الفقراء والضعفاء من كل استبداد وظلم .

دفتر ٤٦ معية تركى، ٧٤، إلى مختلف الجهات فى ٢٩ رجب ١٢٤٨ (٢٢ ديسمبر ١٨٣٢).

ما اختلفوا فى سيرته ، ففريق له وفريق عليه ، وإن كنا لا نذكر أنهم اختلفوا فى الحكم على بعض صفاته . فهو مغامر مافى ذلك شك بل هو من أبطال المغامرين ، ولكنه مغامر فى غير طيش . وهو قد دخل التاريخ ببطولته ووعيه وبعد نظره من أوسع أبوابه .

وإما أن مصر قد بلغت بين يديه ما لم يكن فى الإمكان أن تبلغ بين أيدى المماليك فذلك شىء لاريب فيه ، وإذا كان قد استعان فى بعض أعماله ومشروعاته العمرانية بغير المصريين ، فما أظن إلا أن ذلك أمر اقتضته ظروف المصريين وعجزهم عن الإضطلاع بذلك يومئذ . ولا أدل على ذلك من حرصه أن يهتم بتعليم الناشئة من أبناء مصر فيبعث بهم إلى أوربا، ويشرف بنفسه على تعليمهم أو يشارك فيه على الأقل ، وأما أنه أراد الخير وأحبه لمصر وأراد النهوض بحياة شعبها ، سواء كان الباعث على ذلك حب النفس وكسب الشهرة ، أم الخير للخير ، فذلك أمر لاريب فيه .

وبمثل ذلك وعلى ضوء ماقدمنا من جهوده فى كريت خلال السنوات العشر التى آل فيها حكمها إليه ، فهو لم يتوان لحظة فى العمل على النهوض بها ، وهو قد بذل من الجهد ما استطاع ، وبلغ من النجاح غايته فى ذلك المدى القصير . ولا أدل على ذلك من الزيادة الملحوظة فى نمو عدد سكان الجزيرة نتيجة ما بذل فيها من رعاية بالشعب والعناية بصحته كما ساد حياتها الاستقرار بعد طول اضطراب ، وازداد ثراؤها بعد البؤس والفقر ونشطت فيها كافة وسائل الحياة بعد طول ركود . ويكفى للتدليل على ذلك ما نراه فى تقارير قناصل الدول الأوربية . ولم يكن أولئك ممن يحبون أن تكون كريت تحت راية مغامر شرقى مسلم . والفضل ما شهدت به الأعداء .

ملحق (١)

نص الوثيقة التي تشير إلى رغبة محمد على فى حكم الجزيرة نوردها كما هى :

دفتر معية تركى ٤٠ ، الوثيقة ٤٠٥ ، فى ١٠ صفر ١٥٤٦

(٣١ يولية ١٨٣٠)

« . . . . أما أمر تنظيم جزيرة كريد فإن عقلى القصير عنكم بعدم إمكان حفظها وإدارتها بعدد قليل من الجند وشىء يسير من المهمات فلا تدخل فى النظام الذى نطلبه ولا تبلغ مركزها القديم لأن الجزيرة المذكورة واسعة مترامية الأطراف كما أنها نضيرة ذات رونق وأن رعاياها كثيرون وسوادها عظيم فتحتاج تقويتها وتحصينها إلى عشرة آلاف جندى غير الموجودين بها على أقل القليل وإلى خمسة عشر ألف عسكرى نظراً لما يقر عليه رأى هذا العبد وإلى مقدار كاف من المهمات والذخائر فينبغى أن نعمل بادىء الأمر فى حذر وندخل فيها هذا العدد من الجند وكذلك مهمات وذخائر وفيرة ، ونسارع إلى أخذ الأسلحة الحربية الموجودة بأيدى الرعايا والمسلمين ، ونتوسل بأسباب تهدئتهم وطمأنينتهم حتى يحصل لهم الاطمئنان التام ثم ننظم المدافع والبنادق الموجودة بالقلاع وسائر الأماكن بإكمال نقصها . . . ونتم سائر اللوازم التى نحتاج إليها فى أمر حراسة الجزيرة[١] . فإذا تم لنا هذا فلا يوجد من يستطيع أن يبسط يده بالعدوان من أى جهة بقليل من القوة كما أن الرعايا الذين مردوا على البغى لا يستطيعون الحراك . ولكن إذا لم ننهض على هذا الوجه وتمكن منا الوهن كما كان فى بادىء الأمر فأرسلنا جنوداً ومهمات أقل من حد الاعتدال فإنهم يتمادون فى طغيانهم وإذا شددنا عليهم فى آخر الأمر وضيقنا عليهم فلن ينتهى إذا الاصطدام مع الأروام . وينغمس فريق

(١) فيما تقدم يتبين كيف أن محمد على قد سار فعلا على هذه السياسة فى محاولته توطيد الحكم المصرى فى جزيرة كريت ، أنظر ص ٩٠ وما بعدها .

منهم مناديلهم فى ماء البصل والثوم (أى لتدر دموعهم للبكاء) فيذهبون لبلاد الروس وفرنسا وانكلترا ويلوذون بنساء الوزراء فيثرن عواطف أزواجهم ويخدعنهم لكونهن ماردات متعصبات فتحدث فى عاقبة الأمر داهية أخرى دهياء ومصيبة دهماء . فلا يمكن والحال على هذا المنوال أن تنتظم أمور كريد ولا تكسب حسب النظام بإرسال عدد من الجنود وشىء من المهمات والذخيرة . . . بيد أن الدولة العلية إذا تكرمت ففوضت إدارة الجزيرة إلى عهدة هذا الخادم لقربها منه فإنى أظن أنى أوفق لحراستها وحمايتها وإدخالها فى نظامها القديم بفضل العدالة الشاهنشانية التى بلغت أوج الكمال . وإلا فإنى لن أطيق هذا المقدار من النفقات فاضطر إلى الاعتذار وطلب العفو السامى من الذات الشاهانية . وقد كتبت هذه العريضة فى صدد بيان ذلك راجياً عدم الضن على بهممكم وتوجيهاتكم السامية نحو هذا العبد الفقير . . . » .

يتبين من هذه الوثيقة الهامة من وثائق عابدين أن محمد على قد التمس من الباب العالى أن يعهد إليه فى صيف ١٨٣٠ بإدارة جزيرة كريت موضحاً له ما يحتاج إليه أمر حكم وتنظيم إدارتها من الجند والعتاد ، وسلوك سياسة خاصة تجاه الرعايا من المسلمين والمسيحيين على حد سواء ومشيراً فى الوقت ذاته إلى ما كان من تهاون فى الأمر وماقد يترتب على ذلك من عواقب وخيمة قد تؤدى إلى وقوع الجزيرة فى سهولة ويسر فى أيدى الطامعين من دول أوروبا والذى يستطيع أن يقرأ ما بين السطور فى هذه الوثيقة يتبين مقدار طمع محمد على فى حكم الجزيرة على الرغم مما يظهر من زهده فى ذلك ، وإشفاقه من ثقل العبء المالى والإدارى والعسكرى ، كما يتبين منه تخويف الباب العالى من عواقب الأمر إذا ما تركت الجزيرة على حالها أو لم يؤيد محمد على بسلطان الخليفة . وليس التأييد فى نظر محمد على غير ترك أمور الجزيرة بين يديه لا ينازعه فيها منازع .

ملحق رقم (٢)

القرى الكريتية وتعداد الأسر المسلمة والمسيحية فيها
فى كافة مقاطعات الجزيرة (عام ١٨٣٤)[1]

يشرف مجلس قندية على إدارة المقاطعات التالية وما تحتوى عليه من قرى .

١ — « سيتيا » SETIA

	أسر مسلمة	أسر مسيحية
Orno	٤	٣
Stavrodhoxari	٤	٢٥
Lapitho	—	٥
Graeés	٢	١٥
Torno	—	١٦
Pevrus	١	٢٠
Dhafine	١٥	٤
Haghio Mamas	٣	٥
Rhukaka	١٤	١٨
Krya	٣	٧
Iskhia	١٠	٥
Lithines	٢	١٥
Vuria	٣	٥
Papa-Jannadho	—	٨
Lutraki	٥	—
Nethia	١٠	٢
Armeni	٦	٢٠
Kandhra	٧	٢٠
Voila	٥	١
	٩٤	٢٢١

	أسر مسلمة	أسر مسيحية
Ziro	٣٠	٣٠
Apidhi	—	١٠
Léthi	—	٣
Tzo	—	٢٥
Kalo-Khorio	—	١٥
Aspro-néro	٥	٣
Kametulos	—	٥
Lamnoni	٨	—
Zakro	—	٢٠
Adhravasto	—	١٠
Klisidhi	—	٥
Azokéramo	—	٨
Kelaria	—	١٠
Magazia	٨	٧٥
Xérolimni	—	١٠
	٥١	٢٢٩
*	٩٤	٢٢١
	١٤٥	٤٥٠

(١) Pashley, *Travels in Crete*, vol. II, pp. 308-324.

* ٢٢١ نقلت خطأ ولكنها ١٩٤
المجموع بعد التصحيح ٤٢٣

	أمر مسيحية	أمر مسلمة
Meserios	١٠	—
Karydhi	١٥	٦
Khonos	٣	٦
Si Tanos	١٥	٢
Spélaea	٨	—
Kalamavki	—	١٠
Katsidhoni	١٠	—
Sandali	١	٦
Sfakia	—	١٤
Vavélus	—	٢٥
Kanénes	١٢	—
Sklavus	٨	٢
Turtuli	٥	١٠
Episkopé	٢	١٠
Sotera	٢	٣
Maronia	٨	—
Zu'	—	٩
*	٩٩	٩٨
*	٤٥٠	١٤٥
	٥٤٩	*٢٤٣

	أمر مسيحية	أمر مسلمة
Arnéku-Metokhia	٢٢	—
Haghia Phothia	٥	—
Episkopé (a second)		٨
Piskokéfalo	٢٦	١٤
Russia-Ecclesia°	٢٠	—
Takhladhia	١٠	٥
Paraspori	—	١٥
Skopé	١٨	٣
Kamési	٢٠	٤
Metokhia	٢٢	٢
Turloté	٣٧	—
Sfaka	٣٢	٧
Lastro	٢٧	٦
Kato (or Péra)	٦٠	٨
Muliana		
Mésa Muliana	٥٠	٣
Palaepétsi	—	٦
	٣٤٩	٨١
*	٥٤٩	٢٤٣
	٨٩٨	٣٢٤

٢ — « ييربترا » Yerapetra Hirapetra

	أمر مسلمة ومسيحية
Anatolé	٦٠
Malés	٢٠٠
Kalamavka	١٠٠
Maseléri	٤٠
Istronas (1)	٢٠
Makrilia	١٠
	٤٣٠

	أمر مسلمة ومسيحية
Kapistri	١٥
Vasiliké	٢٥
Kavusi	١٠٠
Monastéraki	١٠
	١٥٠
	٤٣٠
	٥٨٠

(١) ويطلق عليها كذلك «كلوخوريو» "Kalo-Khorio".

* ٩٩ نقلت خطأ ولكنها ١٠٣
* ٤٥٠ نقلت خطأ ولكنها ٤٢٣
المجموع بعد التصحيح ٥٢٦

* ٥٤٩ نقلت خطأ ولكنها ٥٢٦
المجموع بعد التصحيح ٨٧٥

	أسر مسلمة ومسيحية
Epano - Khorio	٥٠
Kato - Khorio	٧٠
Episkopé	٢٥
Papadnhiaa	١٥
	١٦٠
	٥٨٠
	٧٤٠

	أسر مسلمة ومسيحية
Haghio Iannis	٤٠
Iannisti	١٠
Kendhri	٣٥
The Ksatéli	٣٠٠
	٣٨٥
	٧٤٠
المجموع	١١٢٥(١)

٣ — « ميرابللو » Mirabello

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Milato	٣٥	—
Latsidha	٣٥	٥
Vulisméne	٥٠	١٥
Kaenurio-Khorio	١٠٠	٢
Neokhdrio'	٢٠	٢٠
Vrakhasi, Vrysis, Kommeriako, Platy-Podhi, Nikithiano, Lémnes	٨٠	٨٠
Kritsa	١٨٠	٢
Krutsa	٣٠	—
Prina	٤٠	—
Kalo-Khorio	١٠	—
Aludha	٤٠	—
Spina Longa	—	٨١
Vruka	٣٠	—
Luma	١٥	—
	٦٦٥	٢٠٥

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Skoenia	٣٠	—
Furné-Kastéli	٥٠	—
Kato-Furné	٤٠	—
Epano-Furné	٣٠	—
Four Monasteries	٣٥	—
Omissions	٥٠	٣٠
Lasithi		
Gaidhuromadra & Gerontomuri	٣٠	—
Pléti	٢٥	—
Psykhro	٣٥	—
Maghula	٢٥	—
Kaminaki	٣٠	—
Aurakodi, Ku Dhumalia, Platiano, Haghio Gheorghi	١٠٠	—
	٤٨٠	٣٠
	٦٦٥	٢٠٥
	١١٤٥	٢٣٥

(١) ويوجد فى Kasteli مائتا أسرة من المسلمين ضمن ١١٢٥ أسرة ، كما يبلغ عدد الأسر المسلمة فى القرى حوالى ٨٥ أسرة مما يجعل عدد الأسر المسيحية يصل إلى ٨٤٠ أسرة (١١٢٥ — ٢٨٥ = ٨٤٠) .

٤ — « ملفيزى » Malevizi

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Akhladha	٤٠	—
Rhogdhia	٥٠	—
Tylisso	٩٠	١٠
Moné	٣٠	٥
Kamari	٣٠	١٠
Korufés	٣٠	—
Keramutzi	—	٢٠
Pedamodhi	٥	١٥
Vutés	٣٠	—
Kalesia	٢٥	—
Stavrakia	٣٠	—
Petrokéfalo	١٤	١٢
Haghio Myro	١٠٠	٢
Pyrgu	٢٥	—
	٤٩٩	٧٤

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Sarkos	٢٠	—
Kithridha	١٥	—
Krusonas	١٤٠	—
Kato-Asites	٣٠	—
Epan-Asites	٢٥	٣
Prinia	١٥	٦
Syva	٢٢	٣
Kerasia	٢٥	٤
Augeniki	٣٥	٢
Shafnes	٣٥	٢
Gonies	٤٠	—
	٤٠٢	٢٠
	٤٩٩	٧٤
المجموع	٩٠١	٩٤

٥ — « تمنوس » Temenos

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Dhafines	٢٠	—
Venerato	٢٥	—
Kani-Kastéli	٢٨	١٨
Arkhanes	١٦٠	٦
Kat Arkhanes	٣٠	—
	٢٦٣	٢٤

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Silamos	١٠	—
Ten or Twelves other Hamlets	١٦	٩٤
	٢٦	٩٤
	٢٦٣	٢٤
المجموع	٢٨٩	١١٨

٦ — « ريزو كاسترون » أو أركاديا

Arcadie — Rhizo-Kastron

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Khristos	٣٨	١
Parsa	٢٩	—
Epano-Simi	٩٦	—
Kato-Simi	٣٨	١٠
Kalami	٤٤	—
Sykologo	٣٧	—
Epano-Pévko Kato-Pévko	٥٦	—
Kéfalo-Vrysi	١٨	٨
Myra	٦٢	١
Vakho	١٠	١
Haghio Vasili	٣٤	٧
Virevata	٨	٢
Viano	١٠٣	٩٠
Kato-Viano	—	١٦
Khonohro	١٠	٤٠
Mése	٣	١
Skhoenia	١١	—
Dhemati	١١	١
Kasteliana	١١	—
	٦١٩	١٧٨

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Fabriana	—	٤
Philippo	—	٨
Kalyvia	٥	٣
Akhendhria	٦	—
Kafu	—	١١
Tourloti	—	٥
Katsikali	—	٤
Gharipa	—	١٢
Kato-Gharipa	—	٤
Pyrathi	—	٣
Kamares	—	١
Amurghiéles	—	٩
Gurnia	—	٦
Sitirona	—	٤
Nispita	—	٤
Bathia	١	١٣
Partira	—	٢٢
Vitsilia	—	٦
Haghia Sime	—	٩
Epano-Myliarisi	١	٤
	١٣	١٣٢
	٦١٩	١٧٨
الجملة	٦٣٢	٣١٠

(Pedhiadha) — Pedia « پديا » — ٧

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Luliano	٣	١
Kasteli	١٨	١٥
Dhsavaidhé	٤	٦
Peghaidhuri	٥	٤
3 Metokhis	٢٥	—
Xydha	٢٠	—
Kastamonitsa	٣٥	—
Amariano	١٥	—
Mathia	١٧	—
Haghia Paraské	٦	—
Ipito	١٥	—
Gheraki	٢٤	١
Epidheirto	١٠	—
Navli	—	١٢
Kasami	٥	٥
Panaghia	١٥	١٥
Ebaro	١٠	١٥
Askus	٢٠	٢
Avdhu	٧٥	٦
Gonies	٣٨	—
Ghera	١٨	—
Keasi	٦٠	—
Mokho	١٢٠	١
Malıa	١٠٠	—
Khersonesos (with the two other neighbouring villages)	٦٠	٣
Stravorina	٢٠	—
	٧٣٨	٨٥
	٤٤٩	٢٤٠
	١١٨٧	٣٢٥

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Katero	٩	٧
Skalara	١٠	٦
Patsidhi	٤	٦
Kunavi	١٠	١٠
Katalagari	١٦	—
Kudhetsi	٢٠	٥
Haghio Vasili	١٥	١٠
Skylus	١٠	١٢
Melisses	١٦	٤
Haghias Paraskés	١٢	١٢
Sguroképhali	٢٥	—
Episkopé	٢٠	١٥
Haghia Tania	٢٥	—
Stamniu	١٠	—
Elaia	٢٠	١٦
Vathia	—	١٠
Kato-Vathia	١٠	٣
Kaenurio-Kuorio	٢٠	٢٠
Ghalipi	١٥	١٠
Ghalifa	٣٠	—
Kharaso	١٥	—
Smari	٢٥	—
Apostolus	١٦	١٦
Zophorus	١٠	١٠
Trapsano	٣٨	—
Russ-oKhorio	—	١٢
Voni	—	٣٠
Muktarus	٣٠	٣
Varvao	٣	١٠
Varvarus	١٠	١٢
Sklaverokhori	٥	١
	٤٤٩	٢٤٠

٨ — « منافتسى » Monofatsi

أ ، « بونيفاسيو » Boni Facio

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Megali Vrysis	٢٥	٢
Perveliana	١٠	—
Haghio Thomas	٢٠	١
Argathia	٨	٤
Avendhi	—	٣٠
	٦٣	٣٧

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Haghia Varvara	٣٢	٨
Grandhos	—	٥
Katomulia	—	٥
	٣٢	١٨
	٦٣	٣٧
	٩٥	٥٥

٩ — « كينوريو كستيللى »

(Kenouris) - Kaenurio Kasteli

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Bobia	٥٠	—
Petrokefali	١٢	٥
Khusé	٤	—
Listaro	٦	—
Alithini	٣	١٢
Péri	٤	—
Akustuliana	١٢	—
Plora	١٨	٣
Anoia	٥	١٥
Platanos	١٥	—
Lakiakes	٢	١
Agavaliana	٣	—
Pigaithaki	٦	١
Manusana	٢	—
Myres	٦	٦
Kapariana	١	٧
Siferiana	—	١٠
Talia	—	١٥
Monokhoro	٣	—
Metropolis	٥	٥
Vreli	١	٥

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Moroni	—	٣٠
Kirmusi	—	١٠
Makiana	٣	—
Paliamo	٦	—
Panaghia	٥	—
Kurtés	—	٢٠
Vorizo	٣٥	—
Zaro	٥٠	٦
Zerzeri	٤١	٤
Panasu	٦	١٢
Mulia	٥	١٠
Prinia	١٥	٢
Rafti	—	١٨
Varvuliti	—	١٢
Vasilike	٥	١٠
Kadhilo	٥	—
Krota	٨	—
Miamu	١٥	—
Diskart	١٢	—
Monastéri	٣	—
Nivreto	٥	٥

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Apolykhnos	—	٨
Haghit Dheka	١٠	١٠
Ampelussa	٥	٦
Rufa	—	١٠
Pluto	—	١٢
	١٧٢	١٣١

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Skurvula	٣	—
(Omitted a few méthokhis)	١٢	٨
	٢٣٤	١٤٧
	١٧٢	١٣١
المجموع	٤٠٦	٢٧٨

١٠ — «بريوتيسا»

Piriotissa — Kastel-Priotissa

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Haghio Ianni	٨	٣
Khamelari	٣٠	—
Itsidhia	٣٠	—
Siva	٢٢	—
Kalyvia	—	١٥
Vorus	٢٥	٥
Phaneroméne	١٠	١٠
Kissus	—	١٤
Kalokhorafi	٤	٤
	١٢٩	٥١

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Megarikhari	٢٥	٢
Gligoria	٣	١٨
Temenéli	—	٥
Kamares	٨	٨
Lagolio	٢	٤
Dibaki	٩٥	٣
Haghia Triadha	٦	—
	١٣٩	٤٠
	١٢٩	٥١
المجموع	٢٦٨	٩١

واختص مجلس خانية بالنظر فى المقاطعات التالية وما تحتوى عليه من قرى .

١ — « أبو قرونا » Apokorona

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Karés	٣٠	١
Rhamné	٢٥	٣
Mélidhoni	٢٠	—
Khiliomudu	٩	—
Samonas	٧	—
Kyriakusalia	٦	—
Stylo	٥	١
Proverma	١٦	٢
Makérus	٣٠	٢
Neo-Khorio	٥٠	٣
Nero-Khori	٩	٣
Paindho-Khori	١٠	٥
Pemonia	٢٥	١٠
Fré	٨٠	١
Kukos	٦	—
Sifiana	٤	—
Tzifés	٤٠	٣
Ipos	٧٠	٤
Prosnéro	٧٥	١٥
Vaffé	٦٥	٣
Alikampo	٧٥	—
Philippos	١٥	—
Maza	١٥	—
Khabatha	٦	—
Phoné	١٨	—
Apriskia	١٥	—
Mathés	١٥	—
Muri	١٠	٢
Kurna	٧٠	٤
	٨٢١	٦٢

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Kastelos	٢٠	—
Patema	١٥	٢
Flaki	٢٥	٤
Gonia	٦٥	—
Dhramia	(Sfakians)	
Xopolis	١٠	٦
Azocromuri	٢	٦
Katuna	١٠	—
Kalamitzi	٤٠	٤
Karydhi	٦	٣
Vamos	٣٠	١٥
Arménos	٦٠	١٥
Varas	١٦	٤
Kalyves	٥٠	٢٠
Duliana	١٠	—
Kavallo-Khori	١٠	٢٠
Kporana	٥	٦
Haghio Vasili	٢	٥
Kokkino-Khorio	٤٠	—
Plaka	٢٠	—
Drapanos, Kéfalas, Xerosterni, Vuri, Selia, Lirotinara	٣٠٠	٢٧
	٧٤١	١٣٥
	٨٢١	٦٢
المجموع	١٥٦٢	١٩٧

٢ — « خانية » Khaniotika

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Furnés	٣٠	٦
Skénes	٢٠	٤
Papiolos	٦	٣
Apothékes	٧	—
Manoilotos	١٤	٣
Psatho Ghiano	١٤	١٢
Lutraki	٦	٢
Gherani	١٦	٨
Modi	١٨	١٨
Patelari	٦	٤
Platanias	٤٠	٤
Galata	٧٠	١٠
Episkopé	—	١
Haghia Marina	٢٠	٨
Baratzus	١٨	٥
Varypetro	١٢	—
Stalo	١٨	—
Katsistro-Khori	٤	—
Perivolia	٣٠	٦
Murnies	٧٠	٨
Trikalaria	٤	—
Nerokuru	٣٠	٦
Malaxa	٢٥	—
Zurva	١٥	—
Vrysis	٢٠	١٠
Kertomadho	٦	٥
Haghia	٨	٤
Akroteri	٢٥٠	٤٥
Omissions	٣٠	١٠
	٨٤٥	١٨٢
	٨١٠	٧٠
المجموع	١٦٥٥	٢٥٢

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Keramia وتحتوى على Gherolako, Kontopulo Speliaria, Dhrakonona	١٩٤	
Papadhiana (1)		
Thériso	٨٠	٢
Mesklà	٧٢	٣
Laki	١٤٠	٢
Sévronas, Néa Rumata, Prasés, Skoedhia, Khosté, Orthuni, Karés, Kharanos, Skafidhakia	١٥٠	١٢
Kampi	—	—
Sirilé	١٠	٦
Mése Sirilé	١٠	٦
Neo-Khorio	٣	٢
Vlakeronétissa	١٤	٢
Pyrgo-Psylonero	١٠	١
Xéniko-Khori	٢	١
Psylles	١٠	—
Kontomari	٣	—
Derés	٤	٣
Skonizos	١٢	٢
Vatélako	٥٠	١٥
Alikianu	٤٠	٩
Kufo	٦	٤
	٨١٠	٧٠

Selino « سلينو » — ٣

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Sklavopula	٣٨	—
Kalami	١٢	—
Mustako	٦	٢
Khasi	٥	٣٥
Haghio	١٢	٤
Thodhoros Pelekanas	٦	١٠
Katsiveliana	٢	٣
Stavros	٤	٥
Mesoruma	—	١٢
Khadhros	—	—
Saraféna	—	٢٠
Kontokynéghi	—	١
Tsaliana	٣	—
Vasilaki	٣	—
Kalamos	—	١٢
Spaniako	٢	١٨
Vlithias	٨	٣
Makhia	١٠	٣
Kakotikhi	١٥	٢٠
Sfako	١٢	٢
Gligoriana	٥	٣
Kopéti	١	٥
Dhryes	١	١٦
Psaro Ghariana	—	٣
Alighi	—	١٢
Kantanos	٦	٧٠
Spina	١٠	—
Floria	—	١٥
Azoeré	—	١٥
	١٦٠	٢٨٩

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Akhladhiakes	—	١٠
Strati	—	١٢
Temenia	١٤	٨
Asfendilias	٥	٣
Strovoliés	٦	٣٠
Mylonés	—	٨
Sasalos	٤	١٨
Papadhiana *cum* Merté	٢	٢
Kamalia	٧	٢
Rhodhovani	٣٠	١
Moné	٤	١٢
Livadha	٣٠	—
Krusto Ghérako	٢٠	—
Agrilé	١٨	٦
Livadhes	٨	٧
Maralia	١٧	٢
Kabanu	٣٧	٤
Skafi } Ergastéri	٢٧	١٠
Lukiana	٢	٦
Tzagariako	—	١٠
Tzikiana	٧	١
Prines	٢٢	٧
Epano-Khorio	٣٠	١
Haghia Irene	٥٠	٢
	٣٤٠	١٦٢
	١٦٠	٢٨٩
	٥٠٠	٤٥١

٤ — « كيسامو » Kisamos

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Polemarkhi	٣٨	٤
Rhodhopu	٩٦	٣
Skutelonas	٦٠	—
Afrata	٢٠	—
Rhavdhuka	٢٠	—
Kamarakumuli	١٨	٢
Nokia	٢٨	—
Spélaea	٦٠	١
Vuvés	٢٨	٢
Muleti	٣٠	٢
Ghavalomuri	٢٠	٢
Vukoniés	—	٥٠
Anoskeli	٥٠	—
Karéa	—	١٨
Aspriliano	—	١٥
Stazipragu	٣	٢٠
Rumata	٣٥	٣٥
Kakopetro	٤	٤
Panéthimos	٣٠	١٠
Malathero	٢٠	٥
Perivolakia	—	٢٠
	٥٦٠	١٩٣

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Nopia	٤	—
Kotsiana	—	١٠
Dhrapania	٣٠	—
Potamidha	٥٠	١٠
Vurgharo	٢٠	٨
Muri	٣٠	٢
Topolia	٥٠	٢
Haghios Kyr Iannes	١٥	٢
Kalathines	٣٠	٢
Kaleriana	٢٦	٥
Kurfalonas	٦	٢
Kisamo Kasteli	—	٣٠
Palaeokastro	٣٥	٥
Priniakos / Lusakies	٤٠	٦
Mesoghia	٢١٦	١٥
Sirikari	٦٠	—
Ennea-Khoria	٢٨٦	٤٥
	٨٩٨	١٤٤
	٥٦٠	١٩٣
المجموع الكلى	١٤٥٨	٣٣٧

٥ — « أسفاكية » Sfakia

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Samaria	١٠	—
Haghia Ruméli	٣٨	—
Haghio Iannes	٤٠	—
Aradhéna	٣٦	—
Livaniana	٢٠	—
Lutro (1)	٣	—
Anopolis	١١٥	—
Muri	٥٠	—
Sfakia (2)	٦٠	—
Komitadhes	٨٠	—
Nipros	٨٠	—
	٥٣٢	—

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Vraska (3)	—	—
Vuvas	١	—
Asfento	٥٥	—
Anomikiana (4)	١	—
Kolokasia (4)	—	—
Kalikrati	٨٥	—
Patsiano (5)	١٤	—
Askyfo	١٦٠	—
	٣١٦	—
	٥٣٢	—
المجموع للكلي	٨٤٨	—

ويبلغ عدد الإسفاكيين القادرين على حمل السلاح فى عام ١٨٣٤ حوالى ألف ومائتى نسمة (١٢٠٠) وتوجد حوالى مائتى أسرة إسفاكية مقيمة خارج الجزيرة فى Mélo « ميلو » وغيرها كان عدد سكان إسفاكيا قبل ثورة ١٨٢١ يبلغ حوالى ١٢٫٠٠٠ نسمة . وينقسم أهالى اسفاكيا إلى ثلاث فئات فئة منهم يعيشون على رعى الأغنام . وفئة ثانية يشتغلون بحارة . فكل من ثغرى « لوترو » و « إسفاكية » Sfakia, Lutro يحتوى على بعض سفنهم . وإن تلك السفن الراسية فى « لوترو » تستطيع لكبر حجمها الاتجار مع أزمير واسكندرية . بينما اشتغل الفريق الثالث منهم بالتجارة فى أنحاء الجزيرة المختلفة .

(١) أى أن بها ثلاث أسر مقيمة — أن « لوترو » "Lutro" هى المقر الشتوى لسكان « أنوبوليس » Anopolis — وعلى ذلك يبلغ عدد سكان « لوترو » فى الشتاء عدداً مماثلا لهم فى « انوبوليس » أثناء الصيف .

(٢) وأسفاكيا هى المقر الشتوى الرئيسى للإسفاكيين . على أن بعض الأسر القليلة تقصد لجهات أخرى فى فصل الشتاء مثل Dhramia « دراميا » .

(٣) هى المقر الشتوى « لنبرو » Nipro .

(٤) مقران شتويان « لأسفنتو » Asfento .

(٥) القرية الشتوية « لكالى كراتى » Kalikrati .

٦ — « أفاسيليولمبيس » Avassiliov Lambis
أو « هاجيوفاسيلى » Haghio Vasili
أو « لمبى » Lampe

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Vrysis Akumia Dumaghérgo Platané Krya-Vrisis Mélabes Aktudha Sakturia Murn Daraviana Mixoryma Haghia Pelagia Haghia Vasili Haghio Ianni Kalé Syria	٢٨٨	—
Speli Labiné Koxaré Lako Dibiokhori Vrati Korédho Atspadhia Tzikalaria Palaeolutra Kuseliana	٥٠	١٨٨
	٤٣٨	١٨٨
نقلت خطأ ولكنها ٣٨٥	٣٨٠	٢٠
المجموع الكلى يصبح ٨٢٣	٨١٨	٢٠٨

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Kapsodhasos	٣٠	—
Skaloté	٣٠	—
Argules	١٥	—
Rhodhakino	٤٥	—
Phoenikias	٦	—
Selia	٤٠	—
Myrthio	٣٠	—
Maria	١٤	—
Asomatos (village)	١٥	—
Levkoïa	٣٠	—
Ianniu	١٥	—
Préveli	٥	—
Keramé	٤٠	—
Vrimisko	٥	٥
Ardhakto	٢٥	—
Kissos	١٥	١٥
Vato	٢٥	—
المجموع	٣٨٥	٢٠

أما مجلس رسمو فاختص بالنظر فى أمور الأقاليم التالية وما تحتوى عليه من قرى عديدة .

١ — « ميلوبوتامو » Milopotamo

هنا يعتذر الرحالة باشلى عن فقدانه لقرى « مليوبوتامو » ويذكر أن القرية الرئيسية فيها هى « مرجريت » Margarites وتحتوى على مائة أسرة مسيحية — وتقع قرية « تريبودس» Tripodhos فى «ميلوبوتامو» على مقربة من « أليتريا» Eléthera ويبلغ تعداد سكان « ميلوبوتامو » حوالى ٩٢٠ أسره مسيحية — و٣١٠ أسرة مسلمة .

٢ — « أمارى » Amari

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Amari	٢٠	١
Merona	٥٤	٦
Edanoso	٨	٧
Patso	—	٢٠
Karines	٤	٣
Ghenni	٢	٤
Gerakéres	٢٠	٢٠
Elaines	٦	٤
Gurguthos	١٢	—
Tze Vrysis	٢٥	—
Smilé	١	٥
Tze Dhryés	٥	٢
Anomeros	٥٠	—
	٢٠٧	٧٢

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Khordhaki	—	٨
Haghio Ianni	١٥	—
Apodhulo	١٤	٦
Haghia Paraskevé	١٥	—
Vathiako	—	١٥
Sahta	١	٦
Klima	٢٠	—
Lokhrié	٦	—
Ardhakto	—	١٠
Platanos	١٥	٢٠
Nithavri	١٣	٢
	٩٩	٦٧
	٢٠٧	٧٢
	٣٠٦	١٣٩

٣ — « رسمو » Rhithymniotika

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Episkopé	٣٥	٢٥
Arkhudhona	٣٠	٣٠
Polis	٩٥	٢
Haghio Gheorghios	٢٠	٦
Haghio Kostantino	٤٠	١٠
Rustika	٥٠	١٠
Palaelimno	—	٢٥
Kalonykti	٦	٥
Epano-Vasermonero	—	٢٥
Kato-Vasermonero	—	٣٠
Haghios Andhréas	٤	٢٠
Konia	٢٥	٤
Metokhia	٢٤	—
Yarran	٣٠	٥
Prinéx, Alitsopulo	٤٠	٩٠
	٣٩٩	٢٨٧

	أسر مسيحية	أسر مسلمة
Peghé	٣٨	٢
Haghia Paraskevé	٨	٣
Marvla	٦٥	٥
Bagalokhori	١٠	٥
Khamalévri	١٠	٥
Arsani (monastery)	٢	—
Haghio Ianni, Mése Kyriana, Pikré, Amnato, Lutra, Adhili, Haghia Kyriaké	٥٠	١٨٠
Ghérani & other villages omitted about	٦٠	٦٥
	٢٤٣	٢٦٥
	٣٩٩	٢٨٧
المجموع الكلى	٦٤٢	٥٥٢

وفقاً للتعداد السابق يبلغ مجموع الأسر المسيحية بالجزيرة حوالى ١٥٣٧٥ أسرة .
بينما يبلغ مجموع الأسر المسلمة فيها حوالى ٤٥٦١ أسرة .

مما يجعل نسبة عدد الأسر المسيحية إلى المسلمة ثلاثة أضعاف وثلث تقريباً .
أى أن المسلمين بها تقل نسبتهم عن ثلث السكان بقليل .

وقد ذكر الرحالة « باشلى » أن عـدد السكان قد بلغ فى عام ١٨٣٤ ١٢٩٫٠٠٠ نسمة وأشار إلى أن نسبة المسلمين إلى المسيحيين هى الثلث .

٨١٫٠٠٠ من المسيحيين

٢٧٫٠٠٠ من المسلمين

مما يوصل مجموع السكان إلى ١٠٨٫٠٠٠ نسمة ولو اقتصر الأمر على هذا العدد لكان فى تقديره لعدد السكان قريباً مما جاء فى نهاية تقرير باورنج[1] عن السكان، ولكنه أضاف إلى ذلك سكان كل من المدن الرئيسية .

١٢٫٠٠٠	سكان قندية
٣٫٢٠٠	سكان رسمو
٥٫٨٠٠	سكان خانية
٢١٫٠٠٠	مما يجعل عدد السكان يصل فى رأيه إلى ١٢٩٫٠٠٠ نسمة[2] .

ولكنهما متفقان من حيث نسبة عدد السكان المسيحيين إلى المسلمين فى عهد الحكم المصرى .

ويؤيد هذه النسبة إلى حد ما قنصل روسيا فى مصر «دوهامل» Duhamel عند ما يكتب لـ « نسلرود » Nesselrode وزير خارجيته ، من الإسكندرية فى ٦ سبتمبر ١٨٣٧ فيذكر أن المسيحيين اليونانيين يكونون ثلاثة أرباع سكان الجزيرة[3] .

(١) *Bowring's Report on Candia*, p. 184.

(٢) Pashley, vol. II, p. 325.

(٣) R. Cattaui, vol. II, 2ème Partie, p. 441.

ملحق (٣)

أسفا كيا

تقع إسفا كية فى منطقة جبلية — على الرغم من وعورة مسالكها تتخللها سهول ضيقة ، أشهرها سهل Askyfo ، وفيه تنتشر مجموعة من القرى تكتنفها الجبال وتحيط بها من كل جانب[١] ويتصل هـذا السهل بالساحل الجنوبى للجزيرة بوساطة طريق ضيق يعرف باسم مضيق « اسكيفو » وهو من حيث طبيعته الوعرة وضيقه إنما يشبه ذلك الطريق الذى يوصل « اسكيفو » بخانية[٢] — ويسكن السهل نحو ١٦٠ أسرة كلهم من المسيحيين ، كبقية أهل إسفا كية[٣] ، والشتاء فى هذا السهل بارد وأرضه ضئيلة الحظ من الخصب ، تغطيها الثلوج معظم أيام السنة،فإذا ماانتهى شهر أكتوبر أخـذ أهله يرتحلون عنه إلى منازل لهم كانوا يقيمون فيها بين مايملكون من كروم الزيتون على مقربة من الساحل[٤]، ولا يبقى فيه غير طائفة من الفقراء الذين لايملكون عند الساحل كروماً ولا دوراً . وكانوا يسعون جهد طاقتهم إلى ادخار ما يقوم حياتهم من الغـذاء عنـدما تحاصرهم الثلوج من كل جانب ، وتنقطع بهم سبل الاتصـال بما وراء السهل فلايملكون غير البقاء فى دورهم زمناً قد يبلغ مداه فى الأغلب الأعم ستة أسابيع[٥].

---

(١) وهذه القرى المختلفة هى « جونى » Goni و « بيرا جونى » Pera Goni و « بيتريس » Petres » ومودارى « Mudhari » وكوستوس » Kostos » وستاڤروراكى » Stavrorakhi » وكاريس » Kares (Pashley, *Travels in Crete*, vol. II, p. 176.)

(٢) ويتميز مضيق « أسكيفو » بحصانته الطبيعية ، إذ يسمح لحفنة من الرجال صيانته ورد عدوان جيش بأكمله عنه.. وهو بالإضافة إلى ذلك يتميز بجمال مناظره وروعة نباتاته البرية .
(Fabreguette au Ministre, La Canée, 28 Mars 1837).

(٣) Pashley, vol. II, p. 176.

(٤) Perrot, pp. 66-67.

(٥) Pashley, vol. II, p. 176 ; Perrot, p. 68.

وكانت مدينة اسفاكية هى المشتى الرئيسى للاسكيفيين ، وإن قصد بعضهم إلى أماكن أخرى مثل قرية «دراميا» Dhramia [١] أو قرية « كوميتاديس» Camitades وتقع على مسيرة ساعة من إسفاكية وتمتاز بجمالها ، فيهرع إليها الناس أيام الشتاء ويبقون فيها حتى يحل موسم الدفء[٢] .

ولما كانت « سلينو » Selino على مقربة من إقليم اسفاكية ومن أغنى البقاع بكروم الزيتون فقد كان معظم نساء الإسفاكيين يرحلون إليها لجمع ثمره ، فاذا ما انتهوا من ذلك وحل عيد الفصح ارتحلوا إلى قرية جبلية ببلادهم تدعى « حاجى يانى » Haghio Yanni للاحتفال به[٣] .

كورة إسفاكية :

تشمل مدينة إسفاكية نفسها وهى عاصمة الإقليم ومركز إدارته ، وتضم إليها قرى أربع وهى: « تسولوس » Tsolos «ومزوخورى» Mezzo-Khori « وبروزيالو » Prosialo وجورجيتزى « Gorgitzi وهى أكثر القرى ارتفاعاً من حيث موقعها[٤] .

---

(١) Perrot, pp. 66-67 ; see also Pashley, vol. II, p. 176,311.

(٢) Carton de la Canée, (1836-1851) Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, La Canée, 28 Mars 1837.

وهذه الرسالة عبارة عن تقرير القنصل الفرنسى لبلاده عن أسفاكية من حيث طبيعتها الجغرافية ومميزات سكانها ومدى مساهمتهم فى أحداث الجزيرة الهامة .

(٣) Pashley, vol. II, p. 127, p. 147.

وتشتهر أشجار الزيتون (فى سلينو) على الرغم من صغر حجم ثمارها بزيتها الوفير الجيد .

(٤) « وبروزيالو » مقر الحاكم التركى « على أفندى » وبصحبته قوة نظامية من الألبانيين يتفاوت عدد أفرادها بين أربعين وخمسين جنديا . « ولبروزيالو » ثغر صغير هو « لوترو » Loutrou أو « لوتراكى » Loutraki ولا يستخدم هذا الثغر إلا البحارة الإسفاكيون كما أنه لا يصلح إلا لرسو المراكب الصغيرة . ويصل بين « لوترو » و« خانية » ممر جميل يطلق عليه « ليبورت » Les Portes يقود إلى مكان يسمى « لاكوس » Lakous ومنه إلى خانيه عن طريق « كيراميا » Kerami أو «تيروسو» Therisso وهما قريتان مقامتان على ربوة مرتفعة خلابة المناظر . وبينما تحد « لاكوس » أقليم إسفاكيا من الشمال الشرق ، تقع « بروزميرو » ||

وعند حدود الإقليم وعلى ساحله الجنوبى يقع الحصن المعروف باسم « حصن فرانكو » Franco Castello وكان أول الأمر مرتعاً تبعث حاميته الرعب فى قلوب القراصنة ثم ذاعت شهرته عام ١٨٢٦ وذلك عندما وقع الصدام بين مصطفى بك (محافظ الجزيرة فيما بعد) وحاجى ميخائيل اليونانى الذى جاء يتحداه من بلاد المورة على رأس قوة عددها أربعمائة رجل أو يزيد[١] .

سكان إقليم إسفاكية :

الإسفاكيون طوال القامة ، ممشوقو القد ، شقر الشعر ، سريعو الحركة ، نشطون فى التنقل بين أودية الجبال وشعابها ، مهرة فى تسلق الجبال . وهم فى نهاية القول رجالاً ونساء أجمل أهل الجزيرة خلقاً .

فأما لباسهم فلا يختلف عن لباس أمثالهم من سكان الجزر اليونانية ، يلبسون قمصاناً واسعة الأكمام ، وصديريات زرقاء اللون مطرزة ، ويتمنطقون بأحزمة من

= Prosmero على حدودها الشمالية الغربية وهناك طريق آخر يوصل « لوترو » و« سلينو » ، ولكنه طريق على جانب عظيم من الخطورة : فهو محصور بين الجبال من ناحية وهوة عميقة يصل عمقها فى بعض الجهات إلى ثلثمائة قدم من ناحية أخرى ، ولذلك لا يجرؤ ارتياد هذا الطريق إلا السكان الأصليون ، بينما ينتقل الأوربيون من إسفاكية إلى سلينو أو العكس عن طريق البحر ; Carton de la Canée (1836-1851)

Aff. Etr., Corr. Cons., Fabreguette au Ministre, La Canée, 28 Mars, 1837.

(١) (وكان يعتمد على معونة الإسفاكيين ولكنهم لم يقدموا له المعونة المتوقعة ، بسبب اختلافهم فى الرأى معه عندما أرادوا مهاجمة مصطفى بك وجنده البالغ عددهم إذ ذاك ما يقرب من ١٢٠٠ رجلا . وكان هذا حسن مصطفى بك الذى نجح فى خلال ساعة أن يردى الزعيم « حاجى ميخالى » قتيلا كما تقهقر كافة رجاله فى سهل « كاستيل فرانكو » وأصيبت القلعة بخراب شامل ، ولم يصلح من شأنها فى العهد المصرى . وثبتت عندئذ حكمة رأى الإسفاكيين الذين أشاروا على الزعيم اليونانى بمهاجمة القوات المصرية عند مرورها ببلادهم ، وحاول الإسفاكيون الانتقام لما حل بأخوانهم من هزيمة فانتهزوا فرصة عودة قوات مصطفى بك إلى خانية فهاجموها وشتتوها وقضوا على ثلثها — نفس المرجع السابق (الوثيقة السابقة) — أنظر كذلك فيما تقدم ص ص ٦٥ — ٦٧) .

الصوف حمراء اللون ، يلفونها حول أوساطهم لفاً . وسراويل زرقاء واسعة فضفاضة تضيق عند الـكعبين ، فتنطبق عليها رقاب أحذيتهم المصنوعة من الجلد الأصفر . ويلتفون فى الشتاء بعباءات بيضاء ، ثم يتدثرون بها عند النوم . فإذا كان الصيف حملوها على الأذرع والأكتاف[١] .

ويمتاز الإسفاكيون بشجاعتهم الفائقة[٢] وميلهم إلى الأخذ بالثأر ، يكاد أمر ذلك يكون لديهم عقيدة وديناً ، حتى ليقسم الساعى منهم إلى ذلك ألا يخلع رداء القتيل حتى يأخذ بثأره ولو اقتضاه تنفيذ ذلك أن يسعى له أربعين سنة . وهم أهل قتل وقتال ، يكاد كلفهم بذلك يكون طبعاً أصيلاً . فهو يقاتل حتى يقتل أو يقتل ، ومن النادر أن يموت حتف نفسه . فإذا لم يجد ما يدعو إلى القتل والقتال ، أخذ يشبع شهوته بالهجوم على القرى ، يغشاها إذا ما جنها الليل ، فيسرق المال ويخطف النساء ، ويسرق أمامه قطعاناً من الماشية والمعز . وبات أهل القرى المجاورة فى رعب دائم وهم متواصل ، وسعوا إلى زعماء إسفاكية ، يفدون أنفسهم ونساءهم وأموالهم بالمال يقدمونه إليهم ليكفوا عنهم أيدى رجال العصابات التى أرقت نومهم وأشقت يومهم[٣] .

واشتهر أهل إسفاكية بجهادهم وسعيهم الحثيث فى سبيل الحرية والاستقلال، شجعتهم على ذلك طبيعة ديارهم ، حيث تقسو الطبيعة وتشتد وعورتها وتجعل

---

(١) G. Perrot, *La Crête, son passé, son présent, son avenir*, Rouen 1897) pp. 16-17

(٢) وكانت شجاعة العجوز الإسفاكى « نيكوليدس » Nikolidhes رئيس مدينة « لاكى » Laki مضرب الأمثال .

أنظر تفاصيل ذلك فى Pashley, Vol. II, pp. 149-150.

(٣) Georges Perrot, *La Crète, son passé, son présent, son avenir*, Rouen 1897, pp. 187-190.

(وليس أدل على خطر رجال الليل وقطاع الطريق الاسفاكيين ما رواه رئيس دير « اركادى» للرحالة « باشلى » عما عاناه من الاسفاكيين من أنه كان اضعاف ما لقى من المسلمين . فكثيراً ماسرقوا قطعان أغنام الدير ومعزه بل وكثيراً مانهبوا فضيات الدير .

أنظر Pahley, vol. I, p. 313.

السبيل إلى ديارهم معوقة بين شعاب الجبال وأوديتها الضيقة ، يستطيع الرهط القليل من رجالهم أن يتعب عندها للمغيرين والغزاة ، ويصدهم عنها فى سهولة — وقد استفادوا من هذه الطبيعة القاسية ، فتمتعوا — رغم وقوع الجزيرة تحت سلطان المستعمرين — بحظ غير يسير من الحرية . فقاوموا الغزو العربى حين استسلم سائر سكان الجزيرة ، واستطاع الإسفاكيون الاحتفاظ بعاداتهم ونظمهم على الرغم من وقوع الجزيرة تحت سلطان العرب ، وحسب البنادقة عندما حكموا الجزيرة حساب الإسفاكيين ، فحرصوا على مهادنتهم وأخذهم باللين ؛ يشترون ودهم بتخفيف الضرائب عنهم ، ويشترون مع ذلك معونتهم على الترك غير مرة . ولما صارت الجزيرة إلى سلطان العثمانيين استطاع الإسفاكيون للأسباب المتقدمة أن يتمتعوا ببعض الامتيازات وظلوا كذلك حتى كانت الفتنة التى أشعل الروس نيرانها فى الجزيرة عام ١٧٧٧ حول الترك ، وذلك فى عهد كاترين الثانية . فبادر الإسفاكيون بالانضمام إلى بقية الثوار فى الجزيرة ، وكانوا أشدهم حماسة وأصبرهم على الكفاح ، وأثبتهم فى الجهاد قدماً ، فلما تمكن الترك من إخماد الثورة عمدوا إلى معاقبة الإسفاكيين ، فخربوا ديارهم ، وفرضوا عليهم لأول مرة ضريبة الرأس . وهنالك امتلأت قلوبهم غيظاً من الترك ، فباتوا يتربصون بهم الدوائر حتى إذا هبت ثورة اليونان عام ١٨٢١ يطلبون من الترك استقلالهم كان الإسفاكيون أول من انتهز الفرصة ، فرفعوا لواء الثورة فى وجه الترك . ولم تلبث نارها حتى امتدت إلى أطراف الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها[١] . ولا أدل على طبيعتهم المتمردة من امتناعهم عن تسليم السلاح عند ما أصدر السلطان فى مطلع الثورة أوامره إلى كافة أهالى الجزيرة من مسيحيين ومسلمين بتسليم أسلحتهم . رفضوا الامتثال لهذه الأوامر فى الوقت الذى تمت فيه عملية التسليم فى يسر فى سائر المدن الرئيسية .

---

(١) أنظر Finaly, vol. II, pp. 135-136. ، وأنظر كذلك الفصل الخامس ص ٤٩ ومايليها « ثورة الاستقلال اليونانية » وأثرها على الكريتيين وجهود المصريين لإخماد هذه الثورة .

وتذرعوا فى ذلك بحاجتهم الماسة إلى السلاح للدفاع عن أنفسهم ضد كواسر الوحوش المنتشرة فى بلادهم ومع ذلك فقد أظهروا استعدادهم لتأدية قسم الولاء والخضوع للسلطان لكى يظهروا حسن نواياهم ، إلا أن حاكم الجزيرة لم يقتنع بذلك فوقع القتال بين الفريقين ، وقاد المحاربين الإسفاكيين رجل يدعى (روسوس) ، يناصره فى ذلك أحد الكريتيين ويدعى « انطوان ميلدونى » Antoine Mélidone الذى نجح فى جمع حشد من مواطنيه المبعثرين فى أنحاء الامبراطورية العثمانية ، ونجح بالفعل فى الاستيلاء على مدن عديدة وهزم الترك فى « ميجالو كاسترو » (قندية) . ولكن هذه الانتصارات الباهرة أخافت روسوس الإسفاكى وأثارت فى قلبه الحقد والغيرة ، فعمل على التخلص من ذلك القائد المغوار ، وحاول فعلاً مرات عديدة أن يوقعه فى يد الترك ، ولكن محاولاته جميعاً باءت بالفشل ، فدعاه إلى مائدته ، وهنالك أخذ يكيل له الاتهامات ، وانتهى الأمر بأن قتله .وكان مقتله خسارة فادحة للكريتيين إذ أصبحوا يفتقرون بموته القائد الجرىء الحكيم ، حتى ندم روسوس على فعلته تلك وبحث عمن يخلف القتيل(١) .

ولما صار الحكم فى الجزيرة إلى محمد على كان الإسفاكيون أول من تبرم بهذا الأمر ، فامتنعوا فى البداية عن الاعتراف به ، ولجأوا إلى ممثلى الدول الأوربية فى الجزيرة والقسطنطينية ليتوسطوا لهم فى الأمر ، ولم يذعنوا للأمر الواقع إلا بعد أن يئسوا من وساطة هذه الدول(٢) . ثم إن تمرد الإسفاكيين على الحكم المصرى كان واضحاً فى اعتراضهم على ضريبة « الزجرية » على الخمور وامتناعهم عن تأديتها ، فكان رد المحافظ على ذلك حاسماً عند ما أخبرهم أنهم — بسبب تمردهم وعصيانهم المتكرر — أبعد سكان الجزيرة قاطبة من المطالبة بمثل

---

(١) أنظر تفاصيل ذلك فى Perrot, pp. 113-116.
أنظر كذلك مصير « روسوس » فيما تقدم ص ٦١ — ٦٢ .

(٢) أنظر فيما تقدم موقف الإسفاكيين وتصريحاتهم بالتفصيل — ص ٨٠ — ٨١ ، ٩٥ — ٩٦ .

هذا الإعفاء[١] كما أعلن الإسفاكيون استياءهم بسبب زيادة الضرائب على الجلود التى كانت تصنع منها الأحـذية مما تسبب فى أثمانها بما يعادل ٣٠٪ من ثمنها الأصلى[٢] .

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن بعض الإسفـاكيين قد ساهموا مساهمة فعالة فى « فتنة مورنييس » فى ١٨٣٣ ، فدفعوا الثمن غالياً ، فمن بين الذين نفذ فيهم حكم الإعـدام فى ديسمبر ١٨٣٣ سبعة من الإسفـاكيين — أربعة منهم من « أسكيفو » Askyfo والثـلاثة البـاقون من « نيبروس » Nipros « وكومتيـاديس » Komitadhes « وحاجى يانى » Haghios Ioannes وعندما تم القبض على الثلاثة الآخرين وإثنين من الإسفيـكيين ، واقتيدوا إلى مقر قيادة القوات المصرية فى « قرية » Fré لتنفيذ حكم الإعدام فيهم — فـكر عندئذ أهالى قريتى « أسكيفو » ، و « نيبروس » — وكانوا على مسيرة ساعة من مكان اعتقال مواطنيهم — فى تخليصهم من ذلك المصـير المفجع ، فسارعوا إلى جمع قوة من مائتى رجل ، ثم اجتمع قادة الرأى فيهم ، وقرروا تنفيذ خطتهم عند مطلع فجر اليوم التالى . ولـكن لحسن حظ الجزيرة والإسفاكيين أنفسهم ، أنهم عندما بدأوا رحلتهم وجدوا هؤلاء الخمسة وقد نفذ فيهم حكم الإعدام فعلا ، فأسفوا لذلك وحزنوا حزناً شديداً ، ولا زالت آثار هذا الحـكم القاسى تحز فى نفوسهم لا سيما وأنهم كما صرحوا الرحالة « باشلى » لم يعملوا منذ ذلك الوقت على الانتقام لما حل بإخوانهم الإسفاكيين[٣] .

ثم إن « بكوستراتيس » Bicostratis الـكريتى اليونانى عند ما أراد

---

(١) أنظر فيما تقدم ص ١٢٧

(٢) Carton de la Canée, 1836-1851, Aff. Etr., Corr. Cons., No. 6 Fabreguette au Ministre, La Canée, 28 Mars 1837.

(٣) Pashley, vol. II., pp. 178-179.

وقد نفذ حكم الاعدام فى الاثنين الباقين (من أسكيفو) فى رسمو. *Ibid.*, Vol. II, p. 180.

أن يثير الفتنة فى الجزيرة فى عام ١٨٣٨ على الحكم المصرى ، نزل فى رهط من الرجال فى « سانت روملى » St. Roumeli على مقربة من اسفاكية لمعرفته بأن الإسفاكيين أسرع سكان الجزيرة إلى تلبيــة الدعوة إلى الحركات الثورية والتمرد على الحكم القائم ، غير أن حركته لم تسفر عن شىء[1] .

---

(١) أنظر هامش ٢ ، ص ١٣٧ — ١٣٨

وقد صرح فعــلا « زوجرافوس » Zographos فى رسالة إلى « برجلو » Peroglou قنصل اليونان بالجزيرة (مؤرخــة أثينا ١٤/٢ أكتوبر ١٨٣٨) بمساهمــة الاسفاكيين فى إشعال نار الفتنــــة التى أثارها « بكوستراتيس » أنظر R. Cattaui, vol. II, 2ème Partie, p. 166.

ملحق (٤)

فتنة مورنييس MOURNIÉS[١] عام ١٨٣٣

لجزيرة كريت فى حوض البحر الأبيض مكان جغرافى ممتاز جعل أفئدة الغزاة من الطامعين وذئاب الاستعمار تهوى إليها من كل فج وفى كل عصر. فالروم قد مدوا أنفسهم إليها فبلغوها ثم سيطروا عليها دهراً وقفاهم العرب فالبنادقة ثم الأتراك العثمانيون حين بسطوا سلطانهم عليها فى منتصف القرن السابع عشر للميلاد[٢].

غير أن إيمان الكريتيين بحرية العيش لم يقعدهم أبداً عن مواصلة الجهاد فى سبيل استقلال بلادهم. فلم توهن المحن من عزائمهم، ولم يستطع تتابعها أن يقضى فيهم على روح الثورة. وإنما زادتهم المحن عناداً فى الجهاد وإيماناً بحقهم فى حرية العيش، يبذلون فى سبيلها كل شىء، ويضحون بكل شىء. وتاريخ المحن يعرف للكريتيين شجاعة فى القتال وبراعة فى حرب العصابات تعينهم عليها طبيعه الجزيرة وما يغشى أرضها من جبال مختلفة يعتصمون بها ويديرونها منها، ثم تلك السواحل العديدة تقترب منها ولا تبتعد عنها عند اسكندرية وإيطاليا وقبرص ورودس ويافا، يخلص إليها الثوار كلما اشتد الكرب وعظم الضيق[٣].

وكان أعظم الكريتيين جهاداً وأكثرهم سعياً فى سبيل الحرية والاستقلال هم أهل إسفاكيا الذين يعيشون فى جنوب غربى الجزيرة، هناك حيث تقسو

---

(١) إحدى قرى إقليم خانية وتقع على بعد ميلين من مدينة خانية ومائة ميل من قندية أمام قلعة خانيــة ومتصلة بجبل كراميا فى جنوب هــذه القلعة وهى قريبة من النهر المسمى حدة، أحمد حمدى، أصول جغرافياى كبير، استانبول ١٢٩٢ (١٨٧٥م) ولاية كريت من ص ٦٢٣ — ٦٢٧، أنظر خريطة كريت (ملحق ٦).

(٢) أنظر الفصول المتقدمة من الكتاب ص١٣ ومايليها.

(٣) Charles La Roche, *La Crète Ancienne et Moderne*, pp. 7 - 10

الطبيعة وتشتد وعورتها وتجعل السبيل إلى ديارهم معوقة بين شعاب الجبال وأوديتها الضيقة ، يستطيع الرهط القليل من رجالهم أن يتعب عندها المغيرين والغزاة ويصدهم عنها فى سهولة(١) .

استفاد الإسفاكيون من طبيعة ديارهم تلك فتمتعوا — رغم وقوع الجزيرة تحت سلطان المستعمرين — بحظ غير يسير من الحرية(٢) . وحسب البنادقة حساب ذلك فحرصوا على ولاء الإسفاكيين يشترونه بتخفيف الضرائب عنهم ويشترون مع ذلك معونتهم على الترك غير مرة .

ولما صارت الجزيرة إلى سلطان العثمانيين استطاع الإسفاكيون للأسباب المتقدمة أن يتمتعوا ببعض الامتيازات وظلوا كذلك حتى كانت الفتنة التى أشعل الروس نيرانها فى الجزيرة ضد الترك ، وذلك فى عهد كاترين الثانية ، فبادر الإسفاكيون بالانضمام إلى بقية الثوار فى الجزيرة وكانوا أشدهم حماسة وأثبتهم فى الجهاد قدماً وأصبرهم على الكفاح . فلما تمكن الترك من إخماد الثورة عمدوا إلى معاقبة الإسفاكيين فخربوا ديارهم وفرضوا عليهم — لأول مرة — ضريبة الرأس(٣) . وهنالك امتلأت قلوبهم غيظاً من الترك فباتوا يتربصون بهم الدوائر حتى إذا ما هبت ثورة اليونان عام ١٨٢١ يطلبون من الترك استقلالهم كان الإسفاكيون أول من انتهز الفرصة فرفعوا لواء الثورة فى وجه الأتراك(٤) .

---

(١) *Carton de La Canée* à Abdin, Le Caire, Affaires Etrangères, Correspondence Consulaire, Fabreguette (قنصل فرنسا فى خانيه) au Ministre des Affaires Etrangères, 28 Mars 1837.

(٢) لم يستطع العرب احتلال ديارهم عندما أغاروا على الجزيرة كما ذكرت .

(٣) وكانت تفرض على الذكور فقط القادرين منهم على العمل وكانت فى عهد حكم محمد على للجزيرة على درجات ثلاثة : أربعة قروش ، أو ثمانية ، أو ستة عشر قرشاً . *Carton de la Canée, op. cit.*, Annexe à la dépêche de Fabreguette à Mimaut, La Canée, 20 Janvier 1832.

(٤) G. Perrot, *L'Ile de la Crète*, pp. 180 - 197

فلم تلبث نارها أن امتدت إلى أطراف الجزيرة فعمتها من أقصـاها إلى أقصاها واشتد القتـال بين سكان الجزيرة ومن يحكمهم فيها من الترك . فلجأ هؤلاء إلى المدائن الحصينة بعد أن خربوا على الوطنيين ديارهم ونهبوا محاصيلهم وأنعامهم وأقلعوا زروعهم ، وأتلفوا كرومهم وزيتونهم ، وظـلوا يمعنون فى التخريب والتدمير أربعة أعوام كاملة ولم يوقفهم عنه غير وصول إبراهيم باشـا فى طريقه إلى المورة عام ١٨٢٤ ؛ على أن تلك الفتنة لم تلبث أن استمرت نارها مرة أخرى عام ١٨٢٨ متخذة فى تلك المرة صورة أشـد عنفاً من الأولى ، عم فيها التخريب أنحاء الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها(١) .

على هذه الصورة آلت الجزيرة إلى والى مصر عندئذ وهو محمد على ، قدمها إليه السلطان جزاء ما كان من خدماته فى حرب المورة ، وتعويضاً له عن أسطوله فى نـكبة نفارين المعروفة . فتسلمها وقد تقاسم الهـدم والحرق ديارها وهجرت ضياعها ، وتعطلت مزارعها عموماً ، وزيتونها خصوصاً ، وكان من أهم محاصيلها بل كان أهم مورد فى مواردها الاقتصادية . إذ نقصت غلته بمقدار الربع وكان ضعف الإنتاج الزراعى نتيجة من نتائج النقص الظاهر فى عدد السكان فقد هبط عددهم إلى الثلث فى مدى خمسين عاماً(٢) .

ولم تـكن سبيل محمد على فى حكم الجزيرة سهلة ولا يسيرة وإنما كانت معقدة شاقة نظراً لما أصاب الجزيرة يومئذ من ذلك التدهور الاقتصادى من ناحية ،

---

(١) G. R. Scott, *Rambles in Egypt and Candia*, London 1837, vol. II, pp. 324 - 330.

(٢) كان تعدادهم فى عم ١٧٨٠ عندما زارها الرحالة Savary يبلغ ٣٥٠٫٠٠٠ نسمة ولكن عنـدما آلت إلى محمد على ، أى بعد مضى خمسين عاماً ، أصبح عدد سكانها حوالى ١١٠٫٠٠٠ نسمة .

Carton de la Canée, op. cit., Annexe à la depêche de Fabreguette de la Canée, 25 Août 1832.

ويذكر المؤرخ H. Dodwell أن عدد السكان عند زيارة الرحالة لها كان ٢٨٠٫٠٠٠ نسمة ثم أصبح بعد خمسين عاماً أقل من ١٠٠٫٠٠٠ نسمة .

H. Dodwell, *The Founder of Modern Egypt*, London 1932, p. 242

وبسبب ما أصاب الكريتيين من خيبة الأمل فى انضمامهم إلى اليونان المستقلة من ناحية أخرى ، وخصوصاً بعد أن قاسموها الجهاد فى سبيل الحرية والاستقلال ، يضاف إلى ذلك ما كان بين عنصرى سكان الجزيرة من نفور بسبب اختلاف العقيدة فلقد كان أكثرهم من المسيحيين وأقلهم من المسلمين والجزيرة برغم ذلك تخضع لحكومة إسلامية . ولم تغب هذه الحقيقة عن أوربا المسيحية التى طلبت إلى محمد على أن يعدل فى حكم هذه الجزيرة وألا يرهق أهلها بكثرة الضرائب[١] وأنذرته بريطانيا بأن أقل أذى يصيب المسيحيين من سكان الجزيرة قد يؤدى إلى تدخل الدول العظمى[٢] .

وكانت أولى خطوات محمد على فى حكم الجزيرة أن بادر فبعث بأحد رجاله المدعو عثمان بك نور الدين على رأس فريق من قوات عسكره ليتولى تنظيم الحياة فى الجزيرة وزوده ببيان أذاعه على الناس يشرح فيه السياسة التى سيسلكها محمد على فى حكم الجزيرة وتدبير أمورها وتأمين حياة أهلها ، كما وعدهم بأن يشرك المسيحيين منهم مع المسلمين فى إدارة شئون الجزيرة ، وذلك عن طريق تمثيل الأهالى فى مجلسين يكون أحدهما فى مدينة خانية والثانى فى مدينة قندية[٣] . كما عين محمد على مصطفى باشا حاكماً للجزيرة[٤] وتمكنت الإدارة المصرية من إذاعة الأمن ونشر السلام فوق ربوع الجزيرة بعد أن ظلت مسرحاً للثورات ومرتعاً للفوضى والاضطرابات مدة ستة قرون تبدأ بعهد البنادقة قاسى فيها الناس من الأهوال والشدائد ما لا يحصى ولا يوصف . وأحس الكريتيون لأول مرة بالفرق الهائل بين ماضيهم وحاضرهم ، وأخذ المسيحيون منهم يتذوقون حلاوة

---

(١) ترجمة الفرمان ٥٣٥ من مجموعة الفرمانات العثمانية بتاريخ أواسط محرم ١٢٤٦ (يوليه ١٨٣٠) ، أنظر ملحق (١) .

(٢) H. Dodwell, *op. cit.*, p. 242

(٣) *Le Règne de Mohamed Aly d'après Les Archives Russes en Egypte*, éd. René Cattaui, Le Caire 1931, pp. 289 - 392, Proclamation de Mohamed Aly Pacha aux habitants de l'ile de Candie.

(٤) H. Dodwell, *op. cit.*, p. 243.

العدل الذى حرموا نعمته بين أيدى الترك من بنى عثمان ، ولم تكد أخبار ذلك العهد الجديد تذاع فى حوض البحر حتى أخذ عدد كبير من اليونانيين الذين كانوا قد هجروا الجزيرة فراراً من الظلم يعودون إليها أفواجاً(١) ، وبادرت الحكومة بالإصلاح فأخذت فى شق الطرق وإقامة الجسور وغير ذلك من المرافق العامة . كما أخذت فى تشجيع الزراع من سكان الجزيرة فزودتهم بكثير من الحبوب (للبذر) والماشية(٢) . ولم يكد محمد على ينظر فى موارد الجزيرة حتى روعه ما ظهر له فيها من نقص هائل ، وكان يومئذ فى أشد الحاجة إلى المال لكثرة ما كان بين يديه من مشروعات عمرانية وحربية تتطلب مزيداً من الإنفاق .

ولما أخذ ينظر فى حياة الجزيرة على ضوء ذلك بان له أن حكم الجزيرة كان عبئاً ثقيلاً حقاً وأن منحة السلطان كانت غرماً لا غنما(٣) فاضطر فى نهاية عام ١٨٣١ إلى تعديل نظمها الاقتصادية بما يكفل له بعض زيادة فى الدخل(٤) وكان ذلك قد سبق بإجراء يمكن الحكومة من وضع يدها على ما سمته العشر من محصول الجزيرة سنوياً(٥) . وذلك أمر لم يبتكره محمد على وإنما كان قائماً فى الجزيرة منذ عهد الحكم العثمانى . وآية ذلك أن الباب العالى كان قد أقطع بعض الأغوات من خدمه ضياعاً فى كريت يقدر إيرادها بقيمة السبع من مجموع إيراد الجزيرة ، فالإجراء الذى اتخذته الإدارة المصرية قد حول هذه القيمة من جيوب الأغوات إلى خزانة الوالى وأسموها يومئذ ضريبة العشر .

---

(١) Robert Pashley, *Travels in Crete,* Cambridge 1837, Vol. I, pp. XXIV - XXV

(٢) Athanase G. Politis, *Les Rapports de la Grèce et de l'Egypte* Pendant Le Règne de Mohamed Aly (1833 - 1849), Rome 1935, p. XX

(٣) H. Dodwell, *op. cit.*, p. 242 ; *Carton de La Canée, op. cit.*, Rapport de Fabreguette à l'Amiral Boussin, La Canée, 30 Avril 1833.

وهذه عبارة القنصل الفرنسى بالنص :

"Jusque là (1832) l'île avait été une véritable charge pour le trésor de Mohamed Ali"

(٤) R. Pashley, *op. cit.*, p. XXV.

(٥) هو فى الواقع سبع محصول الجزيرة وهناك وثيقة تصرح بأن المقصود بالعشر هو السبع : ترجمة الوثيقة رقم ١٣١ دفتر معية تركى رقم ٤٦ فى ١٧ ذى القعدة ١٢٤٨ هـ (٧ أبريل ١٨٣٢) إلى محافظ كريت (من وثائق عابدين) .

لم يكن مثل ذلك الإجراء إذاً بالسيئة التى تؤخذ على الإدارة المصرية إلى جانب حسناتها الكثيرة التى بانت آثارها ونتائجها فى حياة الجزيرة التى ازدهرت خلال عام واحد من حكم مصر بين يدى حاكمها مصطفى باشا الذى حسنت فيه آراء الكتاب والمؤرخين جميعاً حين وصفت سياسته بالاعتدال ، ووسمت سيرته بالعدل المطلق الذى أكسبه مودة المسيحيين كافة(١) . ومع ذلك فقد أقلق الإجراء سكان الجزيرة ظناً منهم أن الإجراء لم يكن غير فاتحة لإجراءات يحتمل أن تتخذها الإدارة المصرية(٢) تمشياً مع سياسة محمد على فى حكم مصر وهى سياسة الاحتكار .

كانت الإدارة المصرية إذاً صادقة العزم على السير فى حكم الجزيرة بما ينفع الناس غير أن محمد على قد خدع عن آماله فيها ، ولم يكن من السهل عليه أن يستمر فى سياسته تلك دون أن يجنب الخزانة المصرية خطر الاضطرار إلى الصرف على كريت دون أن يفيد منها إذ ليس من الطبيعى أن تقدم إدارته للجزيرة من خير الإصلاح ونعمة العدل والاستقرار ما لا تأخذ عنه من أموال الجزيرة أجراً(٣) واضطر محمد على أمام حاجته الملحة إلى المال لتنفيذ مشروعاته أن يسلك مختلف السبل للحصول عليه . فنظر فى كريت وفكر فى فرض ضرائب يجمعها من الأهالى عما يغلون من أرضها ففرض ضريبة على الخمور ما كان منها للتجارة والربح أو الاستهلاك الشخصى(٤) . أزعجت تلك الضريبة أهالى كريت وأثارت سخطهم

---

(١) H. Dodwell, *op. cit.*, p. 246

وليس من شك فى أن هذا المؤرخ إنما اعتمد فى تقريره هذا على مذكرات كثير من القناصل الذين كانوا يمثلون دولهم فى كريت وإنا لنذكر على سبيل المثال ما قرره قنصل فرنسا بالنص فى تقريره عن كريت إلى وزارة الخارجية الفرنسية فى ٣ سبتمبر ١٨٣١ :

"Le Pacha Mustapha jouit en Crète d'une excellente réputation il a la confiance générale", *Carton de la Canée, op. cit.*

(٢) R. Pashley, *op. cit.*, pp. XXV - XXVI

(٣) John Bowring *Report on Candia*, London, March 27, 1839, p. 182 ; *Carton de la Canée, op. cit.*, Rapport de Fabreguette du 30 Avril 1833.

(٤) وقدرها أربع بارات عن الأقة أى ما يعادل ١/٨ ثمن الأقة .

Pashley, *op. cit.*, p. XXVIII.

حتى فكروا فى الامتناع عن تأديتها ، واجتمع من بينهم أهالى اسفاكية فى إحدى الكنائس وتشاوروا فى الأمر فاستقر رأيهم على إيفاد فريق منهم يذهبون إلى محافظ الجزيرة يلتمسون منه أن يرفع عنهم تلك الضريبة(١) . فأحسن الرجل لقاءهم مبيناً لهم أن أمر الإعفاء لا يمكن أن يتم إلا بأمر من الجناب العالى ، وأنه مزمع رفع الالتماس إليه وعليهم مقابل ذلك أن يمتثلوا للأمر فيعلنوا عن أنواع الخمور التى ينتجها إقليمهم(٢) وبلغت أنباء ذلك محمد على فبعث إلى المحافظ يلومه على ما كان من أمر تساهله مع أهل إسفاكية . ويطلب إليه أن يوهمهم بأنه لن يجسر على رفع ملتمسهم إلى الجناب العالى بعد أن رضى بقية السكان بأداء تلك الضريبة ، وأنه لن يكون من صالح الشاكين أن يبلغ تذمرهم مسمع الباشا فيثور لذلك ويصدر أمره ببيع أملاك الشاكى وطرده من الجزيرة(٣) ولم يكن الاستياء من فرض تلك الضريبة قاصراً على الشاكين من أهل إسفاكية وحسب ، بل كان يشمل جميع سكان الجزيرة ، وليس أدل على ذلك من الأمر الذى أصدره الباشا إلى حاكم الجزيرة يكلفه فيه بإذاعة انذار باللغة اليونانية على كافة السكان يحذرهم فيه من عاقبة الامتناع أو المماطلة فى تأدية المستحق من ضريبة الخمر(٤) .

ولم يقف الأمر عند فرض هذه الضريبة بل كانت الإدارة تقوم بتحصيل بعض العوائد على كثير من موارد الاستهلاك التى يؤتى بها من القرى إلى المدن الكبرى ، كما فرضت الضرائب على كثير من سلع التصدير وفى مقدمتها الزيوت.

---

(١) دفتر معية تركى رقم ٤٦ ترجمة الأمر ١٧٠ بتاريخ ٧ محرم ١٢٤٩ (٢٧ مايو ١٨٣٣) (من وثائق عابدين) .

(٢) A. Politis, *op. cit.*, Annexe XI, pp. 523 - 525, Lettre circulaire du Séraskier de Crète aux Conseillers, Captans, Curés et au reste de la population de Sphakie.

(٣) دفتر معية تركى نمرة ٤٦ ترجمة الأمر العالى نمرة ١٧٠ فى ٧ محرم ١٢٤٩ (٢٧ مايو ١٨٣٣) (من وثائق عابدين) .

(٤) دفتر معية تركى نمرة ٤٦ ترجمة الأمر نمرة ٢٠٦ فى ٣ ربيع الأول ١٢٤٩ (٢١ يوليه ١٨٣٣ (من وثائق عابدين) .

وجعلت الإدارة حق بيع الدخان[١] والأنبذة والجلود عن طريق الالتزام فنتج عن ذلك ارتفاع أسعارها . كذلك عمدت الإدارة الى تخفيض أسعار كثير من مواد التموين اللازمة لقوات الحفظ والنظام فى الجزيرة ، وللسفائن المصرية الراسية عند ميناء سودة ، تخفيضاً ضايق التجار ، واتخذت الحكومة اجراءات مشددة فى تحصيل ضريبة الرأس . فكان من نتيجة ذلك كله أن زادت حصيلتها حوالى ٦٠٠٠ جنيه عن ذى قبل[٢] .

وتتابعت بعد ذلك أمور من تصرفات الإدارة زادت فى استياء الأهالى وتذمرهم حتى عمت الشكوى ، فمن ذلك :

١ — أمر الحكومة الى أصحاب مزارع الزيتون من سكان الجزيرة بألا يعصروا فى غير معاصرها مهما كانت الظروف ، وعقاب من يخالف أن تصادر الإدارة محصوله فتحتفظ لنفسها بالثلث ، وتكافىء المبلغ بالثلث ، وتترك الثلث الباقى للمخالف[٣] . وذلك زاد مخاوف أهل الجزيرة ، فهم كانوا دائماً يخشون أن يعمد محمد على إلى تطبيق نظام الاحتكار .

٢ — كان لمشروع التوسع فى سوريا الذى أزمع محمد على تنفيذه صداه المرعب فى كريت ، فلم تكد تصدر الأوامر بالتجنيد من بين الترك وترحيلهم إلى سوريا ، حتى بات اليونانيون يتوقعون أن تفكر الحكومة فى فرض كثير

---

(١) بين وثائق عابدين قرار مجلس قنديه يشير إلى الشروط التى أقرها مجلس خانيه بخصوص التزام الدخان دفتر ٢١٨ وارد عابدين ترجمة القرار نمرة ٥٥ بدون تاريخ (من وثائق عابدين) .

(٢) Pashley *op. cit.* p. 28

(٣) دفتر ٢١٨ عابدين ترجمة الضبطة نمرة ٣٣ فى ١٨ ربيع أول ١٢٤٨ (١٥ أغسطس ١٨٣٢) (قرار مجلس خانية ١٤ ربيع أول ١٢٤٨ — ١١ أغسطس ١٨٣٢) (من وثائق عابدين) .

من الضرائب والالتزامات(١) . ويتوقعون مع ذلك أموراً كانت أشد وقعاً على نفوسهم من كل ذلك ، كانوا يتوقعون أن تعمد الحكومة إلى تجنيدهم أيضاً. ومما أحفظ قلوب الأهالى على الحكومة وسبب استياءهم العام مكرها بهم فى أمر التجنيد ، فهى عندما أعلنته فى عام ١٨٣٢ دعت إليه الأتراك زاعمة أنها تدعوهم إلى التطوع فى جيش يقوم على حماية الجزيرة،وأقبل الترك على التطوع حتى إذا بلغ عددهم حوالى ١٨٠٠ ثمانمائة وألف ، أذاع محافظ الجزيرة أن أوامر الباشا قد صدرت بترحيل المتطوعين إلى اسكندرية . هنالك ارتفعت الأصوات بالشكوى وأخذ الناس يحتجون على تصرف الحكومة التى لم تعبأ بكل ذلك ، وإنما كان جوابها عليه أنها أرغمت خمسمائة وألف من المتطوعين على الرحيل متعللة أمام اعتراض الرأى العام الأوربى ، بأن شدة حرصها على تأمين سلامة الجزيرة قد اضطرتها إلى تطهيرها من جميع العناصر المشاغبة الخارجة على النظام . وتلك حجة باطلة ما فى ذلك شك ، إذ الثابت أن مثال هذا الإجراء الغادر ، قد أضر بصالح السكان فترك أسراً بغير عائل ، تذوق مرارة الجوع والبؤس ، وترك الجزيرة فقيرة إلى الأيدى العاملة(٢) .

٣ — كان الرعايا اليونان من سكان الجزيرة مصدر قلق دائم لحكومة محمد على ؛ يرى فى بقائهم بين الأهالى ما يذكرهم بذلك الأمل القديم فى الانضمام إلى الشعب اليونانى الذى ساعدوه وآزروه فى جهاده من أجل الحرية والاستقلال فآثر أن يخرجهم من الجزيرة ، وأصدر أمره إلى عامله مصطفى باشا بالتضييق عليهم ، ثم مصادرة أملاكهم ما كان منها فى المواقع الحصينة أو ما دون ذلك. كما صدرت الأوامر بتجريدهم من حق التصرف فى أملاكهم بالبيع قبل مغادرة الجزيرة ، حتى ارتفعت أصواتهم بالشكوى إلى الحكومة اليونانية وإلى الدول

---

(١) *Carton de la Canée op. cit.*, Fabreguette au Ministre, La Canée 20 Avril 1833

(٢) *Ibid.*

الأوربية . فكان جوابه على ذلك أنه لن يرضى ببقاء الرعايا اليونانيين فى الجزيرة على أى حال . فرحل مئات منهم إلى بلاد اليونان فى ظل حكومتها الجديدة وأخذوا يذيعون هناك أخبار الجزيرة وما وقع لهم فيها من ظلم على يد حكومة محمد على ، ولم تستطع الحكومة اليونانية ، رغم عطفها على الكريتيين الذين شاركوها الجهاد فى سبيل استقلالها ، أن تثير مشاكل من أجل ذلك حرصاً منها على علاقات الود والصداقة بينها وبين مصر . والواقع أن محمد على كان يرمى من وراء طرد الرعايا اليونانيين إلى الحصول على أملاكهم بغية الزيادة فى دخله من موارد الجزيرة(١) .

٤ — وفى ينـاير عام ١٨٣٣ اعتلى عرش اليونان مليكهم Othon فاستيقظت فى نفوس الكريتيين آمالهم القديمة فى الانضمام إلى أخوانهم اليونانيين والانضواء معهم تحت راية واحدة وأحست الحكومة اليونانية بأمر ذلك فطلبت إلى ممثلها فى القسطنطينية Constantin Zagrophos أن يوجه أنظار سفراء الدول فيها إلى ضرورة ضم الجزيرة إلى اليونان نظراً لأهميتها فى تأمين سلامة اليونان والمحافظة على استقلالها . وأشارت الحكومة اليونانية فى تعليماتها إلى ممثلها المذكور إلى حقيقة من شأنها أن تمهد لنجاح مطلبه ، وهى أن تبعية الجزيرة لحكومة الباب العالى لم تكن غير تبعية إسمية(٢) .

كل أولئك أمور كان من شأنها أن تزيد فى سخط الكريتيين من حكم محمد على من ناحية ، وتضاعف آمالهم فى الخلاص منه من ناحية أخرى . وقد تجلت مظاهر ذلك عندما زار محمد على جزيرة كريت فى أغسطس سنة ١٨٣٣ ، وبلغ الاستياء أقصى مداه عقب رحيله عنها مباشرة عندما أذاع مجلس خانيـة الإجراءات التى أمر الباشا باتباعها فى حكم الجزيرة .

---

(١) A. Politis, *op. cit.*, pp. XXV - XXXVIII

(٢) *Ibid*, pp. XXVIII - XXIX ; *See* J. Bowring, *op. cit.*, p. 182 ; and R. Pashley, *op. cit.*, Vol. I, pp. XXIX - XXX

وتفصيل ذلك أن محمد على عندما فكر فى زيارة كريت كان يدبر فى ذهنه خاطرين : الأول ، هو أنه أراد أن ينظر بنفسه فى أمور تلك الجزيرة ليرى إلى أى مدى يستطيع أن يفيد من حكمه إياها ، وذلك أمر أخفاه فى نفسه ثم نمت عليه تصرفاته من بعد . والثانى ، هو إظهار الرأى العام الأوربى على شدة اهتمامه بأمور الجزيرة ورفاهيـة شعبها . وآية ذلك أنه عندما عزم على زيارتها فى شهر أغسطس عام ١٨٣٣ طلب إلى القنصلين العامين الفرنسى والبريطانى فى مصر أن يرفقاه فى تلك الزيارة فاعتـذر أولهما وقبل الثانى(١) ، فلم يكد يصل إليها حتى أخذ يطمئن الأهالى على حياتهم وأرزاقهم ليستميلهم الى جانب حكومته فأصدر فى ١٨ أغسطس بيانا أذاعه على أعضاء مجلس خانية يعبر فيه عن نواياه الطيبة نحو الجزيرة وأهلها ، ويتحدث عن الزراعة وأهميتها فى حياة الجزيرة ، ويستحث الحـكومة على وجوب مساعدة الأهالى على النهوض بالحياة الزراعية ثم يتحدث عن التجارة وما تتطلبه من عناية الحـكومة بالموانى وإصلاحها، ويتحدث عن التعليم فيعلن عن إنشاء مدرستين إحداهما لتعليم أبناء المسلمين والأخرى لتعليم أبناء المسيحيين . ولا يريد أن ينتهى من بيانه هذا حتى يوهم الرأى العام بأنه يميل إلى التخفيف عن الناس ، وآية ذلك أن يصدر أمره بإعفائهم من ضريبة الضأن(٢) . وكان بيانه عاماً توخى فيه تجنب الإسهاب والحـذر من تفصيل ما تنوى الحـكومة اتخاذه من إجراء بشأن مشروعاته الإصلاحيـة . فلم يكد يبرح الجزيرة حتى أخذ مجلس خانية يذيع على الأهالى تفصيل برامج الحـكومة

---

(١) A. Politis, *op. cit.*, p. XXI

(٢) *Ibid*, Annexe XV, pp. 531 - 533, Ordre du vice-roi d'Egypte au Conseil de La Canée.

بتاريخ أول ربيع آخر ١٢٤٩ ، وهو يقـابل ١٨ أغسطس ١٨٣٣ لا ٤ أغسطس كما هو مبين فى A. Politis, p. 533

أنظر التوقيعات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية ص ٦٢٥ ، اللواء المصرى محمد مختار باشـا ، الطبعة الأولى بالمطبعـة الأميرية ببولاق ١٣١١ هـ : (١٨٩٣ — ١٨٩٤ م) . استخدم هذا المرجع فى تحويل سائر التواريخ الهجرية إلى مايقابلها من السنين الميلادية .

الإصلاحية والاقتصادية فإذا به يتضمن اشراف الحكومة إشرافاً دقيقاً على أمور الزراعة لاتتكلف فيه من تقديم المعونة ما كانت تتكلفه من قبل وإنما هى تجعل المعونة المادية حقاً على الأغنياء وتجعل فيه عبء العمل حقاً يقع على الفقراء بحيث يتعاون كلاهما على زراعة أراضى الجزيرة . وتنص مواد المشروع على تحديد أنواع الزروع والمحاصيل التى تزرع فى أخصب بقاع الجزيرة وهى المجاورة للأنهار ، ولتضمن الحكومة تنفيذ مشروعها الزراعى هذا قررت أن تحصل السبع من محصول الأراضى التى يهمل أصحابها زراعتها ، فإذا امتد الإهمال أربعة أعوام وضعت الحكومة يدها على الأرض وتصرفت فى توزيعها على من يقوم بزراعتها ، على أن تمنح المالك الأصلى قيمة الربع من غلاتها(١) :

والواقع أن محمد على قد مكر بالكريتيين فى زيارته تلك ، ومكر بالرأى العام الأوربى مرة أخرى بعد الذى كان من بيان خانية ، فهو لم يكد يستقر فى خانية حتى فكر فى أن يستوثق لنفسه فجمع فريقاً من المزارعين وطلب إليهم أن يتحدثوا إليه برغباتهم الإصلاحية ، وأن يبدوا له ما يعن لهم من آراء فى الإصلاح فبادروا بكتابة عريضة يلتمسون فيها التخفيف من أعباء الضرائب التى فرضتها الحكومة فى خلال العامين السابقين(٢). ويلتمسون إعفاءهم من قرار الحكومة الذى كان يحتم عليهم أن يمصروا فى معاصرها ، وزيادة عدد ممثليهم فى المجلسين ، وتغيير التمثيل عن طريق المقاطعات بعد أن تبين لهم أن تلك الطريقة لا تخدم مصالحهم الحقيقية ، ويلتمسون آخر الأمر إعفاءهم من عقوبة الضرب وسحب القوات غير النظامية من الألبانيين ممن ينتشرون فى القرى ويعيثون فيها فساداً(٣) . ولما سلموا مطالبهم هذه إلى محافظ الجزيرة بين لهم خطورتها، وخوفهم

---

(١) R. Pashley, *op. cit.*, Vol. I, p. XXXII

(٢) كالضريبة على الخمور والجلود والأحذية وشكوا من مضاعفة ضريبة الرأس .

(٣) R. Pashley, *op. cit.*, Vol. I, p. XXXI; see also *Carton de la Canée*, *op. cit.*, Fabreguette au ministre, La Canée, 23 Août 1833.

من عواقبها ، وصارحهم بعجزه عن رفعها إلى الباشا ، ثم نصح إليهم بالتوقيع على كلمة زيفها لهم فى مدح الباشا وشكره على الاهتمام برعاية مصالحهم(١) .

من حق المؤرخ المنصف أن يعتذر لمحمد على عن مسلكه هذا ، إذا نظر إلى الأمر من زواياه المختلفة ، فحكم الجزيرة كان عبئاً ثقيلاً على محمد على ، ومشروعات التوسع فى الشرق ، بعد الذى كان بينه وبين الباب العالى من جفوة كانت تتطلب منه زيادة الإنفاق ، ودسائس الرأى العام الأوربى كانت تحاك يومئذ من حوله ، ومسلكهم من هذا لم يخرج فى نهاية الأمر عن مسلك المستعمرين ، فهكذا كان مسلكهم وتلك أساليبهم فى كل زمان ومكان .

ومن حق المؤرخ المنصف كذلك أن يعذر الكريتيين حينما يشكون فى نوايا الرجل حتى يحرق الشك نفوسهم ، فمشروعاته الإصلاحية قد بدت لهم فى صورة بغيضة مخيفة خافوا أن تهدف بهم إلى سياسة الاحتكار التى يأخذ بها الباشا فى حكم مصر خصوصاً بعد ما علموا أن الحكومة ستعهد إلى إثنين من الملمين بالقوانين المصرية بتنفيذ إجراءات الإصلاح ، وخافوا مشروع التعليم فتوهموا أن إنشاء المدرستين لم يكن الغرض منه غير إمكان جمع أولادهم فى مكان واحد لإمكان ترحيلهم إلى ميادين القتال عن طريق ثغر سوده(٢) .

الواقع أنه لم يكن هناك ما يبرر هذا الخوف سوى شك الناس فى نوايا الباشا

وقد ضمن القنصل الفرنسى خطابه المؤرخ ٤ سبتمبر ١٨٣٣ ترجمة للشكاوى التى تقدم بها الفلاحون لمحمد على ورفض المحافظ أن يقدمها له وهى :

Annexe C. Representation des habitants des Cantons de la Canée, Abocorona et Kissamos au Vice-roi, le 19 Août 1833.

(١) *Carton de la Canée, op. cit.*, Annexe B, Réponse des habitants de la Crète au Vice-Roi.

وهذه الوثيقة المهمة ملحقة أيضاً بخطاب ٤ سبتمبر ١٨٣٣ المذكور سابقاً .

See R. Pashley, Vol. I, p. XXXI

(٢) R. Pashley *op. Cit.*, Vol. I, p. XXXIII

وهم معذورون فى شكهم كما قررنا ، غير أن هذا الشك لم يكن فى صالح الكريتيين على الإطلاق ، فهو قد ضرهم ولم يجد عليهم خيراً . ومن أمثلة المبالغة فى الشك ما رواه قنصل فرنسا فى خانية حين ذكر ارتياب السكان وهلعهم لمجرد قيام أحد الكتاب بإجراء إحصاء لأهالى الجزيرة ، وقد اقتضته الدقة يومئذ أن يحصى الأجنة فى الأرحام فارتاب السكان وهلعوا من مثل هذا الإجراء وباتوا يقدرون ما يمكن أن يكون الباشا ورجاله قد أضمروا من شر لأولئك الأطفال(١) .

وهكذا تجمعت عوامل السخط وازداد الاستياء بين أهالى الجزيرة يشوبها الخوف فى مستقبل الحياة والشك فى كل ما يبدو من جانب الحكومة أياً كانت مظاهره ، وكيفما كان الغرض الذى يهدف إليه ، ولم يلبث كل ذلك حتى تبلور فى نفوس الناس فملأها وجعلها مستعدة للانفجار فى كل لحظة . فلما كان اليوم الثامن من شهر سبتمبر ١٨٣٣ دخل ضابط ألبانى على رأس رهط من رجاله قرية جبلية من قرى إسفاكية منتهزاً فرصة اجتماع الناس فى الكنيسة لصلاة الأحد ليذيع عليهم قرار مجلس خانية الذى مر ذكره ، وفى أثناء ذلك قام أحد القرويين المسيحيين ليبدى بعض رأيه فى ذلك القرار فأثار بذلك غضب الضابط الألبانى الذى هوى عليه فصفعه صفعة أطلقت السخط المكتوم فى صدور الناس فاشتد الهياج واضطرب الناس ، وأخذ بعضهم يموج فى بعض ، ولم ير الضابط بداً من أن ينسحب برجاله وهاجت الخواطر وأخذ الناس يندفعون إلى سهول خانية وأخذت جموعهم تتزايد . وأوفدوا منهم إلى خانية من يقابل بعض قناصل الدول الأوربية (انجلترا وفرنسا وروسيا) وكانوا يعتبرونهم حماة لهم من عدوان محمد على بعد أن ضمنوا عدالته يوم آل إليه سلطان الجزيرة عام ١٨٣٠ فنصح إليهم أولئك بالتزام الهدوء والعودة إلى ديارهم إلى أن يعود مصطفى باشا إلى خانية

---

(١) *Carton de la Canée, op. cit.*, Fabreguette au Ministre, La Canée, 4 Septembre 1833.

وكان قد غادرها إلى قندية(١) غير أن الأهالى لم يذعنوا لنصح القناصل وأخذت جموعهم تتزايد وصاروا عصبة ذات خطر بعد رجالها بضعة آلاف اتخذوا من قرية مورنييس وما حولها ميـدانا لنشاطهم وكانوا خليطاً من المسيحيين والمسلمين ، وكانوا عزلاً من كل سلاح ، وكان الهدوء يسود جمعهم ، وكانت سلامة مسلكهم مثار الإعجاب . ولم يخرج إجماعهم عن تصميم وعزم على البقاء ريثما يأتيهم رد الدول التى التمسوا معونتها ونجدتها بين يدى سفرائها لدى الباب العالى(٢) . ومن هنا كانت ثورة الكريتيين ثورة بيضاء لا عنف فيها ولا إرهاب ، وإنما هى رغبات أبدوها بين يدى الباشا يوم جمعهم فى خانية(٣) . ورفعوها إليه عن طريق حاكم الجزيرة فلم يحقق لهم منها شيئاً بل عدها سيئة عليهم وطلب إليهم أن يعتذروا عنها بما زيف عليهم يومئذ من عبارات الشكر والحمد والولاء ورفعها باسمهم إلى ولى النعم اتذاع على الملأ وثيقة بما قدم لوطنهم من صوالح الأعمال . نعم إنها رغبات كبتت فى نفوسهم وظلت محاطة بسياج من الخوف والشك حتى شاءت الظروف أن تطلقها بين أيدى قناصل الدول الممثولة فى أوربا آملين أن تعينهم على تحقيقها(٤) .

وحاول مصطفى باشا عند عودته أن يفرق جموعهم تارة باسداء النصح وتارة ببذل الوعود فى العمـل على تحقيق مطالبهم ولـكنه لم يوفق لأن أهل الجزيرة

---

(١) R. Pshley, *op. cit.*, Vol. I, pp. XXXIII - XXXIV

(٢) A. Politis, *op. cit.*, pp. 534 - 538, Pétition des Crétois aux Ambassadeurs des Puissances Alliées, Angleterre, France et Russie, aurprès de la Sublime Porte, Mourniès de La Canée, Le 20 Septembre 1833.

(٣) أنظر صفحة ٢٢٨ .

(٤) بذل قنصل فرنسا جهداً كبيراً فى تفريق جموعهم فلم يوفق ، وأعرض قناصل النمسا والروسيا والسويد عن سماع شكواهم زاعمين لهم أن أمر الفصـل فى أمور كريت إنما هو من اختصاص محمد على وحده وكانوا قد أوفدوا إلى حكومة اليونان من يحمل شكواهم إليها فردتهم زاعمة لهم أن ذلك ليس من اختصاصها وأغلقت أبوابها عندئذ فى وجه كل من يجيئها من كريت كما منعت رعاياها من السفر إلى الجزيرة .

محفظة عابدين (كريت) رقم ١٠٥ ترجمة التقرير الوارد فى ٢٧ جمـادى الأولى ١٢٤٩ (١٢ أكتوبر ١٨٣٣) (من وثائق عابدين) .

مازالوا يذكرون له يوم خانية[١] . ولم ير بداً من أن يسلك مع النـاس إزاء إصرارهم طريقاً وسطاً فأذاع عليهم بياناً بإلغاء بعض قرارات مجلس خانية كقرار التعاون الزراعى والقرار الخاص بالتعليم بإنشاء المدرستين ولقد كان بوسعه لو أراد أن يستخدم العنف بما كان يملك من قوات جيشه النظامية وكان عددها يتراوح بين خمسة وستة آلاف جنـدى إلى جانب خمسمائة وألف من غير النظاميين . ولـكنه آثر السلم لحقن الدماء وحفظ الأرواح ، وحفظ مع ذلك هيبة الحـكومة من الاحتفاظ ببعض ماقررت فى مجلس خانية[٢] ومع ذلك لم تجد جهوده تلك فى صرف هذه الجموع التى ظلت آمالها متصلة بجهود السفراء فى القسطنطينية ، فلم تـكد إحدى قطع الأسطول الفرنسى تقف عند ميناء سودة فى أواخر سبتمبر حتى أهرعوا إليها ظناً منهم أنها تحمل إليهم من القسطنطينية نتائج جهود السفير الفرنسى ، غير أن ربانها قد خيب أملهم فى ذلك ووجه إليهم من النصح مثل ما سمعوا من القناصل فى خانية . وألجأت الرياح سفينة بريطانية يقودها Sir Pulteney Malcolm إلى ميناء سودة فذهبوا إليه يلتمسون عنده بعض أخبار القسطنطينية فخاب أملهم مرة أخرى وسمعوا من قائدها المذكور مثل الذى سمعوا من سلفه الفرنسى ، وزاد على ذلك أنه حذرهم من عواقب ثورتهم تلك فهى قد تعرضهم إلى سخط محمد على الذى لن يتوانى فى اتخاذ أعنف الوسائل فى زجرهم . وهنالك أخـذت جموعهم تتفرق شيئاً فشيئاً[٣] .

ولما وصلت أنباء ذلك كله إلى محمد على بادر بإرسال بعض قطع من أسطول مصر تحت إمرة نور الدين باشا واعداً إياه بمدد يلحقه تحت قيادة اللواء اسماعيل بك وكتب إلى حاكم الجزيرة أن يستبدل اللين بأشد وسائل العنف فى فض هـذه الجموع وأمره بالإسراع فى القبض على زعمائهم والاستعانة بقوات نور الدين فى ضرب

---

(١) أنظر ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) R. Pashley, *op. cit.*, Vol. I, p. XXXV

(٣) *Ibid.*, pp. XXXVI - XXXVII

الحصار حول الجزيرة حتى لايتمكن الثوار من الفرار ، كما أمره بإعادة فرض الضريبة على الضأن وضمن أمره هذا منشوراً باللغة اليونانية أوصى بالاحتفاظ بأصله وتوزيع نسخ منه على أقاليم الجزيرة(١) وكان منشوراً شديد اللهجة زجر فيه الأهالى وعنفهم ونعتهم بالجهل واتهمهم بالخيانة ونكران الجميل ، ثم أنذرهم بأنه قادر على أن يهلكم ويستبدلهم قوماً آخرين وأنذرهم بالقبض على زعمائهم وإلزامهم بجميع النفقات التى سوف يبذلها فى سبيل قمع حركتهم ثم خيب آمالهم فى الالتجاء إلى دول أوربا التى تبينت فساد تفكيرهم وسوء مسلكهم وسفاهة عقولهم وميلهم إلى أعمال الشر والتخريب وسفك الدماء(٢) .

ولما وصل نور الدين اتجه وحاكم الجزيرة على رأس أربعين فارساً وبعض قوات المشاة إلى حيث يعتصم الثوار فى مورنييس وهنالك استقبلهم وفد من الثوار وقدم إليهم عريضة تتضمن مطالبهم . ونظرت القوات فإذا جماعة يبلغ عددهم نحو المائتين قد ثبتوا عند كنيسة القرية ولم يتفرقوا ففرقتهم جماعة الفرسان فى أقل من ربع الساعة دون استخدام أى سلاح وقبضوا على ستة من بينهم ثم أطلقوا سراحهم بعد قليل ، وهنالك عاد الباشا ونور الدين إلى خانية غير أن بعض أهالى أسفاكية وكراديا وسلنه وغيرهم لم يلبثوا أن تجمعوا فى اليوم التالى بحجة التشاور فى بعض أمورهم وأخذوا يتنقلون بين القرى ويندسون بين الأهالى يحرضونهم على التجمهر ولكنهم لم يوفقوا إلى ما أرادوا .

ولما تفرقت جموع المتجمهرين وهدأت الأمور أخذ حاكم الجزيرة يبحث عن زعماء الثورة تنفيذاً لأمر الباشا غير أنه لم يوفق وخشى أن يعود الناس

---

(١) دفتر مجلس ملكى نمرة ١١٩ ترجمة الوثيقة ٧ فى ١٨ جمادى الأولى ١٢٤٩ (٣ أكتوبر ١٨٣٣) من الجناب العالى إلى محافظ كريت (من وثائق عابدين) .

(٢) دفتر مجلس ملكى نمرة ١١٩ ترجمة الوثيقة ٦ فى ١٨ جمادى الأولى ١٢٤٩ (٣ أكتوبر ١٨٣٣) من الجناب العالى إلى أروام كريت (من وثائق عابدين) .

إلى التجمع فأذاع على الأهالى بياناً باللغتين التركية واليونانية يطمئنهم فيه على حياتهم وأرزاقهم ويحذرهم من تصديق الشائعات ومن العودة إلى التجمهر حتى لا يعرضوا أنفسهم لعقاب آيته السجن لمدة أعوام ثلاثة[١] .

وتنتهى أخبار ذلك إلى محمد على فيشتد سخطه على الثوار . ويبعث إلى كل من حاكم الجزيرة ونور الدين باشـا أن يستعينا بمن يصل إليهما من قوات تحت إمرة اللواء اسماعيل فى القبض على زعماء الفتنة أياً كانوا[٢] كما أوصى بإعدام خمسة أو عشرة منهم على الأقل ليكونوا عبرة لمن تحدثهم أنفسهم بالثورة[٣] لا تراعى فى ذلك خواطر القناصل ، سيما وأنه كان قد أبلغ كلا من قنصلى انجلترا وفرنسا بما اعتزم من أمر[٤] . وعبثاً حاول الرجلان (حاكمه وقائد قواته فى الجزيرة) أن يخففا من حدة غضبه على الثائرين فيثنياه عن عزمه على إعدامهم وكان من نتائج ذلك أن استحقا غضبه لتباطئهما فى تنفيذ أوامره[٥] . ووصلت قوات المدد تحت إمرة اللواء اسماعيل فى نوفمبر ومعها أوامر الباشا فى شأن الثوار فتقدم بها الحاكم والقائد إلى مورنييس وقبضا على ثلاثة وثلاثين من الفلاحين كانوا متجمهرين فيها[٦] .

---

(١) محفظة عابدين (كريت) ١٠٥ ترجمة التقرير الوارد بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى ١٢٤٩ (١٢ أكتوبر ١٨٣٣) (من وثائق عابدين) .

(٢) وأمرهما بمحاصرة إسفاكية بحراً حتى لا يفر منها أحد وإذا كان بين المفسدين بعض وجوه المسلمين وجب عليهم أن يبرحوا الجزيرة إلى الأناضول أما إذا كانوا من صغارهم فيشنقوا .

(٣) دفتر مجلس ملكى ١١٩ ترجمة المكاتبة فى ١٠ جمادى الآخرة ١٢٤٩ (٢٤ أكتوبر ١٨٣٣) من الجناب العالى إلى مصطفى باشا وعثمان باشا (من وثائق عابدين) .

(٤) دفتر مجلس ملكى ١١٩ ترجمة المكاتبة فى ١٠ جمادى الآخرة ١٢٤٩ (٢٥ أكتوبر ١٨٣٣) من الجناب العالى إلى مصطفى باشا وعثمان باشا . وقد اتبع ذلك بأمر آخر شدد فيه عليهما بتنفيذ وامراه ، المرجع نفسه ، وثيقـة ١٢ فى ٢٠ جمادى الآخرة (٤ نوفمبر ١٨٣٣) (من وثائق عابدين) .

(٥) دفتر مجلس ملكى ١١٩ ترجمة المكاتبة ٢٥ فى غرة رجب ١٢٤٩ (١٤ نوفمبر ١٨٣٣) (من وثائق عابدين) .

(٦) R. Pashley, *op. cit.*, Vol. I, p. XXXVIII

والظاهر أن نجاح محمد على فى القضاء على المماليك فى مصر و بلوغ ما كان ينبغى بعد ذلك من صفاء الجو وخلو السبيل قد أطمعه فى أن يسلك مسلك الغدر ويلجأ إلى وسائل القسوة فى ردع الناس وزجرهم كلما خاف خطرهم ، فلم يكد يمضى على سجن من قبض عليهم شهر واحد حتى بعث بأوامره القاضية بتنفيذ الإعدام شنقاً فى تسعة منهم دون تحديد أسمائهم فشنقوا فى قرية مورنييس[1] . ولم تقف قسوة الرجل عند هذا الحد فقبض على واحد وعشرين شخصاً من مختلف أقاليم الجزيرة ونفذ فيهم حكم الموت . ولم ينظر محمد على فى فعلته هذه إلى جعل العقاب على مستحقيه من زعماء الفتنة وإنما قصد أن يوقع العقاب على أصحاب النفوذ من أهل الجزيرة ليجعل من موتهم مثاراً للرعب والفزع فى قلوب الناس جميعاً[2] .

وقد يكون من الانصاف أن نذكر أن قسوة محمد على فى معاملة السكريتيين لم تكن تلقائية وإنما شجعه عليها ما نقله قنصل بريطانيا فى مصر من أخبار أولئك الثوار[3] .

---

(١) دفتر مجلس ملكى ١١٩ ترجمة الوثيقة ٢٨ فى ١٥ شعبان ١٢٤٩ (٢٨ ديسمبر ١٨٣٣) من الجناب العالى إلى محافظ كريت (من وثائق عابدين) .
Carton de La Canée, op. cit., Fabreguette à Broglie, La Canée, 27 Janvier 1834.

(٢) R. Pashley, *op. cit.*, Vol. I, p. XXXIX
نذكر من الوسائل المريبة التى اتبعت فى القبض على المحكوم عليهم بالموت ما اتبع فى القبض على بعض زعماء الإسفاكيين : تقدم على أفندى رئيس مجلس إسفاكية يصحبه أحد كبار الضباط على رأس فرقة من حوالى ١٥٠ أرناؤدى وادعى أنه يحمل إلى سكان إسفاكية بعض الأخبار من الجناب العالى ومن حاكم الجزيرة وقائد القوات بها واستدعى زعيمين أو ثلاثة من كل بقعة من بقاع إسفاكية ليذيع عليهم هذه الأخبار ، وبهذه الطريقة الخادعة استطاعت السلطة المصرية أن تقبض على خمسة من الإسفاكيين وأن تنفذ فيهم حكم الموت . بينما ألقى القبض على إثنين آخرين من الإسفاكيين فى رسمو . وقد كان أحدهما حديث العودة من القسطنطينية . وإذا أضفنا إلى ذلك أن واحداً فقط من السبعة الإسفاكيين الذين نفذ فيهم حكم الإعدام كان موجوداً فى جمهرة مورنييس استطعنا أن نؤكد بأن السلطات المصرية لم تكن تبحث عن المذنبين لمعاقبتهم
R. Pashley, *op. cit.*, Vol. II, pp. 177 - 180.

(٣) فقد نعتهم الأميرال (Malocim) الذى زار سوده أثناء الثورة ، بأنهم ثوار يستحقون أدنى رحمة أو شفقة . *Ibid.*, p. 6.

كان لهـذه الثورة أثرها فى موقف الإدارة المصرية من الرعايا اليونانيين فى كريت فقد وقع عليهم اضطهاد كبير إذ اعتبرتهم السلطات المصرية مسئولين عن كل حوادث هذه الثورة ومن ثم عملت على إخراجهم منها فضيقت عليهم الخناق لتضطرهم فى النهاية إلى الهجرة . ومن ثم زادت شكاوى هؤلاء لحكومتهم وللدول الأوربية التى ضمنت استقلال اليونان .

تلك كانت ثورة مورنييس وهى وإن لم تكن قد نجحت فى تخفيف الأعباء التى فرضتها حكومة محمد على على الكريتيين فإنها قد أوقفتها عن التمادى فى زيادة هذه الأعباء فوضعت حداً لسياسة محمد على الاستغلالية فى الجزيرة(١) .

هدأت الأحوال فى كريت عقب ذلك بفضل الجهود التى بذلها مصطفى باشا محافظ كريت ليبعد عن أذهان الكريتيين ذكرى حوادث ديسمبر ١٨٣٣ الأليمة . فاهتم برعاية السكان ووقايتهم من الأمراض المعدية التى انتشرت يومئذ بالقسطنطينية والاسكندرية ، كما أصلح مينائى خانية ورسمو ، وخفض عدد القوات النظامية وغير النظامية بالجزيرة .

وهكذا نعمت كريت بالهدوء والطمأنينة والإعفاء من فرض ضرائب جديدة ، كما أن الحكومة لم تسلك فى إدارة الجزيرة بعد ذلك مسلكاً يمكن ن تؤاخذ عليه(٢) .

---

(١) A. Politis, *Le Règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes en Egypte,* Vol. II, 1ère partie, p. XXV

(٢) Quai d'Orsay à Paris, Affaires Etrangères, Correspondence Consulaire, Turquie, Vol. 4, ff. 259 - 262, Fabreguette à Monsieur Thiers, President du Conseil et Ministre des Affaires Etrangères. "En effet depuis la fin de 1833 date de ce triste mémoire, époque de douloureux souvenirs pour les Crétois si cruellement traités par Mohamed Ali, l'île a joui d'une tranquillité inconnue dans le reste de l'Orient... Votre Excellence comprendra facilement la véritée de mon assertion, en apprenant que pendant les deux ans qui viennent de s'écouler, aucun impôt nouveau n'a passé sur l'île, aucune vexation n'a pu être reprochée aux autorités".

ملحق (٥)

الصفحة الأولى من جريدة الوقائع الكريتية

Ἀριθ. 64.

ΚΡΗΤΙΚΗ ΕΦΗΜΕΡΙΣ.

Ἐν Χανίοις, 14 Ἰανουαρίου 1833.

Θερμόμετρον τῶν Χανίων.

Ἰανουαρίου 13. 1833.

[illegible]	Αὐγή	Μεσημβρ.	Δειλὴ Βαθεῖα	Δύσις	Ἑσπέρας
[illegible]	[illegible]	5	5	4	4



نسخه [illegible]

يوم السبت ٢٥ شهر رمضان الشريف سنه ١٢٤٨

ميزان هواى خانه

٥	ايام	صباح درجه	ظهر درجه	عصر درجه	مغرب درجه	عشا درجه
٤	٦	٤	٥	٥	٤	٤

ΕΠΙΣΗΜΑ.

ΕΣΩΤΕΡΙΚΑΙ ΕΙΔΗΣΕΙΣ.

[illegible] ἐπιτυχεῖς ἀνυπομόνως νὰ λάβωμεν μίαν χαροποιὰν ἀγγελίαν [illegible] Αἰγυπτιακὰ πρατοπεδα, ἔφθασεν ἐξ Ἀλεξανδρείας τῆς Αἰγύπτου [illegible] (26 Σαμβανίου) πρὸς τὸ ἑσπέρας εἰς τὸν Σούδαν [illegible] Πλοῖον Πολεμικὸν τῆς Α. Υ. τὸ Τ σ ε ν ι τ, φέρον τὰ δύο [illegible] ἐπίσημα ἔγγραφα.

ΔΙΑΤΑΓΜΑ ΤΟΥ ΑΝΤΙΒΑΣΙΛΕΩΣ ΠΡΟΣ ΤΟΝ ΣΕΡΑΣΚΕΡΗΝ ΚΡΗΤΗΣ.

Ἡ ταρινὴ κατάστασις τοῦ πολέμου [illegible] ἀπὸ τοῦ ἐσωκλείστου [illegible] τῆς σειρᾶς τοῦ καθολικοῦ ἡμερολογίου, γραμμένης εἰς τὸ στρατόπεδον [illegible] ἀπὸ τὴν 8 Δεκεμβρίου (25 τοῦ Ρετσεμβίου).

Κατὰ τὸ [illegible] μόνον γράμμα τῆς 9 τοῦ Δεκεμβρίου (29 Ρετσεμβίου), τὸ ὁποῖον ταύτην τὴν στιγμὴν λαμβάνομεν, συνεκροτήθη μία σημαντικὴ μάχη μετὰ τοῦ μεγάλου Βεζύρη Ρεσὶτ Μεχμὲτ Πασσᾶ Κιαταχῆ, [illegible] τὴν βοήθειαν ἐπιάσθη ζωντανός, ἀπὸ δὲ τὸ ἐχθρικὸν στράτευμα [illegible] τίποτε, ἀλλὰ διελύθη ὅλον. Τὸ ἡμερολόγιον τῆς νέας [illegible] νίκης [illegible] κοινοποιηθῇ μὲ δευτέραν εὐκαιρίαν.

[illegible] νὰ πληροφορηθῇς καὶ νὰ συγχαρῇς ἐγράφθη τὸ παρὸν καθ' ὅσον [illegible] καιρός, καὶ σοὶ διευθύνεται μὲ ἐπίτηδες Πλοῖον Πολεμικόν.

Ἐν Ἀλεξανδρείᾳ τῆς Αἰγύπτου, 21 Δεκεμβρίου 1832 (11 Σαμβανίου 1248).

Ἀντίγραφον ἡμερολογίου τῆς 8 Δεκεμβρίου, ἀπὸ τῶν περιχώρων τοῦ Ἰκονίου τῆς Λυκαονίας διανομηθέντος πρὸς τὸν Ἀντιβασιλέα παρὰ τοῦ Ἀντιβασιλόπαιδος.

[illegible] περὶ τὴν 12 ὥραν (6), ἐπειδὴ οἱ ἰδικοί μας ἦσαν στρατοπεδευμένοι εἰς [illegible] λεγόμενον Σίλλε, 1 ἢ 1-2 ὥρας μακρὰν τοῦ Ἰκονίου, ἐπαρουσιάσθησαν ἀπέναντι τῶν Δελήδων καὶ Αἰταλῶν μας οἱ ἐχθροί, καὶ ἐ[illegible] ἐχθροπραξιῶν. Ὁ Ἀρχιστράτηγός μας εἰδοποιηθεὶς τοῦ [illegible] νὰ τὸν ἀπολουθήσωσι παρευθὺς τὸ Γ'. καὶ ΙΒ'. πεζικὸν Σύνταγμα, διὰ νὰ προφθάσῃ εἰς τὸ [illegible] χωρίον. Ἡ ὁμίχλη, τὴν ὁποίαν εἶχεν [illegible] συνέχεια, καὶ ὁ πολὺς χιονισμός, ἔκαμε τὴν Α. Υ. νὰ [illegible] ὥραν εἰς τὸ [illegible] ἀπαιτήσῃ τοὺς ἐχθρούς. Τέλος ὅταν τοὺς εὕρηκεν, διαιρέσας εἰς δύο τμήματα τὸ πεζικόν, τὸ ἱππικόν, καὶ οἱ Δελίδες μας, καὶ ὁ πόλεμος ἄρχισεν οὕτως. Οἱ ἐχθροὶ [illegible] εἰς τὸν προβολισμὸν καὶ τὴν γενναιότητα [illegible] ἔπαυσαν, καὶ παραίτησαν 5 κανόνια [illegible] τῶν 200 ἢ 300 μὲ [illegible] ἐλθόντες προσεκύνησαν εἰς τὴν Α. Υ., οἱ δὲ λοιποὶ [illegible] τὰ καταφύγια, ποῦ νὰ κρυφθῶσιν ἔφυγαν. Ἂν ἡ ἡμέρα ἐκείνη [illegible] κλίνει εἰς τὴν δύσιν τοῦ ἡλίου, ἠθέλαμεν [illegible] καταδιώξῃ, καὶ [illegible] ἐπιστρέψαμεν εἰς τὸ αὐτὸ χωρίον.

Κατὰ τὴν ὁμολόγησιν, ὁποίαν ἔδωκαν οἱ προσκυνημένοι, ἐσυμποσοῦτο τὸ στράτευμα τοῦ ἐχθροῦ 14 χιλιάδες, συνιστάμενον ἀπὸ Γκέγκιδες καὶ [illegible] οἱ ἀρχηγοί των ἦσαν ὁ Σελικτάρης τοῦ [illegible] Βεζύρη τῆς Πόρτας, ὁ [illegible] τοῦ Ἰκονίου, καὶ ὁ Χακκὶ Πασσᾶς.

Τὰ [illegible] τὰ 5 κανόνια, καὶ 5 ἅμαξαι πολεμεφοδίων [illegible] ἀπὸ τὰς [illegible], καὶ ἐφέρθησαν εἰς χωρίον Σίλλε. Οἱ Ἀλ[illegible] ἐκεῖνοι, ὅστις, ὡς [illegible], ἐλειποτάκτησαν καὶ συνεταύθησαν μὲ ἡμᾶς, [illegible] εἰς [illegible] τῆς Αἰγυπτιακῆς ὑπηρεσίας.

Εἰς τόπον λεγόμενον Τσαπσλι-Χαν, ὅθεν ἀπέχει τὸ Σίλλε ὥρας τέσσαρας, ἐμελέτα [illegible] Βεζύρης [illegible], διὰ νὰ φέρῃ ἐνόχλησιν εἰς τοὺς ἰδικούς μας. [illegible] αὐτὸς [illegible] εἰς τὰς ἀκοὰς τοῦ Ἀρχιστρατήγου μας, ἐκίνησεν ἡ Α. Υ. χωρὶς ἀργοπορίαν διὰ νὰ προκαταλάβῃ καὶ αὐτὴν τὴν θέσιν ὁμοῦ μετὰ Α. Β. καὶ Δ. Συντάγματα τοῦ ἱππικοῦ, καὶ μὲ τὸ Σύνταγμα [illegible], καὶ μὲ 10 κανόνια· ἤτοι ὥρα τῆς αὐγῆς, καὶ [illegible] εἰς τὸ Τσαπσλι-Χαν, ὅπου αἰχμαλώτισεν 150 ἐνόπλους, ζωοτροφίας, [illegible], τὰ ὁποῖα εἶχαν προσυνάξει αὐτοὶ διὰ τὰ στρατεύματα τοῦ μεγάλου Βεζύρη. Ἀπ' αὐτοῦ ἔφυγαν ὁ Σελικτάρης τοῦ Κιριτλι[illegible] (Μεχμὲτ) [illegible], καὶ ὁ Ἀχμὲτ Πασσᾶς Α'. Διευθυντὴς τοῦ ἐν τῇ Ἀσίᾳ [illegible] τῆς Κωνσταντινουπόλεως, καὶ ἤθελαν ὑποπέσει κ' ἐκεῖνοι εἰς τὴν αὐτὴν τύχην τῶν ἄλλων ἐξ ἀποφάσεως, χωρὶς νὰ δειλιάσωσιν οἱ ἰδικοί μας τὴν ὑπερβολὴν τοῦ χιονισμοῦ, καὶ τὴν πάγωσιν τῶν ἀλόγων, ἂν [illegible] καταρχὰς ὅτι οἱ δύο φυγάδες ἦσαν δύο ἁπλοῖ στρατιῶται, καὶ [illegible] τὸ πρᾶγμα ὡς μηδενικὸν καὶ ἄβλαβον.

حوادثات داخليه

[illegible] عثمانيه فتوحات جليله [illegible] اوزره اوله رق ماه شعبان المعظمك يكرمى الثنى [illegible] سفن حربيه داوريدن بريك جديد سوده ليمانته ورود بر له ماه مزبورك اوندرى تاريخيله مورخ برقطعه فرمانته [illegible] داورى واردوى منصورلك برقطعه جرنال معالى اشتمالى شرف [illegible] فرمانتامه

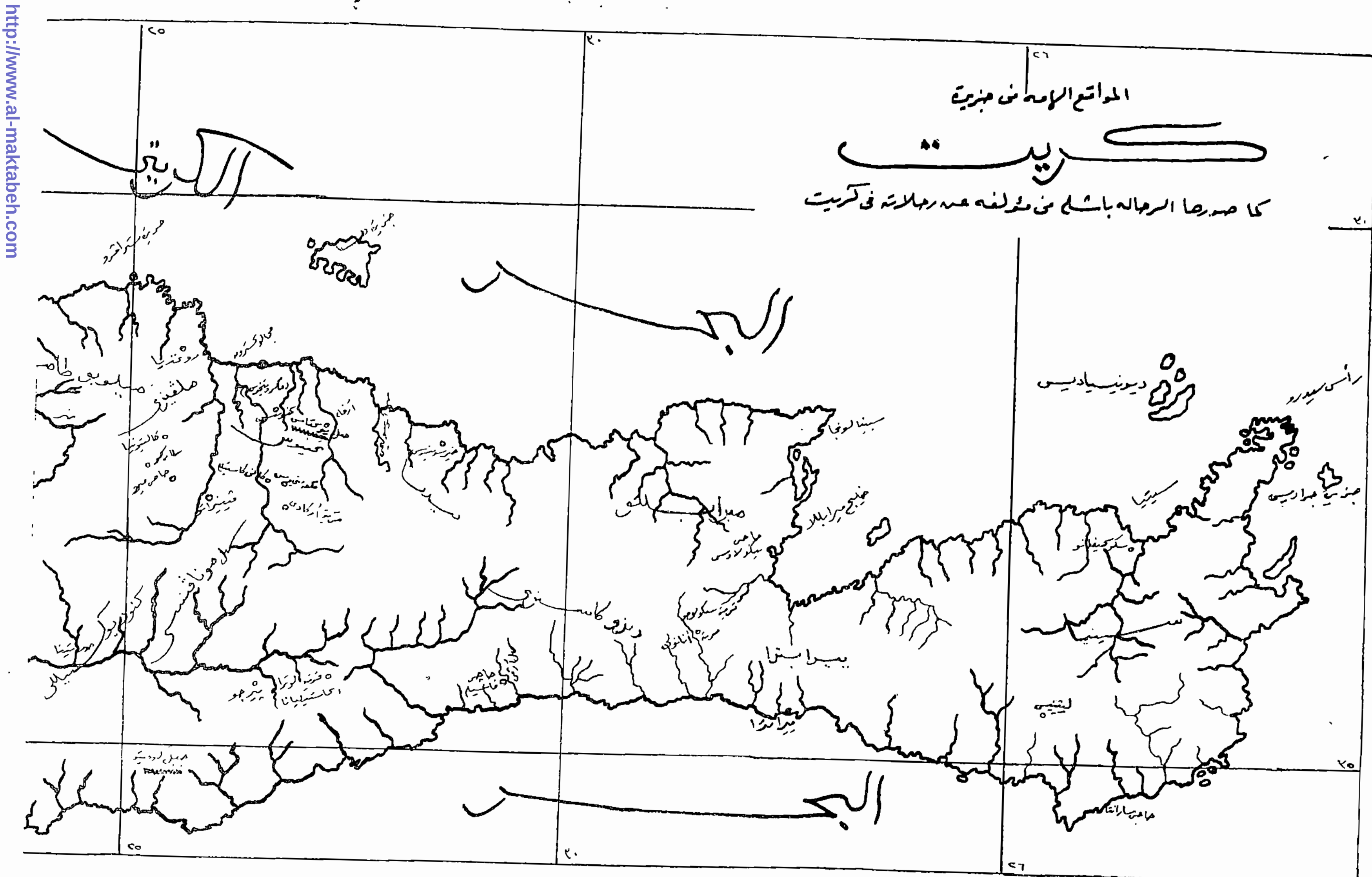
ماه رجب المرجبك يكرمى سكزى تاريخيله مورخ اولوب مرسول صوب شريفلرى قلنان جرنالدن كيفيت شعاريه معلوم سعادتلرى اوله جغى وبو كون ماه مزبورك يكرمى سكزى تاريخيله مورخ وارد اولان برقطعه بشارتنامه مالنده قونيه دن اوته يعنى استانبوله قريب محاده صدراعظمله عظيم بر جنك واقع اولمش ونصرت الوهيه يار اولوب صدراعظم حيا طوتلمش واستانبول اردوسى ديه جلك شيئ قالميوب جمله پريشان اولدى انجق غوغانك تفصيل جرنالى هنوز ورود ايتمديكندن ورودنده يته جانب شريفلرينه يازيله جغى معلوم كرانك اوزره براى تبشير اشبو نفقه مستعجله مخصوص بريك جديدايله كوندرلشدر

مال جرنال

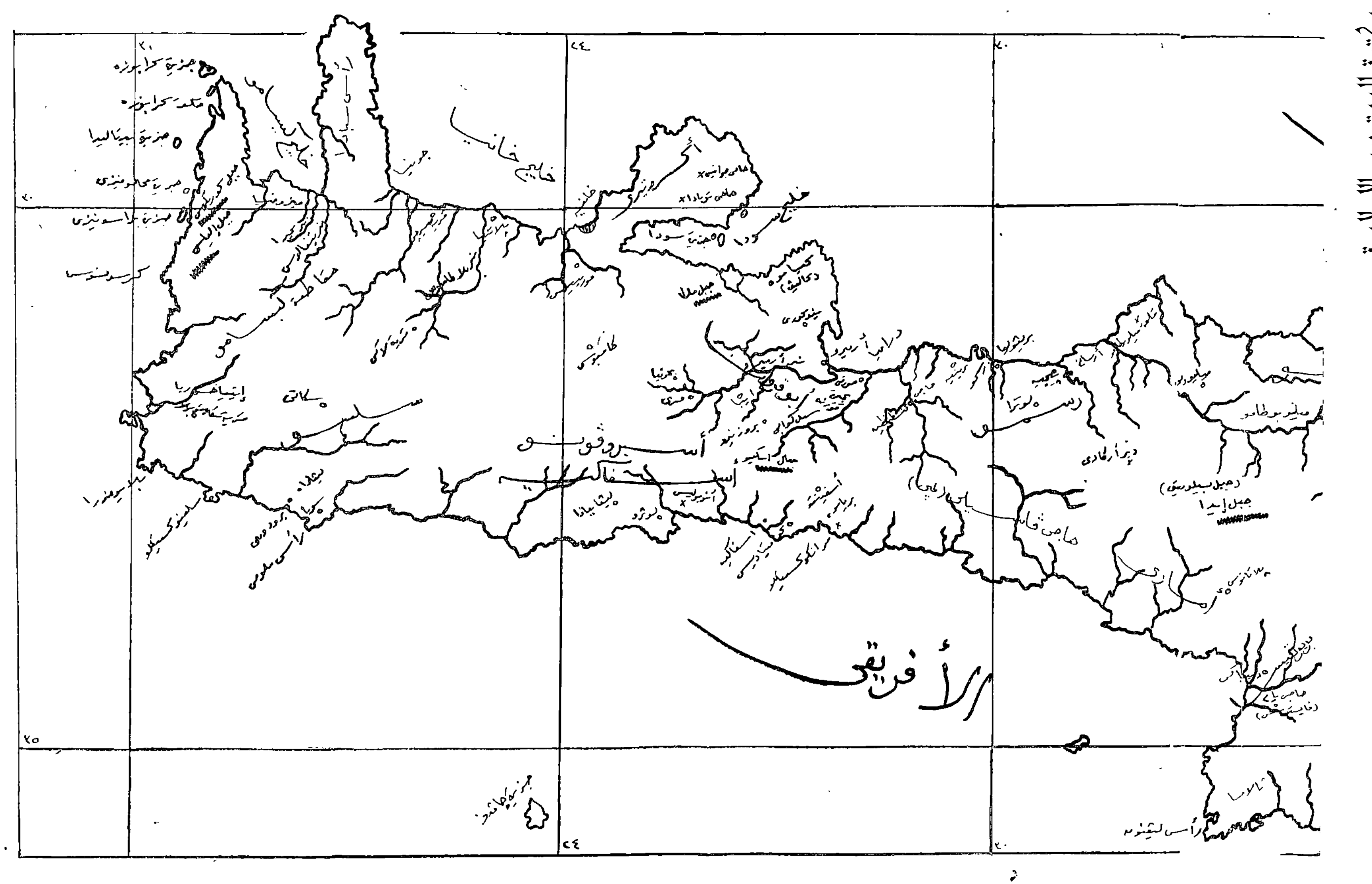
بو كون ساعت التى صولرنده دشمنك قونيه دن برچق ساعت مسافه ده [illegible] تمام قريه ده وزرينه [illegible] اوراده بولنان بزم دليل وحيطه عسكريله غوغايه طوتشديغى خبرى [illegible] عسكر ظفرپيكر ولى النعم افندمز اوچنجى سوارى واون ايكنجى پياده الايلرى [illegible] قريه مزبوره اوزرينه وارمش وهوا [illegible] قارك كثرتندن پوسلى اولمغله برساعت قدر طاغلرده كزلوب دشمنه قارشلامش نهايت قاوشلد قده پياده لر وسوارى ودليلر ايكى قول اوزره اولوب غوغايه مباشرت اولنديقده دشمن آتش وهيبتمزه تاب اوراوله ميه رق فرار ولى طوتلمش وفرار جه بولنان بش قطعه طوپى براقمش وايكى اوچيوز قدر ادمى بيراقلريله بر بزم طرفه كلوب تسليم اولمش وباقيلرى منهزما اين المفر ولوله سنى چاغره رق باغره رق [illegible] وقت دخى اختتام ساعت اون ايكى يه وارمش اولمغله مرقوملرك ارقه سنه كيديلميوب [illegible] عودت اولنمش طوتولان ادملرك تقريرينه كوره بونلر اون درت بيك قدر كقا [illegible] عسكرى ايمش وباشلرنده صدراعظمك سلحدارى وقونيه نك [illegible] اعيانى وحقى پاشا اولوب وارته سى [illegible] بالاده مذكور دشمنك براقديغى بش قطعه طوپ وبش [illegible] قريه سنه كتورلمش ودونان ارنودلر بزم سكبان عساكرينه الحاق اولنمش [illegible] صدراعظمك دروليدن طوورلى خان تعبير اولنور درت ساعت محله [illegible] ايتديكى استخبار اولنمقله ولى النعم افندمز برنجى وايكنجى ودردنجى سوارى الايلرى وغارد يا الاينى [illegible] طوپلى استعداد لى الصباح محل مزبوره عزيمت ايتمش وايچنده بولنان يوزاللى قدر ادمى سلاحلرى وارابه اردونك ايچون جمع ايتدكلرى ذخيره وحطبلريله اسيرا ضبط ايتمش وايچنده كيدلو اوغلو پاشانك سلحدارى ومشيرخاصه احمد پاشا ونلرايله رار ايدى وقاچش [illegible] اولديغى [illegible] قارك كثرتندن ارقه سنه كيديله ميوب قاچرلش اكرانك يورات اولديغى ذره قدر معلوم ومحسوس اولمدى قارك چوقلغنه واسبلرك تلف اوله جغنه باقلميه رق [illegible] اوله جق ايدى

ملحق (٦)

خريطة جزيرة كريت



المواقع اللازمة من جزيرة
كريت
كما صورها الرحالة باشلي من مؤلفه عن رحلاته في كريت
البحر
البحر
ديونيسيادس
راس سيدرو
سيتيا
سبينا لونغا
ميرابلو
خليج ميرابلا
بيرا بيترا


خليج خانيا
خليج سودا
جزيرة سودا
جزيرة كرابوزه
جبل إيدا
جزيرة غاودوس
٤٠
٤٤
٢٠
٢٥

المصادر والمراجع

تنقسم مصادر الكتاب إلى وثائق أصلية ومراجع ثانوية

أما الوثائق الأصلية فتتكون من :

أ) الوثائق المحفوظة فى صورتها الأصلية فى دور المخطوطات المختلفة فى كل من القاهرة ولندن وباريس .

ب) الوثائق المنقولة المحفوظة فى بعض دور الوثائق ، منها المحفوظ بوثائق عابدين فى القاهرة .

حـ) الوثائق التى تم طبعها ونشرت فعلاً .

أ) الوثائق المحفوظة فى صورتها الأصلية :

أولاً — فى القاهرة (بمكتبة عابدين)

(١) دفاتر معية تركى : ١٠، ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦، ٣١ ، ٤٠، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ٨٣، ٨٨ .

(٢) دفاتر ديوان خديو : ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٩ ، ٧٦٢ ، ٧٧٦ ، ٧٨٧ ، ٨١٤ .

(٣) دفاتر عابدين : ٢ ، ٤ ، ٢١٠ ، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٤ .

(٤) دفاتر مجلس ملكى : ١١٩ ، ١٢٥ .

(٥) محافظ عابدين : ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧١

(٦) محافظ بحر براً : ١٠.

ثانياً — الوثائق المحفوظة فى لنــدن : (دار تسجيل الوثائق العامــة)

Public Record Office

Foreign Office 78 الوثائق الخاصة بوزارة الخارجية (تركيا) ٧٨

المجلدات التالية : ١٨٩ ، ١٩١ ، ٣٤٠ ، ٣٧٠ ، ٤١٢

ويشار إليها فى هوامش الـكتاب بما يلى : ...P.R.O./. F.O. 78/189

ثالثاً — الوثائق المحفوظة فى باريس (فى وزارة الخارجية فى « كى دورسى »)

Quai d'Orsay Affaires Etrangères, Correspondance Politique, Turquie 253.

ويشار إليها فى الهوامش Aff. Etr., Corr. Pol., (Paris)

ب) الوثائق المنقولة : ونذكر منها ما استخدم فى هــذا البحث وهى الوثائق المنقولة الموجودة ضمن وثائق عابدين ، وتوجـد فى مجموعات يطلق عليها Cartons de la Canée (1819-1840)

ويشار إليها فى الهوامش بما يلى : .Aff. Etr., Corr. Cons

اختصار الـ Affaires Etrangères, Correspondance Consulaire

جـ) الوثائق التى تم طبعها ونشرها

أولاً — الوثائق الخاصة بالمراسلات المتبادلة بين قنصل روسيا فى الاسكندرية « دوهامل » Duhamel ونائبه فى خانية Thoron فى الـكتاب التالى بأجزائه المختلفة المشــار إليها فيما يلى : *Le Règne de Mohamed Aly d'après Les Archives Russes en Egypte*, edited by René Cattaui.

1.—Tome Premier, *Rapports Consulaires de* 1819 *à* 1833, Le Caire 1931.
2.—Tome II *La Mission Du Colonel Duhamel*, 1834-1837, (Première Partie), Rome 1933.
3.—Tome II, *La Mission du Colonel Duhamel*, 1834-1837, (Deuxième Partie), Rome 1934.
4.—Tome III, *La Mission du Comte Médem*, 1837-1841, Rome 1936.

ثانياً — وهى الوثائق الخاصة بالمراسلات المتبادلة بين قنصل اليونان فى خانيـة « برجلو » Peroglou (الذى عين فى عام ١٨٣٣) ، وحكومته فى اليونان ، وقنصل اليونان فى مصر .

وتوجد هذه الوثائق فى الكتاب التالى :

Athanase Politis, *Les Rapports de la Grèce et de l'Egypte, pendant le Règne de Mohamed Aly* (1833-1849), *Rome* 1935.

أما أهم المراجع الأخرى (الثانوية) فهى

١ — أحمد لطفى ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، جزءان، استانبول ١٣٠٣هـ (١٨٨٥/٨٦ م)

٢ — ارشيبالدس ر . لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط

٣ — جرانت وتمبرلى ، تاريخ أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ — ١٩٥٠) ، ترجمة بهاء فهمى ١٩٦١

٤ — شارل ديل ، البندقية جمهورية ارستقراطيـة ، تعريب الدكتور أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ، القاهرة ١٩٤٨

٥ — اللواء المصرى محمد مختار باشا ، كتاب التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطيـة ، الطبعة الأولى سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ — ١٨٩٤)م

6.—John Bowring, *Report on Egypt & Candia, London* 1839.

7.—J. B. Bury, *History of Greece*, London 1938.

8.—*Cambridge Medieval History*, vol. IV, London, 1936.

9.—Cattaui, René. أنظر الوثائق الأصلية التي تم طبعها في ص ٢٤٢
10.—Cottrell, L., *The Bull of Minos*, 3rd. ed. 1960.
11.—*Diplomatic Documents concerning affaires of Egypt*, Cambell's Notes on the Island of Candia, 1833.
12.—Dodwell, Henry, *The Founder of Modern Egypt*, Cambridge 1931.
13.—Douin, E., *L'Egypte de* 1828-1830, *Correspondance des Consuls de France en Egypte*, 1935.
14.—Driault, Edouard, *L'Expédition de la crète et de La Morée*, 1823-1828, Caire 1930.
15.—Driault, Edouard & l'Héritier, Michel, *Histoire Diplomatique de la Grèce de* 1821 *à nos jours.*
vol. I, *L'Insurrection et l'Indépendance par* Driault, Eddouard, Paris 1925.
vol. II, *Le Régne d'Othon... La Grande Jdée* (1830-1862) par Driault, Paris 1925.
16.—Finlay, Georges, *History of Greece* (146 B.C. to 1864) in 7 vols., London 1877.
17.—Laroche, Charles, *La Crète Ancienne et Moderne*, Paris 1898.
18.—Masson, Paul, *Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVIIIème siècle*, Paris 1911.
19.—Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, Oxford 1956.
20.—Pashley, Robert, *Travels in Crete*, 2 vols., Cambridge 1837.
21.—Pendelbury, J.D.S., *The Archaeology of Crete*, London 1st ed. 1938.
22.—Perrot, Georges, *L'Ile de Crète*, Paris 1866.
23.—Politis, Ahtanase. أنظر الوثائق الأصلية التي تم طبعها في ص ٢٤٣
24.—Sabry, M., *L'Empire Egyptien sous Mohamed Aly et La Question d'Orient* (1811-1849), Paris 1930.
25.—Scott, Rochfort, *Rambles in Egypt & Candia*, 2 vols.,
26.—Softazadé, Ahmed, *La Crète sous la Domination et la suzeraineté Ottomanes*, Paris 1902.
27.—Webster, Sir Charles, *The Foreign Policy of Palmerston*, 2 vols., London 1951.
28.—Willetts, R.F., *Aristocratic Society in Ancient Crete*, London 1955.
29.—Woodhouse, C.M., *The Greek War of Independence*, London 1952.

الفهـرس

(أ)

(ب)

١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٣٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

مسارا (سهل) : ٢ ، ٩ ، ١٣ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٧٩ ، ١١٨ ، ١٣١ ،

مصر : ١٤ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٦٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥

مصري : ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

مصطفى بك (قائد القوات بالجزيرة ثم مصطفى باشا محافظ الجزيرة) : ٤٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٦

ملفيزي (مقاطعة) : ٣ ، ١٠٤ ، ١٩٤

مليدوني (كهف) : ٣ ، ٤٨

منوفستي (سهل) : ٢ ، ٣ ، ١٩٧

مورسيفي (قائد بندق) : ٣٨ ، ٤٠

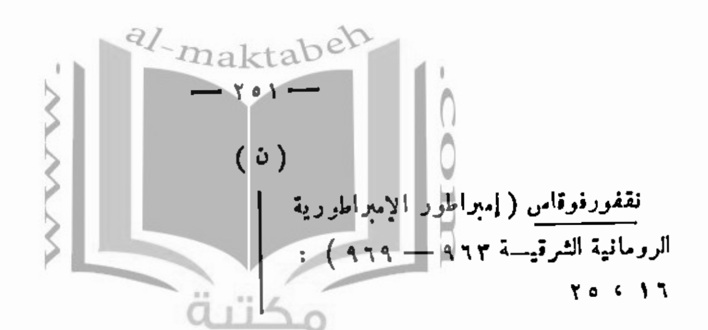
مورنيس Murnies (فتنه) ٨١ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٧٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

المورة شبه جزيرة : ١ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٠ ، ١٥٣ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢١٩

ميرابللا (إقليم ، خليج ، قلعة) : ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٣٠ ، ٥٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٨ ، ١٥٥ ، ١٩٣

ميلوبوطامو (نهر ، إقليم) : ٣ ، ٥ ، ٣٠ ، ٥٦ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١٦٨ ، ٢٠٥

مينوس (قصر في كنوسوس) : ١٣ ، ١٤ ، ١٥



(ن)

(ى)